

نصوص من كتب النحو

دكتور
أحمد سليمان ياقوت
أستاذ العلوم اللغوية
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

١٩٩٦

دار المعرفة الجامعية

٤٠ ش سوتير - الأريطة - ب ٤٨٣٠١٦٣

٣٨٧ ش قنال السويس - الشاطئ ت ٥٩٧٣١٤٦



أولاً
نصوص من الكتاب
لسيبويه

المتوفى سنة ١٨٠ هـ على الأرجح

هذا باب اللفظ للمعاني

أعلم أن من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين والمعنى واحد، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين، وسرى ذلك إن شاء الله تعالى.

فاختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين هو نحو : جلس وذهب، واختلاف اللفظين والمعنى واحد نحو : ذهب وانطلق^(١)، واتفاق اللفظين والمعنى مختلف قولك : وجدت عليه من الموجد^(٢)، ووجدت إذا أردت وجدان الضالة. وأشبه هذا كثير.

هذا باب ما يكون في اللفظ من الأعراض

أعلم أنهم مما يحذفون الكلم وإن كان أصله في الكلام غير ذلك، ويحذفون ويحذفون، ويستغنون بالشئ عن الشئ الذي أصله في كلامهم أن يستعمل حتى يعبر ساقطاً، وسرى ذلك إن شاء الله.

فما حذف وأصله في الكلام غير ذلك، لم يك ولا أدر^(٣)، وأشبه ذلك. وأما استغناؤهم بالشئ عن الشئ فإنهم يقولون يدع ولا يقولون ودع، استغنوا عنها بترك. وأشبه ذلك كثير^(٤)

(١) الذهاب والاطلاق بمعنى واحد فيه شئ من التجاوز، ولكن سببوه بقصد تقارب المعنيين فيهما من حيث إن كلا منهما يدل على الانصراف والادبار.

(٢) وجد عليه في الغضب (موجد) بكسر الجيم، ووجدنا أيضاً بكسر الواو (وجد) في المحزن (وجد) بالفتح.

(٣) لم يك تطبيقاً للقاعدة النحوية التي تقول إن لون (كان) تحذف إذا كانت في صيغة المضارع المنجز وبعده متحرك، كما في الآية الكريمة (ولم أك بقياً) أما (لا أدر) فإن حذف الياء على غير قياس، إذ أن (لا) نافية لا تعمل شيئاً، ولكنهم حذفوا الياء تخفيفاً لكثرة الاستعمال.

(٤) أصل الفعل الماضي (ودع) والمضارع يدع مثل (ولد يلد) و (وزن يزن) و (وجد يجد)، إلا أن الماضي لم يمد مستعملاً (ودع) بل يستعملون (ترك) كذلك لا يستعملون نسم الفاعل منه (وادع) بل يستعملون (تارك).

والعوض قولهم : زنادقة وزناديق، وفرزانه وفرازين^(١)، حذفوا الياء وعوضوا الهاء، وقولهم أسطاع يستطيع^(٢)، وإنما هي أطاع يطاع زادوا السين عوضاً من ذهاب حركة العين من الفعل، وقولهم، اللهم حذفوا (يا) والحقوا الميم عوضاً.

هذا باب الاستقامة من الكلام والإحالة

فمنه مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب.

فأما المستقيم الحسن فقولك : أتيتك أمس وسأتيك غداً.

وأما المحال فإن تنقض أول كلامك بآخره فتقول : أتيتك غداً، وسأتيك أمس، وأما المستقيم الكذب فقولك : حمات الجبل، وشريت ماء البحر ونحوه^(٣) وأما المستقيم القبيح فإن تضع اللفظ في غير موضعه، نحو قولك : قد زائدا رأيت، وكى زيد يأتيك وأشباه هذا.

وأما المحال الكذب فإن تقول : سوف أشرب ماء البحر أمس.

هذا باب ما أجرى مجرى ليس في بعض المواضع

بلغه أهل الحجاز ثم يصير إلى أصله

وذلك الحرف (ما)^(٤)، تقول : ما عبد الله أنحك، وما زيد منطلقاً.

(١) فرزانه وفرازين ومفردها فرزان وهو بيدق الشطرنج.

(٢) أطاع على وزن أفعل والأصل أطوع، فلما حذفوا حركة العين (وهي الفتحة على الواو) عوضوا عنها بالسين فأصبحت أسطاع.

(٣) يبدو في هذه الفكرة تأثر سيبويه بأرسطو، فالجملة صحيحة من حيث توافق الأزمنة وعدم تضارب الأمكنة، أي هي صحيحة من حيث الشكل أو الصورة، ولكنها غير صحيحة من حيث المعنى.

(٤) الحرف (ما) في لغة أهل الحجاز من الحروف المشبهات بليس وهي (ما، لا، لات، إن) فهي ترفع المبتدأ وتنصب الخبر.

وأما بنو تميم فيجرونها مجرى أما وهل ، أى لا يعملونها فى شئ وهو القياس^(١) لأنه ليس بفعل وليس ما كليس^(٢) ، ولا يكون فيها إضمار^(٣) .

وأما أهل الحجاز فيشبهونها بليس إذ كان معناها^(٤) ، كمعناها كما شبهوا بها لات فى بعض المواضع ، وذلك مع الحين خاصة ، لا تكون لات إلا مع الحين تضر فيها مرفوعاً وتنصب الحين لأنه مفعول به^(٥) ولم تمكن تمكنها ولم تستعمل إلا مضمرة فيها لأنها ليست كليس فى المخاطبة والإخبار عن غائب ، تقول لست (ولست) وليسوا ، وعبد الله ليس ذاهباً ، فتبنى على المبتدأ وتضمر فيه ، ولا يكون هذا فى لات ، لا تقول : عبد الله لات منطلقاً ، ولا قومك لاتوا منطلقين .

ونظير لات فى أنه لا يكون إلا مضمرأ فيه ، ليس ولا يكون فى الاستثناء إذا قلت أتونى ليس زيدا ولا يكون بشراً^(٦) .

وزعموا أن بعضهم قرأ (ولات حين مناص^(٧)) ، وهى قليلة ، كما قال بعضهم فى قول سعد بن مالك القيسى :

(١) أى وهو الواجب أن يتبع ، لأن الحرف (ما) ليس كالفعل (ليس) .

(٢) ليس ما كليس ، أى ليس الحرف (ما) مثل الفعل (ليس) .

(٣) أى أنك تستطيع أن تضمر اسم (ليس) فتقول : (ليس موجوداً) جواباً لمن سأل «هل محمد موجود» ولكنك لا تستطيع أن تضمر اسم (ما) فاختلاف بين (ما) و (ليس) من ناحيتين : أن (ليس) فعل ويمكن إضمار اسمها و (ما) ليس كذلك .

(٤) فالإنان يشتركان فى النفى .

(٥) يقصد (شبه بالمفعول به) إذ إنه منصوب مثله وفى (لات) لا بد من إضمار أحد جزأها .

(٦) أى (ليس المأثى به زيدا) ، (لا يكون المأثى به بشراً) .

(٧) «ولات حين مناص» هذه هى الآية الثالثة من سورة (صر) وهى سببها والخليل أن (لات) أصلها (لا) النافية والتاء زائدة ولكن الأصل فيها من اللغة السريانية ففعلها (لايت) بدل على الكون المطلق وأضيفت إليه لا النافية فأصبحت (لايت) بمعنى لا يوجد أو لا يكون . وهذه الكلمة الأخيرة هى الأصل فى (لات) العربية .

من فر عن نيرانها فأنا ابن قيس لا براح^(١)

جعلها بمنزلة ليس، فهي بمنزلة لات في هذا الوضع في الرفع.

ولا يجاوز بها الحين^(٢)، رفعت أو نصبت^(٣) ولا تمكن في الكلام
كتمكن ليس^(٤) وإنما هي مع الحين كما أن لدن إنما ينصب بها مع
غدوة^(٥) وكما أن التاء لا تجر في القسم ولا في غيره إلا في الله، إذا قلت
تالله لأفعلن.

ومثل ذلك^(٦)، قوله عز وجل: «ما هذا بشراً»^(٧) في لغة أهل الحجاز
وينو تعميم يرفعونها إلا من درى كيف هي في المصحف^(٨)، فإذا قلت ما
منطلق عبد الله، أو ما مسى من أعتب، رفعت، ولا يجوز أن يكون مقدماً
مثله مؤخراً^(٩) كما أنه لا يجوز أن نقول: إن أخوك عبد الله على حد قولك
: إن عبد الله أخوك، لأنها ليست بمفعول، وإنما جعلت بمنزلته فكما لم

(١) هذا البيت من مجزوء الرجز والشاهد فيه قوله (لا براح) برفع براح على إنه اسم (لا) وخبرها
محذوف تقديره (لى).

(٢) أى لا تستعمل لات إلا بعدها كلمة الحين.

(٣) أى رفعت ما بعدها أو نصبت.

(٤) أى أن (لات) ليست متمكنة في الفعلية مثل (ليس) فلا يضم فيها اسمها ولا تستعمل في غير
(حين).

(٥) لدن غدوة: لدن ظرف زمان مبنى على السكون وغدوة مضاف إليه مجرور بالفتحة نيابة عن
الكسرة لمنعه من الصرف للعدل وشبه العلمية، فهو معدول عن الغدوة ومعرفاً ومثله في ذلك
كلمة (سحر) إذا أريد به سحر يوم معين، ولم تكن معرفة أو مضافة.

(٦) أى مثل الحروف التى تعمل عمل ليس.

(٧) الآية ٣١ من سورة «يوسف» ومحل الشاهد أن (ما) في لغة أهل الحجاز ترفع فت نصب.

(٨) وفى هذا دليل على أن العرب جميعهم - نميميين وحجازيين - متخذون القواعد القرآنية مقياً
ومثالاً لأقوالهم، فأنميميون لا يملكون (ما) ولكن الذين، يعرفون كيف جاءت في المصحف
يعملونها.

(٩) أى بشرط تضمن (ما) عمل (ليس) عدم تقديم خبرها.

تتصرف إنَّ كالفعل كذلك لم يجر فيها كل ما يجوز فيه، ولم تقو قوته فكذلك ما^(١).

وتقول : ما زيد «إلا منطلق»، تستوى فيه اللفتان^(٢)، ومثله قوله عز وجل : (ما أنتم إلا بشرأ مثلنا) لم تقوما حيث نقضت معنى ليس كما لم تقو حين قدمت الخبر، فبمعنى ليس النفي كما أن معنى كان الواجب، وكل واحد منهما، يعنى كان وليس، إذا جردته فهذا معناه. فإن قلت ما كان، أدخلت عليها ما ينفي به. فإن قلت ليس زيد إلا ذاهباً أدخلت ما يوجب. كما أدخلت ما ينفي. فلم تقوما في باب قلب المعنى كما لم تقو في تقديم الخبر وزعموا أن بعضهم قال، وهو الفرزدق :

فاصبحوا قد أعاد. الله نعمتهم إذ هم قریش وإذ ما مثلهم بشر^(٣)

وهذا لا يكاد يعرف، كما أن (لات حين مناص) كذلك. ررب شع هكذا وهو كقول بعضهم : هذه ملحفة جديدة في القلة^(٤).

ويقول : ما عبد الله خارجاً ولا معن ذاهب، ترفعه على أن لا تشرك الاسم الآخر في ما^(٥) ولكن بتبدله، كما تقول : ما كان عبد الله منطلقاً ولا زيد ذاهب إذا لم تجعله على كان^(٦) وجعلته غير ذاهب الآن، وكذلك (١) يقصد أن (ان) مشبهة بالفعل من حيث نصبه ورفع الفاعل، ولكنها أى أن ليست لها قوة الفعل أو تمكنه بحيث تقدم خبرها وتؤخر اسمها.

(٢) وهذا شرط آخر لأعمال (ما) عمل (ليس) وهو ألا يكون خبرها منفياً.
(٣) هذا البيت من البسيط ومحل الشاهد أن (مثل) خبر (ما) منصوب وهو مقدم وهذا - كما يقول سيبويه - لا يكاد يعرف. هذا بالإضافة إلى أن الفرزدق تسمى أى أنه يرفع الخبر مؤخراً فكيف ينصبه مقدماً.

(٤) في القلة، أى في الاستعمال القليل، فجديدة هنا بمعنى مجدودة أى مقطوعة وفعل بمعنى مفعول لا تلحقها هاء التأنيث، فتقول رجل قتل وامرأة فتيل وجندى جريح وامرأة جريح.
(٥) أى أن (ما) لا تعمل فيما بعد (الواو) وهو (معن) ويعرب مبتدأ و (ذاهب) يعرب خبراً.
(٦) أى أن (كان) لم تعمل في (زيد).

=/=

ليس. وإن شئت جعلتها لا التي يكون فيها الاشتراك فتنصب^(١) كما تقول
في كان : ما كان زيد ذاهباً ولا عمرو منطلقاً. وذلك قولك : ليس زيد
ذاهباً ولا أخوك منطلقاً وكذلك ما زيد ذاهباً ولا معن خارجاً.

وليس قولهم (لا يكون في ما إلا الرفع) بشيء، لأنهم يحتجون بأنك لا
تستطيع أن تقول ولا ليس ولا ما، فأنت تقول ليس زيد ولا أخوه ذاهبين وما
عمرو ولا خالد منطلقين، فتشركه مع الأول في ليس وفي ما. فما يجوز
فيها الوجهان كما يجوز في كان إلا أنك إن حملته على الأول المرفوع أو
إبتدأت فالمعنى أنك تنفى شيئاً غير كأن في حال حديثك، وكان الابتداء في
كان أوضح، لأن المعنى يكون على ما مضى وعلى هو الآن. وليس يمتنع
أن يراد به الأول كما أردت في كان.

ومثل ذلك قولك أن زيدا ظريف وعمرو وعمرا، فالمعنى في الحديث
واحد وما يراد من الأعمال مهتلف في كان وليس وما.

هذا باب الفاعلين والمفعولين اللذين كل واحد منهما يفعل بفاعله مثل
الذي يفعل به وما كان نحو ذلك^(٢) وهو قولك : ضربت وضربني زيد^(٣)

(١) أي أن الوجود في هذه الحالة للمعطف ويشترك (لا) معها في المعطف أيضاً مع تركيز النفي.

(٢) ويسمونه باب التنازع ففي مثل «ضربت وضربني زيد» نجد تفسيراً للمعدوان الذي كتبه سيبويه
فـ(زيد) فاعل، ومفعول به أيضاً، وكذلك الحال في ثاء الفاعل من (ضربت) إن أن الضرب وقع
منى وعلى، وقد سموه باب التنازع لأن هناك عاملين يتنازعا مفعولاً واحداً. وعكس هذا الباب
هو باب (الاشتغال) فيكون هناك معمولان وعامل واحد كآية الكريمة «والأنعام خلقتها لكم»
فالعامل (خلق) اشتغل بنصب الضمير (ها) عن العمل في مرجعه وهو (الأنعام).

(٣) «ضربت وضربني زيد» هنا أعمل سيبويه الفعل الثاني لمساوئته للمعمول وهذا مذهب
البصريين ل الثاني، أما المفعول به للفعل (ضربت) فهو مفهوم من الكلام^(١) و(زيد) فاعل للفع
ويحلف لأنه من الممكن الاستغناء عنه، فلا يقال (ضربته وضربني زيد) أما مذهب الكوفيين
فيعلمون الأول لتقدمه.

وضربني وضربت زيدا^(١)، تحمل الاسم على الفعل الذي يليه. فالعامل في اللفظ أحد الفعلين. وأما في المعنى فقد يعلم أن الأول قد وقع إلا أنه لا يعمل في اسم واحد نصب ورفع^(٢).

وإنما كان الذي يليه أولى لقرب جواره وأنه لا ينقض معنى، وأن المخاطب قد عرف أن الأول قد وقع بزيد، كما كان (خشنت^(٣) بصدرة وصدريه) وجه الكلام حيث كان الجر في الأول وكانت الباء أقرب إلى اسم من الفعل ولا تنقض معنى، سوا بينهما في الجر كما يستويان في النصب^(٤).

ومما يقوى ترك هذا لعلم المخاطب، قوله عز وجل: «والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات»^(٥) فلم يعمل الآخر فيما عمل فيه الأول استغناء عنه ومثل ذلك (ونخلع ونترك من يفجرك).

وجاء في الشعر من الاستغناء أشد من هذا، وذلك قول قيس بن الخطيم نحن بما عندنا وأنت بما عندك راض الرأي مختلف^(٦)

(١) «ضربني وضربت زيدا» هنا أصل سبويه الفعل الثاني أيضاً، وأما فاعل (ضربني) فهو ضمير تقديره (هو) ويظهر إذا كان مثنى أو جمعاً فتقول: «قاما وقعدا أعزك» وقاموا وقعدا إختلك.

(٢) أى إنك عندما تقول (ضربت وضربني زى) فزيد من جهة المعنى ضارب ومضروب، ولكنك أحملت، فعلاً واحداً ليس غير لأن الاسم لا يكون منصوباً ومرفوعاً فى آن واحد.

(٣) خشنت بصدرة أى أوعزت صدره. ويقصد أن الباء أقرب إلى الاسم (صدر) من الفعل (خشنت) لذا كان الجر أولى من النصب، وأعمال (الباء) أولى من أعمال الفعل.

(٤) فتقول في حالة النصب خشنت صدره وصدريه.

(٥) من الآية ٣٥ من سورة الأحزاب والشاهد فيها حلف ضمير المفعول به من الحافظات والذاكرات لدلالة ما تقدم، والتقدير والحافظات والذاكرات.

(٦) هذا البيت من المشرح والشاهد فيه حلف الخبر «نحن بما عندنا راضون» إكتفاء بخبر (أنت) وفي هذا تقوية لحذف المفعول به في باب التنازع.

وقال ضايئ البرجمي :

فمن بك أمس بالمدينة رحله فإني وقيارا بهسا لغريب^(١)

وقال ابن أحمر :

رمانى بأمر كنت منه ووالدى بريئاً من أجل الطوى رمانى^(٢)

فوضع فى موضع الخبر لفظ الواحد لأنه قد علم أن المخاطب سيستدل به على أن الآخرين فى هذه الصفة. والأول أجود لأنه لم يضع واحداً فى موضع جمع، ولا جمعاً فى موضع واحد^(٣).

ومثله قول الفرزدق :

إنى ضمنت لمن أتانى ماجن وأبى فكان وكنت غير عدول^(٤)

ترك أن يكون للأول خبر حين استغنى بالآخر لعلم المخاطب أن الأول قد دخل فى ذلك. ولو لم تحمل الكلام على الآخر لقلت : ضربت

(١) البيت من الطويل والشاهد فيه كالشاهد فى الذى قبله، فقد حذف خبر (فانى) والتقدير (فانى لغريب) وقار هنا اسم فرس الشاعر. والنجاة يستشهدون بهذا البيت أيضاً على جواز العطف بالنصب على اسم (إن) قبل إكمال الخبر.

(٢) البيت من الطويل والشاهد فيه كالشاهد فى الذى قبله، فقد حذف خبر (كان) لدلالة ما بعده عليه و (الطوى) اسم بئر كان بين الشاعر وبين خصومه عداوة من أجله، وكل ماضى من شواهد لتقوية حذف المفعول به فى باب التنازع إذا دل عليه دليل فإن الخبر فى تلك الشواهد وهو من العمدة قد حذفه فكيف لا يحذف المفعول به وهو من المكملات أو الفضلات.

(٣) يقصد بالأول أجوده أى المفعول به حذفه أجود لأن الشواهد الشعرية كان حق خبرها أن يكون جمعاً ولكنه استعمل المفرد مكان الجمع.

(٤) البيت من الكامل والشاهد فيه حذف خبر (كان) لدلالة ما بعدها عليه كباقي الشواهد.

وضربني قومك^(١)، وإنما كلامهم : ضربت وضربني قومك^(٢)، وإذا قلت
ضربني، لم يكن سبيل للأول، لأنك لا تقول ضربني وأنت تجعل المضمر
جمعاً^(٣)، ولو أعملت الأول لقلت : مررت ومر بي يزيد. وإنما قبح هذا^(٤)
أنهم قد جعلوا الأقرب أولى إذا لم ينقض معنى. قال الشاعر وهو الفرزدق :
ولكن نصفاً لو سببت وسبني بنو عبد شمس من مناف وهاشم^(٥)
وقال طفيل الغنوي :

وكمتا مدامة كأن منونها جرى فوقها ما واستشعرت لون مذهب^(٦)
وقال رجل من باهلة :

ولقد أرى تغنى به سفيانة تصبى الحليم ومثلها أصبأ^(٧)

-
- (١) في هذا المثال «ضربت وضربني قومك» أعمل الفعل الأول ومن ثم نصب (قومك) على المفعولية.
- (٢) يتضح من قول سيبويه «وإنما كان كلامهم» أي الواجب إعمال الثاني لقرنه من المفعول وذلك ملهب البصريين كما تقدم.
- (٣) فكان الواجب في هذه الحالة أن تقول (ضربوني) وتنصب ما بعدها على أنها مفعول به للأول.
- (٤) أي قبح أعمال الفعل الأول.
- (٥) هذا البيت من الطويل (ونصفاً) معناه (عدلاً) أي أن الفرزدق يتساوى مع عبد شمس فمن الإنصاف أن يتبادل الشتائم معهم، وليس مع غيرهم ممن هم أدنى مرتبة من هم ومحل الشاهد في البيت أنه أعمل الفعل الثاني (سبني).
- (٦) هذا البيت من الطويل (كمتا) جمع كميته وهي الخيل المشوبة بالحمرة والشاهد فيه كالشاهد في الذي قبله وهو أعمال الفعل الثاني (استشعرت).
- (٧) السيفانة : المشوكة القد، وتغنى به أي تقيم به أي أنه يرى سيفانة تقيم بهذا المنزل سيفانة ثم حذف المفعول من الفعل الأول فلم يعمل وأعمل الثاني فأخذ فاعلاً بعده. والبيت من الكامل وليس من الطويل كما جاء في الكتاب طبعة المثني بغداد.

فالفعل الأول في كل هذا معمل في المعنى وغير معمل في اللفظ،
والآخر معمل في اللفظ والمعنى.

فإن قلت : ضربت وضربوني قومك نصبت، إلا في قول من قال :
أكلوني البراغيث، أو تحمله على البدل فتجعله بدلاً من المضمر، كأنك
قلت : ضربت وضربني ناس بنو فلان^(١).

وعلى هذا الحد تقول : ضربت وضربني عبد الله، تضمر في ضربني^(٢)
كما أضمرت في ضربوني.

فإن قلت ضربني وضربتهم قومك رفعت لأنك شغلت الآخر فأضمرت
فيه، كأنك قلت ضربني قومة وضربتهم على التقديم والتأخير، إلا أن تجعل
ههنا البدل كما جعلته في الرفع^(٣) فإن فعلت ذلك لم يكن بدلاً من
ضربوني لأنك تضمر فيه الجمع. قال عمر بن أبي ربيعة :

إذا هي لم تستك بعود أراكة

تنخل، فاستاكت به، عود اسحل^(٤)

(١) إذا قلت «ضربت وضربوني قومك» كان لابد من نصب، لأنك أعملت الفعل الأول، ووفيت
الثاني فاعله ومفعوله، فلم يبق للأول إلا (قومك) مفعولاً به. أما إذا قلت (ضربوني) على لغة
أكلوني البراغيث، فيمكن إستبدال (ضربني) بها، ومن لم كان من الممكن رفع (قومك) ومن
الممكن أيضاً رفع (قومك) على أساس أنها بدل من الضمير الجمع في (ضربوني).

(٢) أي تضمر الفاعل في ضربني.

(٣) إذا قلت «ضربني وضربتهم قومك» ضربني وضربتهم فأنت قد أعملت الأول، لأن الثاني قد أخذ
فاعله ومفعوله، وتكون (قومك) فاعلاً للفعل الأول، ولكن من الممكن أن تنصب (قومك) على
أنها بدل من ضمير المفعول في (ضربتهم) وفي هذه الحالة لابد أن توفي الفعل الأول فاعله
فلا بد من أن تضمره فيه فتقول (ضربوني).

(٤) هذا البيت من الطويل، والإدراك والأسحل من أفضل شجر السواك وتنخل بمعنى اختير، والشاهد
أن هناك فعلين لدخل، واستاكت، فأعمل الأول وأضمر في الثاني.

لأنه أضمر في آخر الكلام، وقال المزارع الأسدي :

فرد على الفؤاد هوى عميدا وسوئل لو يمين لنا سؤالا
وقد تغنى بها وترى عصوراً بها يفتدنا الخرد الخدالا^(١)
حدثنا به أبو الخطاب عن شاعره .

وإذا قلت ضربوني وضربتهم قومك جعلت القوم بدلاً من هم، لأن الفعل لا بد له من فاعل، والفاعل هنا جماعة وضمير الجماعة الواو.

وكذلك تقول : ضربوني وضربت قومك، إذا أعملت الآخر فلا بد في الأول من ضمير الفاعل لئلا يخلو من فاعل وإنما قلت : ضربت وضربني قومك فلم تجعل في الأول الهاء والميم، لأن الفعل قد يكون بغير مفعول ولا يكون الفعل بغير فاعل^(٢).

وقال أمرو القيس :

فلو أن أسعى لأدنى معيشة كفاني ولم أطلب قليل من المال^(٣)

(١) البيتين من الواقع ومعناها : رد المنزل أي أرجع، هوى عميدا أي وجدنا شديداً، وبين فعل مضارع والماضى أبان رباعى، فيضم أول مضارعه (وسؤالا) مفعول به، أي نقيم في هذه الديار وعصوراً منصوب على الظرفية. ويفتدنا أي يملن بنا والخرد جمع خريدة وهى الحساء الحية والخدال جمع خدله وهى الغليظة الساق الناعمة. والشاهد في البيتين قوله «نرى يفتدنا الخرد الخدالا» حيث أعمل الفعل الأول (نرى) فنصب الخرد على المفعولية، أما الفعل الثانى فقد استوفى فاعله وهو (نون) الآتات ومفعوله وهو ضمير المتكلمين.

(٢) وذلك لأن الفاعل من ركنى الجملة الفعلية (عمدة) بعكس المفعول به فهو فضله أو من مكملات الجملة الفعلية.

(٣) البيت من الطويل والشاهد فيه كفاني - ولم أطلب - قليل من المال أعمل الفعل الأول، وقليل فاعله وضمير المتكلم مفعوله. أما الفعل الثانى فاضمر فيه فاعله. والأعمال هنا لسبب بلاغى كما يراه سيويه - فإن أمراً القيس جعل للملك هو المطلوب وليس القليل من المال.

فإنما رفع أنه لم يجعل القليل مطلوباً، وإنما كان المطلوب عنده الملك وجعل القليل كافياً، ولو لم يرد ذلك ونصب فسد المعنى.

وقد يجوز ضربت وضربني زيدا، لأن بعضهم قد يقول : متى رأيت أو قلت زيدا منطلقاً، والوجه متى رأيت أو قلت زيد منطلقاً^(١).

ومثل ذلك في الجواز ضربني وضربت قومك، والوجه أن تقول : ضربوني وضربت قومك، فتحمله على الآخر، فإن قلت : ضربني وضربت قومك فجائز وهو قبيح^(٢)، أن تجعل اللفظ كالواحد كما تقول : هو أحسن الفتیان وأجمله وأكرم بنيه وأنبله^(٣).

(١) هذه لفظة بدية من لفتات سيبويه - رحمة الله عليه - ففي مثل «ضربت وضربني زيدا» أحمل الأول، كما تحمل الأول أيضاً في قولك «متى رأيت أو قلت زيدا منطلقاً» فقد أحمل الفعل (رأى) بنصب مفعولين ولكن الأصح أن تحمل الثاني (قلت) وفعل القول يحمل في الجملة كلها فهي في محل نصب مقول القول، إلا أن جزأى الجملة (زيد) و (منطلق) يظلان كما هما.

(٢) قبيح لأنك تضمير الفاعل في قولك : «ضربني وضربت قومك» إذ كان الوجه أن يقال ضربوني وضربت قومك.

(٣) فكان الواجب القول : هو أحسن الفتیان وأجملهم وأكرم بنيتهم وأنبليهم.

هذا باب مجارى أواخر الكلم من العربية

وهي تجرى على ثمانية مجار : على النصب والجر والرفع والجزم، والفتح والضم والكسر والوقف^(١).

هذه المجارى الثمانية يجمعهن في اللفظ أربعة أضرب فالنصب والفتح في اللفظ ضرب واحد، والجر والكسر فيه ضرب واحد، وكذلك الرفع والضم، والجزم والوقف.

وإنما ذكرت (لك) ثمانية مجار لأفرق بين ما يدخله ضرب من هذه الأربعة لما يحدث فيه العامل - وليس شئ منها إلا هو يزول عنه - وبين ما ينشأ عليه الحرف بناء لا يزول عنه لغير شئ أحدث ذلك فيه من العوامل التي لكل عامل منها ضرب من اللفظ في الحرف، وذلك الحرف حرف الإعراب^(٢).

فالرفع والجر والنصب والجزم لحروف الإعراب. وحروف الإعراب للأسماء المتمكنة^(٣)، وللأفعال المضارعة لأسماء الفاعلين التي في أوائلها الزوائد الأربع : الهمزة، والتاء، والياء، والنون. وذلك (قولك) : أفعل أنا، وتفعل أنت أو هي، ويفعل هو، ونفعل نحن.

والنصب في الأسماء : ريت زيدا، والجر : مررت بزيدا، والرفع : هذا زيد وليس في الأسماء جزم، لتمكنها وللحاق التنوين، فإذا ذهب التنوين لم يجمعوا على الاسم ذهابه وذهاب الحركة.

(١) الأربعة الأولى للإعراب، والأربعة الأخرى للبناء، ويسمى الوقف أحيانا مكنونا.

(٢) وهو الحرف الأخير من الكلمة.

(٣) ينقسم الاسم إلى متمكن وغير متمكن، والمتمكن ينقسم بدوره إلى متمكن أمكن وهو المتأصل في الاسم وتظهر عليه علامات الإعراب نحو (محمد) ومتمكن غير أمكن وهو ما ليس معربا إعرابا كاملا كالممنوع من الصرف، وقد اشترك في صفة من صفات الفعل نحو (أحمد). أما الاسم غير المتمكن فهو الذى فقد صفة من صفاته الاسمية في صفة من صفاته الحرفية، وهو ما يطلق عليه (المبني) كأسماء الإشارة والاستفهام والضمائر.

والنصب في المضارع من الأفعال : لن يفعل، والرفع : سيفعل، والحزم لم يفعل. وليس في الأفعال المضارعة جر كما أنه ليس في الأسماء جزم، لأن المجرور داخل في المضاف إليه معاقب للتنوين، وليس ذلك في هذه الأفعال^(١)، وإنما ضارعت أسماء الفاعلين أنك تقول : إن عبد الله ليفعل، فيوافق قولك : لفاعل، حتى كأنك قلت : أن زيدا لفاعل فيما تريد من المعنى، وتلحقه هذه اللام كما لحقت الاسم ولا تلحق فعل اللام^(٢) وتقول سيفعل ذلك وسوف يفعل ذلك فتلحقها هذين الحرفين لمعنى كما تلحق اللام الأسماء للمعرفة.

ويبين لك أنها ليست بأسماء أنك لو وضعتها مواضع الأسماء لم يجر ذلك^(٣). ألا ترى إنك لو قلت أن يضرب يأتينا^(٤) وأشباه هذا لم يكن كلاماً؟ إلا أنها ضارعت الفاعل^(٥) لاجتماعها في المعنى. وسنرى ذلك أيضاً في موضعه.

وللدخول اللام قال الله جل ثناؤه : ﴿وإن ربك ليحكم بينهم﴾ أى الحاكم. ولما لحقها السين وسوف كما لحقت الاسم والألف واللام للمعرفة^(٦) وأما الفتح والكسر والضم والوقف فلا أسماء غير المتمكنة المضارعة عندهم ما ليس باسم ولا فعل مما جاء لمعنى ليس غير، نحو سوف

(١) الأفعال لا يضاف إليها، لأنها ليست بدوات. وإذا كان الاسم متروكاً ثم أضيف إليه آخر حذف التنوين من الأول، لذلك قيل إن التنوين والألف واللام لا يتفقان مع المضاف.

(٢) يقصد أن الفعل الماضي لا تلحقه اللام.

(٣) يدلل هنا أن الأفعال المضارعة تشابه الأسماء ولكنها ليست بأسماء.

(٤) أى بعد استبدال اسم يضرب والأصل أن محمداً سيأتينا مثلاً.

(٥) يقصد اسم الفاعل.

(٦) يقارن هنا بين دخول السين وسوف على الفعل ودخول الألف واللام على الاسم.

وقد^(١) وللأفعال التي لم تجر مجرى المضارعة^(٢)، وللحروف التي ليست بأسماء ولا أفعال ولم تجيء إلا للمعنى.

فالفتح في الأسماء قولهم : حيث وأين وكيف، والكسر فيها نحو : أولاء وحذار وبداد^(٣)، والضم نحو : حيث وقبل وبعد، والوقف نحو : من وكم وقط وإذ^(٤).

والفتح في الأفعال التي لم تجر مجرى المضارعة قولهم : ضرب^(٥) وكذلك كل بناء من الأفعال كان معناه فعل. ولم يسكنوا آخر فعل. لأن فيها بعض ما في المضارعة^(٦)، تقول : هذا رجل ضاربنا، فتصف بها النكرة وتكون في موضع ضارب إذا قلت هذا رجل ضارب. وتقول : إن فعل فعلت، فيكون في معنى ان يفعل أفعل، فهي فعل كما أن المضارع فعل وقد وقعت موقعها في أن، ووقعت موقع الأسماء في الوصف^(٧) كما تقع المضارعة (في الوصف)، فلم يسكنوها كما لم يسكنوا من الأسماء ما ضارع المتمكن ولا ما صير من المتمكن في موضع بمنزلة غير المتمكن

(١) يقصد الأسماء المبيته وما جاء به من أمثلة فهي من الحروف وليست من الأسماء.

(٢) وهي الفعل الماضي وفعل الأمر.

(٣) حذار وبداد من الفعل حذر والفعل بدد أى فرق وهما أسماء للفعل على وزن فعال فيبنيان وأمثالهما على الكسر.

(٤) قط بمعنى حسب وتعرب إعرابها نحو قطك رضا الله عنك فهي هنا مبتدأ ثم مضاف إليه ورضا خبرها ولفظ الجلالة مضاف إليه وإذ تكون ظرفاً لما مضى من الزمان أو تضاف إلى الظروف كما في الآية : ﴿..... بعد إذ هديتنا﴾.

(٥) قولهم خبر المبتدأ (الفتح) ويقصد بالأفعال التي لم تجر مجرى المضارعة الأفعال الماضية.

(٦) آخر (فعل) أى آخر الفعل الماضي، ولأن فيها بعض ما في المضارعة، أى أن فيه سمات تشبه سمات الفعل المضارع.

(٧) أى اسم الفاعل.

فالمضارع^(١) : من عل، جرؤه لأنهم قد يقولون من على فيجرونه، وأما المتمكن الذى جعل بمنزلة غير المتمكن فى موضع فقولك أبدأ بهذا أول، ويا حكم.

والوقف قولهم : اضرب فى المر، لم يحركوها لأنها لا يوصف بها^(٢) ولا تقع موقع المضارعة^(٣)، فبعدت من المضارعة بعد كم وإذ من المتمكنة. وكذلك كل بناء من الفعل كان معناه أفعل.

والفتح فى الحروف التى ليست إلا معنى وليست بأسماء ولا أفعال قولهم : سوف، وثم^(٤).

والكسر فيها قولهم فى باء الإضافة ولا مها : يزيد، ولزيد والضم فيها : منذ فيمن جرّبها، لأنها بمنزلة من فى الأيام^(٥) والوقف فيها قولهم : من وهلا، بل وقد، ولا ضم فى الفعل^(٦)، لأنه لم يجرى ثالث سوى المضارع^(٧)، وعلى هذين المعنيين بناء كل فعل بعد المضارع^(٨).

وأعلم إنك إذا ثبت الواحد لحقته زيادتان : الأولى منهما حرف المد واللين وهو حرف الإعراب غير متحرك ولا منون، يكون فى الرفع ألفاً، ولم

(١) أى المضارع المتمكن أى الذى يشبه الاسم المتمكن.

(٢) فلا يقال هذا الرجل اضرب.

(٣) فلا يقال أن اضرب تفز.

(٤) كان يجب أن يكون موضع هذه الجملة فى أول كلامه عن المبتدآت.

(٥) منذ إذا جاء بعدها جملة تكون ظرفاً : فرحت منذ رأيتك، أما إذا جاء بعدها اسم فتكون حرفاً يجر ما وراءه مثل : فرحت منذ يومين أى فرحت من يومين، وهذا هو معنى قوله «لأنها بمنزلة من فى الأيام».

(٦) يلاحظ أن الماضى المتصل بواو الجماعة يبنى على الضم نحو قاموا ولعبوا.

(٧) أى ليس هناك إلا الماضى والأمر لم المضارع.

(٨) معنى المضى ومعنى الأمر.

يكن واو ليفصل بين التثنية والجمع الذى على حد التثنية^(١)، ويكون فى الجرياء مفتوحاً ما قبلها ولم يكسر ليفصل بين التثنية والجمع الذى على حد التثنية وإراً^(٢) ويكون فى النصب كذلك^(٣)، ولم يجعلوا الفاء ليكون مثله فى الجمع، وكان مع ذا أن يكون تابعا لما الجر منه أولى، لأن الجر للإسم لا يجاوز^(٤).

والرفع قد ينتقل إلى الفعل^(٥) فكان هذا أغلب وأقوى، وتكون الزيادة الثانية نوناً كأنها عوض لما منع من الحركة والتنوين، وهى النون وحركتها الكسر^(٦)، وذلك كقولك : هما الرجلان، ورأيت الرجلين، ومررت بالرجلين.

وإذا جمعت على حد التثنية لحقتها زائدتان : الأولى منهما حرف المد والسين، والثانية نون. وحال الأولى فى السكون وترك التنوين وإنها حرف الإعراب حال الأولى فى التثنية، إلا أنها واو مضموم ما قبلها فى الرفع، وفى الجر والنصب ياء مكسور ما قبلها ونونها مفتوحة^(٧) فرقوا بينهما وبين نون الاثنين كما أن حرف اللين الذى هو حرف الإعراب مختلف فيها. وذلك قولك : المسلمون، ورأيت المسلمين ومررت بالمسلمين ومن ثم جعلوا تاء

(١) أى جمع المذكر السالم.

(٢) المحدثين والمحدثين، ما قبل الياء فى المثنى فتح وفى الجمع مكسور.

(٣) أى ينصب بالياء.

(٤) يعلى لعدم جعل نصب المثنى بالألف، بل بالياء حتى يكون مشابها لنصب الجمع، وحتى يكون النصب مشابهاً للجر الذى هو بالياء، إذ النصب فى الأسماء أولى به ما يشبه الجر وهو الياء، لأن الجر يجوز للإسم ولا يجوز للفعل فى حين أن الرفع يجوز للفعل أيضاً.

(٥) النون فى رأيت الرجلين عوض عن التنوين فى (رأيت رجلاً).

(٦) النون فى الجمع مفتوحة وفى المثنى مكسورة.

الجمع فى الجر والنصب مكسورة لأنهم جعلوا التاء التى هى حرف الإعراب كالواو والياء، والتنوين بمنزله النون لأنها فى التأنيث نظيره الواو والياء فى التذكير فأجروها مجراها^(١).

وأعلم أن التشنية إذا لحقت الأفعال المضارعة علامة للفاعلين لحقتها ألف ونون، ولم تكن الألف حرف الإعراب لأنك لم ترد أن تـ يـ يفعل هذا البناء فتضم إليه بفعل آخر^(٢)، ولكنك إنما لحقته هذا علامه للفاعلين، ولم تكن منونه، ولا يلزمها الحركة لأنه يدركها الجزم والسكون فتكون الأولى حرف الإعراب، والثانية كالتنوين^(٣). فكما كانت حالها فى الواحد غير حال الاسم وفى التشنية لم تكن بمنزلة^(٤)، فجعلوا إعرابه فى الرفع ثبات النون لتكون له فى التشنية علامة للرفع كما كان فى الواحد إذ منع حرف الإعراب.

وجعلوا النون مكسورة كحالها فى الاسم، ولم يجعلوها حرف الإعراب

(١) فى الأمثلة : رأيت مسلمات. جاءت مسلمات. مروت بمسلمات. ليست التاء هى حرف الإعراب تظهر الياء والواو فى الجمع كما يقول سيبويه بل الإعراب هو الحركة التى على التاء، إذ إنى لو قلت (مسلمات) فلا يظهر من التاء رفع أو نصب أو جر، ويدل أن سيبويه يقصد بالتاء الحرف الذى يظهر عليه علامة الإعراب.

(٢) أى إنك عندما تقول : (المحمدان يلعبان) فليس المقصود تشنية الفعل (يلعب) حتى تكون الألف فيه حرف إعراب، بل الألف هى الفاعل وحرف الإعراب هى النون التى تثبت فى الرفع وتختلف فى حالتى النصب والجرم : يلعبان، لم يلعبا. لن يلعبا.

(٣) الأولى وهى الألف والثانية وهى النون ويقصد سيبويه أن يتفى هذا الكلام فليس الألف حرف إعراب والنون عوضاً عن التنوين فى قولك : يلعبان بل الألف ضمير فاعل والنون هى حرف الإعراب، وإنما يتحقق ذلك فى مثنى الواحد نحو محمدان، فالألف هنا حرف إعراب والنون عوض عن التنوين.

(٤) أى حال (يفعل) غير حال الاسم المفرد، وكذلك حال (يفعلان) غير حال المثنى.

إذ كانت متحركة لا تثبت في الجزم ولم يكونوا ليحذفوا الألف لأنها علامة الإضممار والتثنية في قول من^(١) قال : أكلوني البراغيث، وبمنزله التاء في قلت وقالت، فأثبرتوها في الرفع وحذفوها في الجزم كما حذفوا الحركة في الواحد^(٢) ووافق النصب الجزم في الحذف كما وافق النصب والجزم في الأسماء^(٣) لأن الجزم في الأفعال نظير الجزم في الأسماء، والأسماء ليس لها في الجزم نصيب كما أنه ليس للفعل في الجر نصيب. وذلك قولك، هما يفعلان، ولم يفعلا ولن يفعلا.

وكذلك إذا لحقت الأفعال علامة للجمع لحقتها زائد ثان، إلا أن الأولى واو مضموم ما قبلها لئلا يكون الجمع كالتثنية، ونونها مفتوحة بمنزلتها في الأسماء كما فعلت ذلك التثنية، لأنهما^(٤) وقعنا في التثنية والجمع كما أنها في الأسماء كذلك وهو قولك، هم يفعلون ولم يفعلوا ولن يفعلوا.

وكذلك إذا لحقت التأنيث في المخاطبة إلا أن الأولى ياء وتفتح النون لأن الزيادة التي قبلها بمنزلة الزيادة التي في الجمع^(٥) وهي تكون في الأسماء في الجر والنصب^(٦)، وذلك قولك : أنت تفعلين، ولم تفعلين، ولن تفعلين.

(١) يعلل لحذف النون في الجزم نحو (لم يلما) وعدم حذف الألف.

(٢) حذفوا الحركة في الواحد عند جزمه نحو : لم يفعل.

(٣) ينصب ويجزم يفعلان بحذف النون، كما يجر المثنى وينصب بالياء.

(٤) أي لأن التوئين.

(٥) فكلاهما قاعل أقصد ياء المخاطبة في (تفعلين) و (واو الجماعة) في يفعلون.

(٦) أي أن الياء علامة إعراب في المثنى (محمدين) و الجمع (محمدين).

وإذا أردت جمع المؤنث في الفعل المضارع الحقت للعلامة نوناً وكانت علامة الإضمار والجمع فيمن قال أكلوني البراغيث^(١).

وأسكنت ما كان في الواحد حرف الإعراب^(٢)، كما فعلت ذلك في فعل حين قلت فعلت وفعلن، فأسكن هذا هنا وبنى على هذه العلامة، كما أسكن فعل، لأنه فعل كما أنه فعل^(٣) وهو متحرك كما أنه متحرك ليس هذا بأبعد فيها - إذ كانت هي وفعل شيئاً واحداً - من يفعل - إذا جاز لهم فيها الإعراب حين ضارعت الأسماء وليست باسم، وذلك قولك : من يفعلن ولن يفعلن ولم يفعلن. وتفتحها لأنها نون جمع ولا تحذف لأنها علامة إضمار وجمع في قول من قال أكلوني البراغيث، فالتون هنا في يفعلن بمنزلتها في فعلن. وفعل بلام يفعل ما فعل بلام فعل لما ذكرت لك^(٤)، ولأنها قد تبنى مع ذلك على الفتحة في قولك هل تفعلن^(٥)، وألزموا لام فعل السكون وبنوها على العلامة وحذفوا الحركة لما زادوا، لأنها في الواحد ليست في آخرها حرف إعراب^(٦) لما ذكرت لك.

وأعلم أن بعض الكلام أثقل من بعض، فالأفعال أثقل من الأسماء لأن

(١) أي إذا قلت «البنات يقمن» كانت نون النسوة فاعلاً أما إذا قلت «يقمن البنات» على لغة (أكلوني البراغيث) كانت النون علامة لجمع الإناث.

(٢) يفعل : حرف الإعراب وهو اللام عند إساده إلى ضمير الإناث يبنى على السكون : يفعلن.

(٣) أي أن كلاً من (فعل) و (يفعل) فعل.

(٤) أي أن ما جرى من تغير على حرف اللام في (فعل) هو نفسه التغير الذي جرى على حرف اللام في (يفعل)، وذلك لأن كليهما فعل.

(٥) الفعل المضارع معرب إلا إذا اتصلت به نون النسوة فيبنى على السكون ونون التوكيد فيبنى على الفتح.

(٦) أي لأن (فعل) ليست معربة، بل الحركة على آخرها، وهي الفتحة على اللام علامة بناء.

الأسماء هي الأولى، وهي أشد تمكناً، فمن ثم لم يلحقها^(١) تنوين ولحقها
الجزم والسكون وإنما هي من الأسماء^(٢)، ألا ترى أن الفعل لابد له من
الاسم وإلا يكن كلاماً، والاسم قد يستغنى عن الفعل، تقول: الله الهنا،
وعبد الله اخونا^(٣).

وأعلم أن ما ضارع الفعل المضارع من الأسماء في الكلام ووافقه في
البناء أجرى لفظه مجرى ما يستثقلون ومنعوه ما يكون لما يستخفون وذلك
نحو أبيض وأسود وأحمر وأصفر فهذا بناء أذهب وأعلم فيكون في موضع
الجر مفتوحاً، استثقلوه حين قارب في الكلام ووافق في البناء^(٤).

(١) أى لم يلحق الأفعال.

(٢) أى مشتقة من الأسماء فضرب مثلاً مشتق من الضرب.

(٣) أى أن المسند ربما يكون اسماً أو فعلاً ولكن المسند إليه لابد أن يكون اسماً نحو (محمد مجتهد)
أو (جاء محمد).

(٤) هذه الأسماء لم تكتسب خاصية باقى الأسماء وهي الجر بالكسرة بل تجر بالفتحة لأنها شابهت
الفعل في الوزن، وهو ما نطلق عليه الممنوع من الصرف للوزن والصفة وهناك ما يمنع أيضاً للوزن
والصفة نحو أحمد ويشكر وزيد.

هذا باب المسند والمسند إليه

وهما مالا يغنى واحد منهما على الآخر، ولا يحد المتكلم منهما بدأً، فمن ذلك الاسم المبتدأ والمبنى عليه^(١) وهو قولك: عبد الله أخوك، وهذا أخوك.

ومثل ذلك يذهب عبد الله، فلا بد للفعل من الاسم كما لم يكن للاسم الأول بد من الآخر في الابتداء.

وما يكون بمنزلة الابتداء قولك: كان عبد الله منطلقاً إن زيدا منطلق لأن هذا يحتاج إلى مابعد كاحتياج المبتدأ إلى مابعد^(٢).

وأعلم أن الأسم أول أحواله الابتداء، وإنما يدخل الناصب والرافع سوى الابتداء والجار على المبتدأ^(٣)، إلا ترى إن ما كان مبتدأ قد تدخل عليه هذه الأشياء حتى يكون غير مبتدأ، ولا تصل إلى الابتداء مادام مع ما ذكرت لك إلا أن تدعه. وذلك إنك إذا قلت عبد الله منطلق إن شئت أدخلت رأيت عبد الله منطلقاً أو شئت قلت كان عبد الله منطلقاً، أو مررت بعبد الله منطلقاً، فالمبتدأ أول جزء، كما كان الواحد أول العدد، والنكرة قبل المعرفة^(٤).

(١) أي ما بنى عليه المبتدأ وهو ما اصطلاحنا على تسميته بالخبر.

(٢) أي أن اسم كان واسم (أن)، كلاهما محتاج إلى الخبر كاحتياج المبتدأ إليه.

(٣) بعد قليل يرى سببوه أن الناصب والرافع والجار جميعها تدخل على المبتدأ.

(٤) النكرة قبل المعرفة، لأن النكرة تدل على مجهول، والأصل في الشئ أن يكون مجهولاً ثم يعرف.

هذا باب الفعل الذى يتعدى اسم الفاعل إلى اسم

المفعول

واسم الفاعل والمفعول، فيه لشيء واحد^(١)

فمن ثم ذكر على حدته ولم يذكر مع الأول^(٢) ولا يجوز فيه الاقتصار على الفاعل كما لم يجر فى ظننت الاقتصار على المفعول الأول^(٣)، لأن حالك فى الاحتياج إلى الآخر فيها كحالك فى الاحتياج إليه ثمة، وسنبين لك إن شاء الله.

وذلك قولك : كان ويكون، وصار، ومادام، وليس، وما كان، ونحوهن من الفعل مما لا يستغنى عن الخبر^(٤)، تقول : كان عبد الله أخاك، فإنما أردت أن تخبر عن الأخوة، وأدخلت كان لتجعل ذلك فيما مضى، وذكرت الأول كما ذكرت المفعول الأول فى ظننت وأن شئت قلت : كان أخاك عبد الله، فقدمت وأخرت كما فعلت ذلك فى ضرب^(٥) لأنه فعل مثله وحال التقديم والتأخير فيه كحاله فى ضرب، إلا أن اسم الفاعل والمفعول فيه شيء واحد.

(١) إسم الفاعل يقصد به ما كان مبتدأ والمفعول ما كان خبراً وذلك قبل دخول (كان) عليهما، والاثنتان لشيء واحد لأن المبتدأ هو عين الخبر.

(٢) مع الأول يقصد به الفعل الذى يتعدى الفاعل إلى مفعولين نحو «ظن محمد أخاه ذاهباً».

(٣) أى لا تستطيع أن تقول «كان محمد... وتسكت، كما لا تستطيع أن تقول «ظن محمد أخاه... وتسكت، إلا أن تكون (ظن) بمعنى (الهم).

(٤) كان وأخواتها هى كان وظل وبات وأضحى وأمسى وليس وما برح وما فتى وما إنفك. والذى ذكره سيبويه بعض منها.

(٥) نحو ضرب المسع المعلم فالتقديم والتأخير هنا كالتقديم والتأخير فى «كان أخاك عبد الله» إلا أن المبتدأ أو الخبر فى المثال الثانى لشيء واحد.

وتقول : كناههم تقول ضربناهم : إذا لم نكنهم فمن ذا يكونهم، كما
تقول إذا لم نضربهم. فمن يضربهم قال أبو الأسود الدؤلى :
فإن لا يكنها أو تكنه فإنه أنخوها غنثه أمه بلبانها^(١)

فهو كائن ومكون، كما تقول ضارب ومضروب.

وقد يكون لكان موضع اخر يقتصر على الفاعل فيه^(٢) تقول : قد كان
عبد الله أى قد خلق عبد الله وكان الأمر. أى وقع الأمر. وقد دام فلان،
أى ثبت. كما تقول رأيت زيدا تريد رؤية العين^(٣)، وكما تقول : أنا وجدته
تريد وجدان الضالة، وكما يكون أصبح وأمسى مرة بمنزلة قولك استيقظوا
وناموا^(٤).

فأما ليس فإنه لا يكون فيها ذلك، لأنها وضعت موضعاً واحداً ومن ثم
لم تصرف تصرف الفعل الآخر^(٥).

فما جاء على وقع قوله^(٦)، وهو مقاس العائذى :

فدى لبنى ذهل بن ثيبان ناقتى

-
- (١) هذا البيت من الطويل وأتى به سيبويه ليدل على أن (كان) منصرفة فقد اتصل بها ضمير خبرها،
كما اتصل بالفعل (ضرب) ضمير مفعوله ومعناها إن لم يكن النبيذ هو الخمر، فهو أنخوها، لأن
الائتين من العنب، يحض على شره وترك الخمر على مذهب المراقبين.
- (٢) وهو ما نطق عليه العامة نحو كان الظلم وكان الطغيان أى حدث ووقع.
- (٣) أى أهرت زيدا، وإذا جاء منصوب بعد ذلك فيرفع ويرب (حالا) نحو رأيت زيدا قادماً. وأما إذا
كانت (رأى) الحلية فيأتى بعدها مفعولان نحو (أرأى أعصر خمرًا).
- (٤) نحو «صبحان الله حيس تمسون وحين تصبحون».
- (٥) أى أن (ليس) لا تكون ناقصة ولا تأتى تامة.
- (٦) أى : فما جاء من كان على معنى (وقع)، أى تامة.

إذا كان يوم ذو كواكب أشهب^(١).

(أى إذا وقع)، وقال الآخر، عمرو بن شأس :

بنى أسد هل تعلمون بلائاً

إذا كان يوم ذو كواكب أشنعاً^(٢).

أضمر لعلم المخاطب بما يعنى، وهو اليوم. وسمعت بعض العرب تقول
أشنعاً ويرفع ما قبله، كأنه قال : إذا وقع يوم ذو كواكب أشنعاً^(٣).

وأعلم أنه إذا وقع فى هذا الباب نكرة ومعرفة فالذى تشتغل به كان
المعرفة لأنه حدد الكلام، لأنهما شئ واحد، وليس بمنزلة قولك : ضرب
رجل زيدا لأنهما شيان مختلفان^(٤)، وهما فى كان بمنزلةتهما فى الابتداء
إذا قلت عبد الله منطلق تبتدئ بالأعرف ثم تذكر الخبر، وذلك قولك :
كان زيد حليماً وكان حليماً زيدا، لا عليك أقدمت أم أخرت، إلا أنه على
ما وصفت لك فى قولك : ضرب زيدا عبد الله. فإذا قلت : كان زيد فقد
ابتدأت بما هو معروف عنده مثله عندك فإنما ينتظر الخبر. فإذا قلت :
حليماً فقد أعلمته بمثل ما علمت. فإذا قلت كان حليماً فإنما ينتظر أن
تعرفه صاحب الصفة فهو مبدوء به فى الفعل وإن كان مؤخرأ فى اللفظ،

(١) هذا البيت من الطويل، ومحل الشاهد (كان يوم) فكان هنا تامة تأخذ فاعلاً ليس خبر، أى يقع
يوم، يفسد يوم الحروب، جملة - من أوله - يبدو كالليل يظهر فيه الكواكب. ووصفه بالشهب
لكثرة السلاح فيه.

(٢) هذا البيت من الطويل أيضاً وقد أصر فيه إسم كان لعلم المخاطب به والتقدير (إذا كان اليوم ما ..).

(٣) والتعليل الآخر هنا أن تكون (كان) تامة وما بعدها فاعلاً، وأشنعاً تعرب حالاً من (يوم).

(٤) إذا أدخلت كان على معرفة ونكرة، جعلت المعرفة اسمها والنكرة خبرها وليس العكس، ولا يهم
التقديم والتأخير هنا، فقول (كان زيد حليماً) و (كان حليماً زيدا) ولكن لا يصح القول (كان
زيداً - حليماً) إذ لا يصح الإخبار عن الصفة (حليم) باسم المين (زيد).

فإن قلت : كان حليماً أو رجلاً فقد بدأت بنكرة، ولا يستقيم أن تخبر
الغساطب عن المنكور، وليس هذا بالذي ينزل به الغساطب : فزانتك في
المعرفة^(١)، فكرهوا أن يقربوا باب لبس.

وقد تقول : كان زيد الطويل منطلقاً، إذا خفت التباس الزيدين، وتقول :
أسفيتها كان زيداً أم حليماً، وأرجلاً كان زيداً أم صبيهاً، تجعلها لزيد، لأنه
إنما ينبغي لك أن تسأل عن خبر من هو معروف عنده كما حدثته عن خبر
من هو معروف عندك فالمعروف هو المبدؤ به.

ولا يبدأ بما يكون فيه اللبس، وهو النكرة. ألا ترى أنك لو قلت : كان
إنسان حليماً أو كان رجلاً منطلقاً، كنت تلبس، لأنه لا يستكر أن يكون
في الدنيا إنسان هكذا، فكرهوا أن يبدأ بما فيه اللبس ويجعلوا المعرفة خبراً
لما يكون فيه هذا اللبس.

وقد يجوز في الشعر وفي ضعف من الكلام. حملهم على ذلك أنه
فعل بمنزلة ضرب، وأنه قد يعلم إذا ذكرت زيدا وجعلته خبراً أنه صاحب
الصفة على ضعف من الكلام وذلك قول خدش بن زهير :

فأنك لا تبالى بعد حول أظبي كان أم حمار^(٢)

(١) أى لا يجوز أن يكون المتكلم عارفاً بالخبر عنه في قوله (كان حليماً) ولكن السامع لا يعرف
فلهذا منعوا الإخبار بالمعرفة عن النكرة خشية اللبس.

(٢) هذا البيت من الوافر والشاهد فيه وقوع (ظبي) النكرة إسماً له (كان) وجاز ذلك لأنها فعل مثل
(ضرب) وهذه الأخيرة يجوز أن يأتي فاعلها نكرة ومنعونها معرفة. ووضح أن الشاعر اضطر إلى
ذلك لرفع حرف الروي (حمار) المعطوف على (ظبي).

وقال حسان بن ثابت :

كأن سبيته من بيت رأس
يكون مزاجها عسل وماء^(١)
وقال أبو قيس بن الأصيلت الأنصاري :
إلا من مبلغ حسان عنى
أسحر كأن طبعك أم جنون^(٢)
وقال الفرزدق :

أسكران كان ابن المراغة إذ هجا
تميماً يعجوف الشام أم متساكر^(٣)
فهذا إنشاد بعضهم، وأكثرهم ينصب السكران ويرفع الآخر على قطع
وابتداء^(٤).

وإذا كان معرفة^(٥) فأنت بالخيار : أيهما ما جعلته فاعلا^(٦).

رفعته ونصبت الآخر، كما فعلت ذلك في ضرب، وذلك قولك : كان
أخوك زيدا، وكان زيدا صاحبك، وكان هذا زيدا، وكان المتكلم أخاك.

وتقول : من كان أخاك، ومن كان أخوك^(٧)، كما تقول : من ضرب

(١) البيت من الوافر أيضاً يصف خمرأ من الشام ويصحبها بالعسل والماء، والشاهد فيه كالشاهد في
البيت الذي قبله وهو الإتيان بالكثرة اسماً لكان والمعرفه خبراً لها إلا أن هذا البيت فيه ما يقر به
وهو أن الضمير في مزاجها يعود على نكره وهي (سبيته) هذا وغير (كأن) في البيت الذي بعده،
ويجوز أن يكون جملة (يكون مزاجها).

(٢) هذا البيت من الوافر والشاهد فيه كالشاهد في البيت الأسبق.

(٣) هذا البيت من الطويل يهجو فيه الفرزدق جبراً وكان يلقبه بابن المراغة وهي الأمان التي تمنع من
الفحول والشاهد فيه كالشاهد في البيت الذي قبله.

(٤) أى ينصب السكران على أنه خبر كان، ثم يرفع (ابن) اسماً لكان، وفي هذه الحالة لا يجوز
عطف (متساكر) على سكران، لأنه لا يعطف مرفوع على منصوب، بل ترفع (متساكر) على
أنها خبر لمبتدأ محذوف تقديره هو.

(٥) أى المبتدأ أو الخبر.

(٦) يقصد اسم (كان).

(٧) في انشال الأول تكون من اسم استفهام مبنى على السكون في محل رفع اسم كان وفي الثاني في
محل نصب خبر كان.

أباك إذا جعلت من الفاعل، ومن ضرب أبوك إذا جعلت الأب الفاعل.
وكذلك أيهم كان أخاك وأيهم كان أخوك.

وتقول : ما كان أخاك إلا زيد ما ضرب أخاك إلا زيد. ومثل ذلك قوله
عز وجل : (ما كان حجتهم إلا أن قالوا^(١)) : (وما كان جواب قومه إلا أن
قالوا^(٢)) وقال الشاعر :

وقد علم الأقبام ما كان داءها بنهلان إلا الخزي ممن يقودها^(٣)

وإن شئت رفعت الأول كما تقول : ما ضرب أخوك إلا زيداً. وقد قرأ
بعض القراء ما ذكرنا بالرفع.

ومثل قولهم : من كان أخاك، قول العرب ما جاءت حاجتك، كأنه
قال ما صارت حاجتك^(٤) ولكنه أدخل التأنيث على ما، حيث كانت
الحاجة كما قال بعض العرب : من كانت أمك، حيث أوقع من على
مؤنث. وإنما صير جاء بمنزلة كان في هذا الحرف وحده لأنه بمنزلة المثل،
كما جعلوا عسى بمنزلة كان في قولهم : (عسى الغويرا بؤساً)، ولا يقال :

(١) الآية ٢٥ من سورة الجاثية : وحجتهم خير كان لم مضاف إليه، أما اسمها فهو المصدر المنسبك
من أن والفعل قالوا أى قولهم. وإلا ألغيت مع ما والتقدير (كان قولهم حجتهم).

(٢) الآية ٨٢ من سورة الأعراف وإعرابها كإعراب ما قبلها.

(٣) البيت من الطويل والمعنى عرف الناس أن داء هذه الكتيبة عند جميل نهلان ولم يكن إلا جبن
قائدها والشاهد في البيت إستواء اسم كان وحبرها (داءها) و (النزى) في التمرير، فيستويان
أيضاً في رفع أحدهما ونصب الآخر.

(٤) وما جاءت حاجتك؛ جاء بمعنى صار، فالتقدير ما صارت حاجتك (حاجة) خير صار أما اسمها
فهو (ما) الاستفهامية.

عسيت^(١) أخاننا. وكما جعلوا لدن مع غدوة منونة في قولهم لدن غدوة^(٢)،
ومن كلامهم أن يجعلوا الشيء في موضع على غير حاله في سائر الكلام،
وسترى مثل ذلك إن شاء الله.

ومن يقول من العرب : ما جاءت حاجتك، كثير، كما يقول من
كانت أمك ولم يقولوا ما جاء حاجتك كما قالوا من كان أمك، لأنه
بمنزله المثل فألزموه التاء كما اتفقوا على لعمر الله في اليمين^(٣).

وزعم يونس أنه سمع رؤيه يقول : ما جاءت حاجتك، فيرفع^(٤).

ومثل قولهم ما جاءت حاجتك إذ صارت تقع على مؤنث، قراءة بعض

(١) المعروف أن عسى وحري وأخلو لق أفعال للرجاء، وكاد وكرب وأوشك أفعال للمقاربة، وجعل
وطقق وأخذ وعلق وأنشأ أفعال للشروع وهي ترفع اسمها وتنصب خبرها مثل (كان) ولكن خبرها
لا بد أن يكون جملة فعلية نحو «عسى ربحكم أن يرحمكم» و «يكاد زيتها يضيء» ولكن شد ذلك
في (عسى الغدير أبوسا) لكونه مثلاً يضرب للرجل الذي يتوقع الشر من جانبه، فجاء (أبوسا) خبر
لعسى مفرداً. والغدير ماء لكلب في ناحية السماوة. والأبوس جمع بؤس. فكما شد استعمال
(عسى) في هذا المثل كذلك جاء الفعل (جاء) بمنزله (كان) في هذا المعنى وحده أى في هذا
الكلام وحده وهو (ما جاءت حاجتك).

(٢) لدن غدوة : لدن ظرف زمان مبنى على السكون وغدوة مضاف إليه مجرور بالفتحة ليابة عن
الكسرة لمنعه من الصرف للعدل وشبه العلمية، فهو معدول عن الغدوة (الصباح : الجوهري) مثل
سحر. ولكن (غدوة) جاءت بعده و (لدن) منونة وهو استعمال خاص أشار إليه سيبويه كاستعمال
خبر عسى مفرداً وفي الإعراب (غدوة) نقول إنها خبر لكان المحذوف مع اسمها والتقدير لدن كان
الوقت غدوة ومن الممكن رفع (غدوة) على اعتبارها فاعلاً لكان التامة المحذوفة. وهناك شطر من
الرجز يحسن بنا أن نعرفه هنا : من لدن شولا فيلى إتلأهها فهنا حذف (كان) مع اسمها
والتقدير من لدن كانت الناقة شولا والمعنى ربيت هذه الناقة من لدن كانت شولا أى
(ارتفعت ألبانها للحمل) إلى أن صارت متلية يتلوها أولادها بعد الوضع.

(٣) العمر والعمر ينتح العين وضمتها بمعنى البقاء ولكنهم التزموا الفتح في القسم لعمر الله، واللام
للتوكيد ثم مبتدأ ومضاف إليه والخبر محذوف وتقديره يمينى أو قسمى.

(٤) وإذا ما تكون ما الاستفهامية خبر (كان).

القراء (ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا) و (تلتقطه بعض السيارة)^(١)، وربما قالوا في بعض الكلام : ذهب بعض أصابعه، وإنما أنت البعض لأنه أضافه إلى مؤنث هو منه ولو لم يكن منه لم يؤنثه، لأنه لو قال : ذهبت عبد أمك . لم يحسن^(٢).

وما جاء مثله في الشعر قول الشاعر الأعشى :

وتشرق بالقول الذى قد أذعته كما شرقت صدر القناة من الدم^(٣)
لأن صدر القناة من مؤنث.

ومثله قول جرير :

إذا بعض السنين تمرقتنا كفى الأيتام فقد أبى اليتيم^(٤)
لأن (بعض) ههنا سنون. ومثله قول جرير أيضاً :
لما أتى خبر الزبير تواضعت سور المدينة والجبال والخشع^(٥)
وقوله مثل ذى الرمة :

-
- (١) هاتان الآيتان ٢٣/ الأنعام، ١٠/ يوسف، محل الشاهد فيهما تأنيث الفعل على أن ما بعدها مؤنث.
(٢) أى أن المبد ليس جزء من المضاف إليه وهو (أمك) بعكس الحال فى (بعض أصابعه).
(٣) هذا البيت من الطويل ومحل الشاهد فيه تأنيث الفعل (وتشرق) لأن الفاعل صدر القناة من مؤنث. ومن القناة مؤنث والمعنى أن ما أذعته حتى من باطل القول تشرق به أى يعود عليك.
(٤) البيت من الوافر وشاهد كشاهد سابقة فى تأنيث (تمرقتنا) (والأيتام فقد). مفعولان والفاعل ضمير مستتر تقديره هو يعود على هشام بن عبد الملك الذى يخاطبه الشاعر، وتمرقتنا أى ذهبت. بأمرنا.
(٥) البيت من الكامل والشاهد فيه (تواضعت سور المدينة) حيث أنت. النحل إستقداً لتأنيث ما أخيه. إليه وهى المدينة.

مشين كما اهتزت رماح تسفها أهاليها مر الراح النواسم^(١)
وقال المجاج :

«طول الليالي أسرع في نقضي»^(٢)

وسمعنا من العرب من يقول عن يوثق به : اجتمعت أهل اليمامة، لأنه
يقول في كلامه : اجتمعت اليمامة، يعنى أهل اليمامة، فأنت الفعل في
اللفظ إذ جعله في اللفظ لليمامة، فترك اللفظ يكون على ما يكون غايه في
سعة الكلام.

ومثله في ذلك يا طلحه أقبل، لأن أكثر ما يدعو طلحه بالترخيم فترك
الحاء على حالها^(٣)، وما تيم تيم عدى أقبل. وقال الشاعر جرير :
يا تيم تيم عدى لا أبا لكم لا يلقينكم في سوء عمر^(٤)

(١) البيت من الطويل والشاهد فيه (تسفها مر الراح النواسم) أهاليها والنواسم الضعيفة الهبوب

بصف النساء في مشين كأنهن رماح تهتز أهاليها من الراح.

(٢) هذا شطر من الرجز والآخر :

(أكلن بعض وتركن بعض)

والشاهد فيه تأنيث الفعل أسرع لأن ما أضيف إلى فاعله مؤنث.

(٣) الترخيم حذف الحرف الأخير من الكلمة فيقال يا طلح ترخيماً له (يا طلحة) وللمنادى خمس

أحوال، يهرب منصوباً في ثلاث وهي المضاف والشبه بالمضاف والنكرة غير المقصودة، وهى على
ما يرمع به في الباقيتين وهى النكرة المقصودة والمفرد العلم. والظاهر أنه سببه أعطى التاء في
طلحة حركة الحاء في نفس حالة الترخيم.

(٤) البيت من البسيط والمنادى هو تيم بن عبد مناه، وعى هذا هو عدى بن عبد مناه نسبة إلى أخيه

ومحل الشاهد إقحام تيم الثانى بين تيم الأول وما أضيف إليه، فعامل الثانى فى منع التثنية
للإضافة معاملة الأول، وعمر هو عمر بن لجأ كان ممن يهاجبه جرير.

ثانياً
نصوص من الإنصاف في
مسائل الخلاف
بين
البصريين والكوفيين
لأبي البركات عبد الرحمن الأنباري
المتوفى سنة ٥٧٧ هـ

الإنصاف فى مسائل الخلاف لابن الأنبارى

هذا كتاب ألفه صاحبه (٥١٣ - ٥٧٧ هـ) فى تفصيل الخلاف بين مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة فى بعض مسائل النحو، وأقول (بعض) تجاوزاً، لأنه ما من مسأله النحو إلا واختلفوا فيها حتى إن القارئ ليظن أن الخلاف هو الأصل وأنه لمن الشذوذ أن يتفقوا على شئ. لقد كانت كل مدرسة تريد أن تظهر بشخصية منفردة، وصفات متميزة عن المدرسة الأخرى، وكان هم كل مدرسة أيضاً هو مقارعة. الحجة بالحجة وضرب الدليل بالدليل حتى لو كان ذلك على حساب النحو واللغة فتعددت الاتجاهات وتضاربت الأقوال وتفرعت الآراء ومالوا إلى الفلسفة والمنطق والجدل العقيم، مسألة واحدة فى النحو تستطيع أن تجد لها أكثر من وجه، وكل وجه له أكثر من تخريج، وكل تخريج له سببه وتبريره، وفى هذا بعد عن الواقع اللغوى الذى يقضى بأخذ اللغة كما هى دون ما حاجة إلى تأويل أو فلسفة طالما أن الأمر لا يستدعى ذلك.

ولتعدد هذه الاتجاهات ألف ابن الأنبارى كتابه هذا فى عرض الخلاف بين المدرستين، ومنهجه فى هذا المؤلف أنه يعرض للمسألة ثم يبين رأى البصريين ورأى الكوفيين فيها، مبيناً حجج أولاء وهؤلاء، ثم يتنصر لأحد الفريقين مدحاً حجج الفريق الآخر بالدليل المنطقى تارة والنقل عن القرآن الكريم أو الشعر القديم تارة أخرى.

ومن عجب أنهم - البصريين والكوفيين - يتفقون فى الأمور الكلية أو فى الشكل الإعرابى، فالمبتدأ والخبر عند كليهما مرفوعان، والمضارع معرب، والمنادى المفرد العلم آخره ضم، وكذلك فعل الأمر للمخاطب آخره سكون، وخبر كسان والمفعول، الثانى لظن منصوبان، اتفقوا على المبادئ أو على

الأسس الوصفية للغة، ولكنهم اختلفوا في تحديد ماهية هذا الوصف أو في التعليل له، وكلها مسائل وتعليلات تجر إلى نقاش فلسفى وجدل نظرى لا طاول من ورائه، فهى لا تفيد النحو فى شىء، ولا تمس أوضاع اللغة، فما كان أغناهم عن النقاش والجدل ولكنها الخلافات المدرسية التى جعلت كل فريق يتميز برأى خاص مهما كانت النتائج.

وننقل هنا نصاً من الإنصاف وهو (المسألة الخامسة فى الاختلاف فى رافع المبتدأ ورافع الخبر)، ولكن قبل أن نورد هذا النص نحب أن نلقى نظرة على عنوان الكتاب. الإنصاف علام تدل هذه الكلمة؟ ألا تدل على مبلغ الخصومة الشديدة بين الفريقين حتى انهما لاحتاجان إلى قاض كى ينصف بينهما، إنتقل الأمر إذن من الواقع الغوى وأصبحنا فى ساحة القضاء وكل من الخصمين ينبرى للدفاع عن نفسه بالحجج القوية والأدلة المقنعة حتى ينصفه القاضى، لا هم له إلا قهر خصمه وتسفيه رأيه، ثم الإنتصار لنفسه وإعزاز وجهة نظره، حتى لو كان ذلك على حساب اللغة والنحو.

وخلاصة المسألة الخامسة أن البصريين والكوفيين يرون الرفع فى كل من المبتدأ والخبر ولكنهم اختلفوا فى العامل، فالكوفيون يرون أن المبتدأ يرتفع بالخبر والخبر يرتفع بالمبتدأ، أى أنهما مترافعان، والبصريون على أن المبتدأ مرفوع بالأبتدأ وأما الخبر فذهب قوم منهم إلى أنه مرفوع بالابتدا وحده، وآخرون على أنه مرفوع بالمبتدأ وفعلة ثالثة على أنه مرتفع بالاثنيين، الابتدأ والمبتدأ.

واستدل الكوفيون على أن المبتدأ والخبر مترافعان بأن كلاهما مرتبط بالآخر لا ينفك عنه، ولا يتم الكلام إلا بهما، فكذلك كانا فى العمل أيضاً، وهدموا رأى البصريين بقولهم، ولا يجوز أن يقال أن المبتدأ يرتفع

بالإبتدأ لأن نقول الإبتداء لا يخلو إما أن يكون شيئاً من كلام العرب عند إظهاره، أو غير شيء. فإن كان اسماً فينبغي أن يكون قبله اسم يرفعه، وكذلك ما قبله إلى ما لا غاية له وذلك محال وإن كان فعلاً فينبغي أن يقال : زيد قائماً، كما يقال حضر زيد قائماً، وإن كان أداة فالأدوات لا ترفع الأسماء على هذا الحد، وأما إن كان غير شيء فالاسم لا يرفعه إلا رافع غير معدوم ومتى كان غيره هذه الأقسام الثلاثة التي قدمناها فهو معدوم غير معروف إلى آخر هذا اللجاج الفلسفي البعيد عن الواقع اللغوي، والذي يتميز بإظهار الملكة العقلية القوية في المناقشة وتنفيذ آراء الخصم دون فائدة نحويه.

٥- مسألة

ذهب الكوفيون إلى أن المبتدأ يرفع الخبر، والخبر يرفع المبتدأ، فهما يترافعان، وذلك نحو «زيد أخوك، وعمرو غلامك». وذهب البصريون إلى أن المبتدأ يرتفع بالابتداء وحده، وذهب آخرون إلى أنه يرتفع بالابتداء والمبتدأ معاً، وذهب آخرون إلى أنه يرتفع بالمبتدأ والمبتدأ بالابتداء.

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إن المبتدأ يرتفع بالخبر والخبر يرتفع بالمبتدأ لأننا وجدنا المبتدأ لا يد له من خبر، والخبر لا يد له من مبتدأ، ولا ينفك أحدهما من صاحبه، ولا يتم الكلام إلا بهما، ألا ترى أنك إذا قلت «زيد أخوك» لا يكون أحدهما كلاماً إلا بانضمام الآخر إليه؟ فلما كان كل واحد منهما لا ينفك عن الآخر ويقتضى صاحبه اقتضاء واحداً عمل كل منهما في صاحبه مثل عمل صاحبه فيه، فلهذا قلنا إنهما يترافعان كل واحد منهما يرفع صاحبه. ولا يمتنع أن يكون كل واحد منهما عاملاً معمولاً، وقد جاء لذلك نظائر كثيرة، قال الله تعالى : «أياما تدعوا فله الأسماء الحسنى» فنصب أياما بتدعوا، وجزم تدعرا بأياما، فكان كل واحد

منهما عاملاً ومعمولاً، وقال تعالى : «أينما تكونوا يدرككم الموت» فأينما منصوب بتكونوا، وتكونوا مجزوم بأينما، وقال تعالى : «فأينما تولوا فثم وجهه الله» إلى غير ذلك من المواضع، فكذلك ها هنا.

قالوا : ولا يجوز أن يقال أن المبتدأ يرتفع بالإبتداء، لأننا نقول : الإبتداء لا يخلو : إما أن يكون شيئاً من كلام العرب عند إظهاره، أو غير شيء، فإن كان شيئاً فلا يخلو : من أن يكون اسماً، أو فعلاً، أو أداة من حروف المعاني، فإن كان اسماً فينبغي أن يكون قبله اسم يرفعه، وكذلك ما قبله إلى ما لا غاية له، وذلك محال، وإن كان فعلاً فينبغي أن يقال زيد قائماً «حضر زيد قائماً» وإن كان أداة فالأدوات لا ترفع الأسماء على هذا الحد. وإن كان غير شيء فالإسم لا يرفعه إلا رافع موجود غير معدوم، ومتى كان غير هذه الأقسام الثلاثة التي قدمناها فهو معدوم غير معروف.

قالوا : ولا يجوز أن يقال إنا نعنى بالإبتداء التعرى من العوامل اللفظية، لأننا نقول : إذا كان معنى الإبتداء هو التعرى من العوامل اللفظية فهو إذاً عبارة عن عدم العوامل، وعدم العوامل لا يكون عاملاً. والذي يدل على أن الإبتداء لا يوجب الرفع أننا نجد أنهم يتدثون بالمنصوبات والمسكنات والحروف، ولو كان ذلك موجباً للرفع لوجب أن تكون مرفوعة، فلما لم يجب ذلك دل على أن الإبتداء لا يكون موجباً للرفع.

وأما البصريون فيأحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إن العوامل اللفظية لأن العوامل في هذه الصناعة ليست مؤثرة حسية كالإحراق للنار والإغراق للماء والقطع للسيف، وإنما هي أمارات ودلالات، وإذا كانت العوامل في محل الإجماع إنما هي أمارات ودلالات فالأمارات والدلالة تكون بعدم شيء كما تكون بوجود شيء.

ألا ترى أنه لو كان معك ثوبان وأردت أن تميز أحدهما من الآخر فصبغت أحدهما وتركت صبغ الآخر لكان ترك صبغ أحدهما في التمييز بمنزلة صبغ الآخر؟ فكذلك ها هنا. وإذا ثبت أنه عامل المبتدأ وجب أن يعمل في خبره، قياساً على غيره من العوامل، نحو «كان» وأخوتها و «إن» وأخوتها و «ظننت» وأخوتها، فإنها لما علمت في المبتدأ علمت في خبره، فكذلك ها هنا.

وأما من ذهب إلى أن الابتداء والمبتدأ جميعاً يعملان في الخبر فقالوا :
لأننا وجدنا الخبر لا يقع إلا بعد الابتداء والمبتدأ، فوجب أن يكون هما العاملين فيه، غير أن هذا القول وإن كان عليه كثير من البصريين إلا أنه لا يخلو من ضعف، وذلك لأن المبتدأ إسم، والأصل في الأسماء أن لا تعمل، وإذا لم يكن له تأثير في العمل، والابتداء له تأثير، فإضافة ما لا تأثير له تأثير لا تأثير له.

والتحقيق فيه عندى أن يقال : إن الابتداء هو العامل في الخبر بواسطة المبتدأ، لأنه لا ينفك عنه، ورتبته أن لا يقع إلا بعده، فالإبتداء يعمل في الخبر عند وجود المبتدأ، لا به، كما أن النار تسخن الماء بواسطة القدر والمخطب، فالتسخين إنما حصل عند وجودهما، لا بهما، لأن التسخين إنما حصل بالنار وحدها، فكذلك بالنار وحدها ها هنا الابتداء وحده هو العامل في الخبر عند وجود المبتدأ، إلا أنه عامل معه، لأنه إسم، والأصل في الأسماء أن لا تعمل.

وأما من ذهب إلى أن الابتداء يعمل في المبتدأ، والمبتدأ يعمل في الخبر،
فقالوا : إنما قلنا إن الابتداء يعمل في المبتدأ والمبتدأ يعمل في الخبر دون

الإبتداء لأن الإبتداء عامل معنوى، والعامل المعنوى ضعيف، فلا يعمل فى شيعين كالعامل اللفظى.

وهذا أيضاً ضعيف، لأنه متى وجب كونه عاملاً فى المبتدأ وجب أن يعمل فى خبره، لأن خبر المبتدأ يتنزل منزلة الوصف، ألا ترى أن الخبر هو المبتدأ فى المعنى كقوله «زيد قائم، وعمرو ذاهب» أو منزل منزلته كقوله «زيد الشمس حسناً، وعمرو الأسد شدة» أى يتنزل منزلته، وكقولهم «أبو يوسف أبو حنيفة» أى يتنزل منزلته فى الفقه، قال الله تعالى : (وأزواجه أمهاتهم) أى تتنزل منزلهن فى الحرمة والتحريم، فلما كان الخبر هو المبتدأ فى المعنى أو منزلاً منزلته تنزله الوصف، لأن الوصف فى المعنى هو الوصف، ألا ترى أنك إذا قلت «قام زيد العاقل»، «ذهب عمرو الظريف» أن العاقل فى المعنى هو زيد والظريف فى المعنى هو عمرو، ولهذا لما تنزل الخبر منزلته الوصف كان تابعاً للمبتدأ فى الرفع، كما تتبع الصفة، وكما أن العامل فى الوصف هو العامل فى الموصوف، سواء كان العامل قوياً أو ضعيفاً، فكذلك ها هنا.

وأما قولهم «إن المبتدأ يعمل فى الخبر» فسنذكر فسادَه فى الجواب عن كلمات الكوفيين.

أما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما قولهم «إنهما يترافعان، لأن كل واحد منهما لا بد له من الآخر ولا ينفك عنه» قلنا : الجواب عن هذا من وجهين :

أحدهما : أن ما ذكرتموه يؤتموه إلى محال، وذلك لأن العامل سبيله أن يُقدَّر قبل المعمول، وإذا قلنا إنهما يترافعان وجب أن يكون كل واحد منهما قبل الآخر، وذلك محال، وما يؤدى إلى المحال محال.

والوجه الثانى : أن العامل فى الشئ مادام موجوداً لا يدخل عليه عامل غيره ، لأن عاملاً لا يدخل على عامل ، فلما جاز أن يقال « كان زيد أخاك » وإن زيدا أخوك ، وظننت زيدا أخاك ، بطل أن يكون أحدهما عاملاً فى الآخر .

وأما ما استشهدوا به من الآيات فلا حجة لهم (فيه) من ثلاثة أوجه :
أحدها : أنا لا نسلم أن الفعل أياما وأينما مجزوم بأياما وأينما ، وإنما هو مجزوم بإن ، وأياما وأياما وأينما نابا عن إن لفظاً ، وإن لم يعمل شيئاً .
والوجه الثانى : أنا نسلم أنها ثابت عن لفظاً وعملاً ، ولكن جاز أن يعمل كل واحد منهما فى الاختلاف عملهما ، ولم يعمل من وجه واحد ، فجاز أن يجتمعا ويعمل كل واحد منهما فى صاحبه ، بخلاف ما هنا .

والوجه الثالث : إنما عمل كل واحد منهما فى صاحبه لأنه عامل ، فاستحق أن يعمل ، وأما ما هنا فلا خلاف أن المبتدأ والخبر نحو « زيد أخوك » إسمان باقيان على أصلهما فى الإسمية ، والأصل فى الأسماء أن لا تعمل ، فبان الفرق بينهما .

وأما قولهم « إن الإبتداء لا يخلو من أن يكون إسماً أو فعلاً أو أداة - إلى آخر ما قرروا » قلنا : قد بيننا أن الإبتداء عبارة (عن التعرى) عن العوامل اللفظية قولهم « فإذا كان معنى الإبتداء هو التعرى عن العوامل اللفظية فهو إذا عبارة عن عدم العوامل ، وعدم العوامل لا يكون عاملاً » قلنا : قد بيننا وجه كونه عاملاً فى دليلنا بما ينشئ عن الإعادة ما هنا ، على أن هذا يلزمكم فى الفعل المضارع ، فإنكم تقولون « يرتفع بتعريه من العوامل الناصبة والجازمة » وإذا جاز لكم أن تجعلوا التعرى عاملاً فى الفعل المضارع جاز أيضاً أن تجعل التعرى عاملاً فى الإسم المبتدأ .

وحكى أنه إجتمع أبو عمر الجرمي وأبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، فقال الفراء للجرمي : أخبرني عن قولهم «زيد منطلق» لم رفعوا زيد؟ فقال له الجرمي : بالإبتداء، قال له الفراء : ما معنى الإبتداء؟ قال : نصريته من العوامل، قال له الفراء : فأظهره، قال له الجرمي : هذا معنى لا يظهر، قال له الفراء : فمثله إذا، فقال الجرمي : لا يتمثل، فقال الفراء : ما رأيته كالיום عاملاً لا يظهر ولا يتمثل! فقال له الجرمي : أخبرني عن قولهم «زيد ضربته» لم رفعتم زيدا؟ فقال بالهاء العائدة على زيد، فقال الجرمي : الهاء إسم فكيف يرفع الإسم؟ فقال الفراء : نحن لا نبالي من هذا، فإنما نجعل كل واحد من الإسمين إذا قلت «زيد منطلق» رافعاً لصاحبه، فقال الجرمي : يجوز أن يكون كذلك في «زيد منطلق» لأن كل إسم منهما مرفوع في نفسه فجاز أن يرفع الآخر، وأما الهاء في «ضربته» فهي محل النصب، فكيف ترفع الإسم؟ فقال الفراء : لا نرفعه بالهاء، وإنما رفعناه بالعائد على زيد، قال الجرمي : ما معنى العائد! قال الفراء : معنى لا يظهر، فقال الجرمي : أظهره، قال الفراء : لا يمكن إظهاره، قال الجرمي : فمثله، قال : لا يتمثل، قال الجرمي : لقد وقعت فيما قررت منه. فحكى أنه سئل الفراء بعد ذلك، فقيل له كيف وجدت الجرمي! فقال : وجدته آية، وسئل الجرمي فقيل له : كيف وجدت الفراء فقال : وجدته شيطاناً.

وأما قولهم «إنا نجدهم يبتدون بالمنصوبات والمسكنات والحروف، ولو كان ذلك موجباً للرفع لوجب أن تكون مرفوعة» قلنا : أما المنصوبات فإنها لا يتصور أن تكون مبتدأة، لأنها وإن كانت متقدمة في اللفظ إلا أنها متأخرة في التقدير، لأن كل منصوب لا يخلو إما أن يكون مفعولاً أو مشبهاً بالمفعول، والمفعول لا بد أن يتقدمه عامل لفظاً أو تقديرًا، فلا تصح له رتبة الإبتداء، وإذا كانت هذه المنصوبات متقدمة في اللفظ متأخرة في التقدير

لك يصح أن تكون مبتدأة، لأنه لا إعتبار بالتقديم إذا كان في تقدير التأخير،
وأما المسكنات إذا ابتدئ بها فلا يخلو إما أن تقع مقدمة في اللفظ دون
التقدير أو تقع مقدمة في اللفظ والتقدير : فإن وقعت مقدمة في اللفظ دون
التقدير كان حكمها حكم المنصوبات، لأنها في تقدير التأخير، وإن وقعت
مقدمة في اللفظ والتقدير فلا يخلو إما أن تستحق الإعراب في أول وضعها
أو لا تستحق الإعراب في أول وضعها : فإن كانت تستحق الإعراب في أول
وضعها نحو «من، وكم» وما أشبه ذلك من الأسماء المبينة على السكون فإننا
نحكم على موضعها بالرفع بالإبتداء، وإنما لم يظهر في اللفظ لعله عارضة
منعت من ظهوره، وهي شبه الحرف أو تضمن معنى الحرف.

وإن كانت لا تستحق الإعراب في أول وضعها نحو الأفعال والحروف
المبينة على السكون فإننا لا نحكم على موضعها بالرفع بالإبتداء، لأنها لا
تستحق شيئاً من الإعراب في أول الوضع، فلم يكن الإبتداء موجباً لها بالرفع
: لأنه نوع منه.

وهذا هو الجواب عن قولهم «إنهم يبتدئون بالحروف، فلو كان ذلك
موجباً للرفع لوجب أن تكون مرفوعة» وعدم عمله في محل لا يقبل العمل
لا يدل على عدم عمله في محل يقبل العمل، ألا ترى أن السيف يقطع في
محل ولا يقطع في محل آخر! وعدم قطعة في محل لا يقبل القطع لا يدل
على عدم قطعه في محل يقبل القطع، لأن عدم القطع في محل لا يقبل
القطع إنما كان لنبوه في المحل لا لأن السيف غير قاطع، فكذلك ها هنا :
عدم عمل الإبتداء في محل لا يقبل العمل إنما كان لعدم إستحقاق
المعمول ذلك العمل، لا لأن الإبتداء غير صالح أن يعمل ذلك العمل،
والله أعلم.

٦ - مسألة

ذهب الكوفيون إلى أن الظرف يرفع الاسم إذا تقدم عليه، ويسمون الظرف المحل، ومنهم من يسميه الصفه، وذلك نحو قولك «أمامك زيد، وفي الدار عمرو» وإليه ذهب أبو الحسن الأخفش في أحد قوليه وأبو العباس محمد بن يزيد المبرد من البصريين. وذهب البصريون إلى أن الظرف لا يرفع الاسم إذا تقدم عليه، وإنما يرتفع بالإبتداء.

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا ذلك لأن الأصل في قولك «أمامك زيد، وفي الدار عمرو» حل أمامك زيد، وحل في الدار عمرو، فحذف الفعل واكتفى بالظرف منه، وهو غير مطلوب، فارتفع الاسم به كما يرتفع بالفعل. والذي يدل على صحة ما ذهبنا إليه أن سيبويه يساعدنا على أن الظرف يرفع إذا وقع خبر المبتدأ، أو صفة الموصوف، أو حالاً لذي حال، أو ثلّة لموصول، أو معتمداً على همزة الإستفهام أو حرف النفي، أو كان الواقع بعده «أن» التي في تقدير المصدر، فالخبر كقوله تعالى «فأولئك لهم جزاء الضعفاء» فجزاء مرفوع بالظرف. والصفة كقولك «مررت برجل صالح في الدار أبوه» والحال كقولك «مررت بزيد في الدار أبوه» وعلى ذلك قوله تعالى «وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور» «فهدى ونور» مرفوعان بالظرف لأنه حال من الإنجيل ويدل على قوله تعالى : (ومصدقاً لما بين يديه) فعطف (مصدقاً) على حال قبله، وما ذاك إلا الظرف. والصلة كقوله تعالى «ومن عنده علم الكتاب» والمعتمد على الهمزة كقوله تعالى : «أفنى الله شك» وحرف النفي كقولك «ما في الدار أحد» وأن كقوله تعالى : «ومن آياته أنك ترى الأرض» فأن وما عملت فيه موضع رفع بالظرف، وإذا عمل الظرف في هذه المواضع كلها فكذلك فيما وقع الخلاف فيه.

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إن الاسم بعده يرتفع بالإبتداء لأنه تعرى من العوامل اللفظية، وهو معنى الإبتداء، فلو قدر ها هنا لم يكن إلا الظرف، وهو لا يصلح ها هنا أن يكون عاملاً لوجهين :

١٤ - مسألة

ذهب الكوفيون إلى أن «نعم، وبئس» إسمان مبتدآن. وذهب البصريون إلى أنهما فعلان ماضيان لا يتصرفان، وإليه ذهب علي بن حمزة الكسائي من الكوفيين.

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : الدليل على أنهما إسمان دخول حرف الخفض عليهما، فإنه قد جاء عن العرب أنها تقول «ما زيد بنعم الرجل» قال حسان بن ثابت :

أَلَسْتُ بِنَعْمَ الْجَارِ يُؤَلِّفُ بَيْتَهُ أَخَا قَلَةٍ أَوْ مُعَدِّمِ الْمَالِ مُصْرِفًا

وحكى عن بعض فصحاء العرب أنه قال : «نعم السير على بئس العير» وحكى أبو بكر بن الأنباري عن أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب عن سلمة عن الفراء أن إعرابياً بُشِّرَ بمولودة فقيل له : نعم المولودة مولودتك! فقال : «والله ما هي بنعم المولودة، نصرتها بكاء، وبرها سرقة» فأدخلوا عليها حرف الخفض، ودخول حرف الخفض يدل على أنهما إسمان، لأنه من خصائص السماء.

ومنهم من تمسك بأن قال : الدليل على أنهما إسمان أن العرب تقول : «يا نعم المولى ويا نعم النصير» فدائهم نعم يدل على الإسمية، لأن النداء من خصائص الأسماء، ولو كان فعلاً لما توجه نحوه النداء. قالوا : ولا يجوز أن يقال : إن المقصود بالنداء محذوف للعلم به - والتقدير فيه يا الله نعم

المولى ونعم النصير أنت - فحذف المنادى لدلالة حرف النداء عليه كما
حذف حرف النداء لدلالة المنادى عليه، لأننا نقول : الجواب عن هذا أن
المنادى إنما يقدر محذوفاً إذا ولي حرف النداء فعل أمر وما جرى مجراه،
كقراءة الكسائي وبي جعفر المدني ويعقوب الحضرمي وأبي عبد الرحمن
السلمي والحسن البصري وحميد الأعرج : «أَلَا يَا إِسْجَدَ اللَّهَ» أراد يا هؤلاء
اجدوا، وكما قال الأخطل :

أَلَا يَا أَسْلَمِي هِنْدُ هِنْدَ بَنِي بَدْرِ وَإِنْ كَانَ حَيَانًا عِدَّتِي آخِرِ الدَّهْرِ
وقال الآخر، وهو ذو الرمة :

أَلَا يَا أَسْلَمِي يَا دَارِمِي عَلَى الْبَلَى وَلَا زَالَ مُنْهَلًا بِجَرِّ عَائِكَ الْفَطْرِ
وقال الآخر، وهو المرقش :

أَلَا يَا أَسْلَمِي لَا صَرَمَ لِي الْيَوْمَ فَاطِمَا وَلَا أَبَدًا مَا دَامَ وَصْلُكَ دَائِمًا
وقال الآخر، وهو الكميث :

أَلَا يَا أَسْلَمِي يَا تَرْبَ أَسْمَاءَ مِنْ تَرْبِ
أَلَا يَا أَسْلَمِي حَيَّتْ عَنِّي وَعَنْ بَصْحَى

وقال الآخر، وهو العجاج :

يَا دَارَ مِلْحِي يَا أَسْلَمِي ثُمَّ أَسْلَمِي بِسَمْسَمَ وَعَنْ يَمِينِ سَمْسَمَ
وقال الآخر :

أَسْلَمَ يَا أَسْمَعَ يَا بَنَ كُلِّ خَلْفَةٍ وَيَا سَائِسَ الدُّنْيَا وَيَا حَبْلَ الْأَرْضِ
أراد «يا هذا اسمع». وقال الآخر :

وَقَالَتْ أَلَا يَا أَسْمَعَ نَعِظُكَ بِخُطَّةٍ قَتَلْتُ سَيِّئاً فَأَنْدَأِي وَأَصْبِي
أراد «وقالت يا هذا أسمع» فحذف المنادى، لدلالة حرف النداء عليه.

وإنما اختصر، هذا التقدير بفعل الأمر دون الخبر لأن المنادى مخاطب،
والمأمور مخاطب، فحذفه الأول من المخاطبين إكتفاءً بالثاني عنه، وإذا كان
هذا المنادى إنما يقدر محذوفاً فيما إذا ولي حرف النداء فعل أمر فلا خلاف
أن «نعم المولى» خبر، فيجب أن لا يقدر المنادى فيه محذوفاً، يدل عليه أن
النداء لا يكاد ينفلك عن الأمر أو ما جرى مجراه من الطلب والنهي، ولذلك
لا يكاد يوجد في كتاب الله تعالى نداء ينفلك عن أمر أو نهى، ولهذا لما جاء
بعده الخبر في قوله تعالى : «يا أيها الناس ضرب مثل» شفعه الأمر في قوله
: «فإستمعوا له» فلما كان النداء لا يكاد ينفلك عن الأمر وهما جملتا
خطاب جاز أن يحذف المنادى من الجملة الأولى، وليس كذلك «يا نعم
المولى ونعم النصير» لأن نعم نصير، فلا يجوز أن يقدر المنادى فيه محذوفاً.

ومنهم من تمسك بأن قال : الدليل على أنهما ليسا بفعلين أنه لا
يحسن إقتران الزمان بهما كسائر الأفعال، ألا ترى أنك لا تقول «نعم الرجل
أمس» ولا «نعم الرجل غداً» وكذلك أيضاً لا تقول «بمس الرجل أمس» ولا
«بمس الرجل غداً» فلما لم يحسن إقتران الزمان بهما على أنهما ليسا
بفعلين.

ومنهم من تمسك بأن قال : الدليل على أنهما ليسا بفعلين أنهما غير
متصرفين، لأن التصرف من خصائص الأفعال، فلما لم يتصرفا دل على
أنهما ليسا بفعلين.

ومنهم من تمسك؛ بأن قال : الدليل على أنهما ليسا بفعلين أنه قد

جاء عن العرب «نَعِيم الرجل زيد» فى أمثلة الأفعال فَعِيل ألَبته، فدل على أنهما إسمان وليس بفعلين.

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : الدليل على أنهما فعلان إتصال الضمير المرفوع بهما على حد إتصاله بالفعل المتصرف، فإنه جاء عن العرب أنهم قالوا : «نَعَمًا رجلين، ونَعَمًا رجالا» وحكى ذلك الكسائى، وقر رفعا مع ذلك المظهر فى نحو «نعم الرجل، ونس الغلام» والمضمر فى نحو «نعم رجلاً زيد، ونس غلاماً عمرو» فدل على أنهما فعلان.

ومنهم من تمسك بأن قال : الدليل على أنهما فعلان إتصالهما بتاء التأنيث الساكنة التى لا يقبله أحد من العرب فى الوقف هاء كما قبلوه فى نحو رحمة وسنة وشجرة، وذلك قولهم «نعمت المرأة، ونست الجارية» لأن هذه التاء يختص بها الفعل الماضى لا تعداء، فلا يجوز الحكم إسمية ما إتصلت به.

إعترضوا على هذا بأن قالو : قولكم إن هذه التاء يختص بها الفعل ليس بصحيح، لأنه قد إتصلت بالحرف فى قولهم «رُبَّتْ، وثُمَّتْ، ولات» فى قوله تعالى : «فنادوا ولات حين مناص» قال الشاعر :

مَآوَى بَلَّ رُبَّتْماً غَارَةٌ شَعَوَاءَ كَاللَّذَعَةِ بِالمِسْمِ

وقال الآخر :

ثُمَّتَ قَمْنَا إِلَى جَرْدٍ مُسَوِّمَةٍ أَعْرَافُهُنَّ لِأَيْدِينَا مَنَادِيلٌ^(١)

فلحقها بالحرف يطل ما إدعيتموه من إختصاص الفعل بها، وإذا بطل

(١) يروى «مآوى ياربها غارة».

(٢) نظيره قول الآخر : وقد مررت على اللقيم يبنى فمضيت لمت قلت لا يفنى.

الإختصاص جاز أن تكون نعم ويثس إسمين لدخفتها هذه التاء كما لحقت ربت وثمت. هذا على أن نعم ويثس لا تلزمهما التاء بوقوع المؤنث بعدهما كما تلزم الأفعال، ألا ترى أن قولك : «قام المرأة، وقعد الجارية» لا يجوز في سعة الكلام، بخلاف قولك : «نعم المرأة، ويثس الجارية» فإنه حسن في سعة الكلام؟ فبان الفرق بينهما.

وهذا الإعتراض الذى ذكره ساقط، وأما التاء التى إتصلت برت وثمت وإن كانت للتأنيث إلا أنها ليست التاء التى فى نعمت ويثست، والدليل على ذلك من وجهين : أحدهما : أن التاء فى «نعمت المرأة، ويثست الجارية» لحقت الفعل لتأنيث الإسم الذى أسند إليه الفعل كما لحقت فى قولهم : «قامت المرأة» لتأنيث السم الذى أسند ليه الفعل، والتاء فى «ربت، وثمت» لحقت لتأنيث الحرف، لا لتأنيث شئ آخر، ألا ترى أنك تقول «ربت رجل أهنت» كما تقول : «ربت امرأة أكرمت» ولو كانت التاء فى نعمت ويثست لما جاز أن تثبت مع المذكر كما لا يجوز أن تثبت مع المذكر فى قولك «نعمت الرجل، ويثست الغلام» فلما جاز أن تثبت التاء فى ربت مع المذكر دل على الفرق بينهما، والوجه الآخر : أن التاء اللاحقة للفعل تكون ساكن، وهذه التاء التى تلحق هذين الحرفين تكون متحركة فبان الفرق بينهما، وأما «لات» فلا نسلم أن التاء مزيدة فيها، بل هى كلمة على حيالها، وإن سلمنا أن التاء مزيدة فيها الجواب من أربعة أوجه : وجهان ذكرناهما فى ربت وثمت، ووجهان نذكرهما الآن : أحدهما : أن الكسائى كان يقف بالهاء، فاحتج بأنه سأل أبا فقيس الأسدى عنها فقتال «ولاه» فإذا لا تكون بمنزلة التاء فى ربت وثمت، ولا منزلة التاء فى نعمت ويثست، والوجه الثانى : أن تكون التاء فى (لات حين) متصلة بحين لا بلا، كذلك ذكره أبو عبيد القاسم بن سلام، وحكى أنهم يزيدون التاء على حين وأوان

والآن فيقولون : «لو فعلت هذا تخين كذا، وتآوان كذا، وتالان» أى : حين كذا، وأوان كذا، والآن. وقال الشاعر وهو أبو وَجْزَة :

الْعَاطِفُونَ تَحِينَ مِنْ عَاطِفٍ وَالْمُطْعِمُونَ زَمَانَ أَيْنَ الْمُطْعِمِ

وقال أبو زيد الطائي :

طَلَبُوا صِلْحَنَا وَلَا تَأَوَّانِ فَأَجَبْنَا لَيْسَ جِيبَ بَقَاءِ

وقال الآخر :

نَوَلِي قَبْلَ يَوْمِ نَأْبِي جُمَانَا وَصَلِينَا كَمَا زَعَمْتَ تَلَانَا^(١)

واحتج بحديث ابن عمر حين ذكر لرجل مناقب عثمان فقال له «إذهب تالان إلى أصحابك» واحتج بأنه وجدها مكتوبة في المصحف الذى يقال الإمام (تخين) فدل على ما قلناه...

وقولهم «إن التاء لا تلزم نعم وبئس إذا وقع المؤنث بعدهما» فليس بصحيح، لأن التاء تلزمهم فى لغة شطر العرب، كما تلزم فى قام، ولا فرق عندهم بين «نعمت المرأة، وقامت المرأة» وإنما جاز عند اللذين قاولا : «نعم المرأة» ولم يجز عندهم «قام المرأة» لأن المرأة فى قولهم «نعم المرأة هند» واقعة على الجنس كقولهم «الرجل أفضل من المرأة» أى جنس الرجال أفضل من جنس النس، وكقولهم «أهلك الناس البنار والدرهم أى الدراهم والدنانير» كوقوف الإنسان على الناس قال الله تعالى : «لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم» أراد الناس، وإذا كان المراد بالمرأة إستغراق الجنس فلا خلاف أن أسماء الأجناس والجموع يجوز تذكير أفعال تأنيثها، فلهذا المنى تاء التأنيث

(١) جمانا : منادى بحرف تاء محذوف، وهو اسم امرأة، وقد قام الشاعر فى النداء بحذف التاء وأصله «جمانة».

من حذفها من «نعم المرأة» إذا كانوا قد حذفوها في حال السعة من فعل المؤنث الحقيقي من قولهم «»

حضر القاضي اليوم امرأة فلا يعد أن يحذفوها من فعل المؤنث الواقع على الجنس. وقد قالوا : «ما قعد إلا المرأة، وما قام إلا الجارية» فحذفوا تاء التأنيث ألپته، ولم تأت مشبته إلا في ضرورة، فإن قالوا : إنما حذفت تاء التأنيث ها هنا تنبيهاً على المعنى، لأن التقدير : ما قعد أحد إلا المرأة، وما قام أحد إلا الجارية، قلنا : هذا مسلم، ولكن اللفظ يدل على أن المرأة والجارية غير يدل من أحد، وإن كان المعنى يدل على أنهما يدل، كما أن اللفظ يدل على أن «شحماء» في قولك «تفقأ الكبش شحماء» غير فاعل وإن كان المعنى يدل على أنه فاعل، فكما أنهم حذفوا تاء التأنيث من قولهم «ما قعد إلا المرأة» تنبيهاً على المعنى فكذاك حذفوها من قولهم «نعم المرأة» على أن الاسم يراد به الجنس.

ومنهم من تمسك بأن قال : الدليل على أنهما فعلا ن ماضيان أنهما مبنيان على الفتح، ولو كان إسمين لما كان لبنائهما وجه، إذ لا علة ها هنا توجب بناءهما. وهذا تمسك بإستصحاب الحال، وهو من أضعف الأدلة، والمعتمد عليه ما قدمناه.

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : أما قولهم «الدليل على أنهما إسمان دخول حرف الجر عليهما في قوله :

أَلَسْتُ بِنَعَمَ الْجَارُ

وقول بعض العرب : نعم السير على بئس العير، وقول لآخر : والله ما هي بنعم المولودة، فنقول : دخول حرف الجار عليهما ليس لهم فيه حجة، لأن المنكأية فيها مقدرة، وحرف الجر يدخل مع تقدير الحكاية على ما لا

شبهه في فعليته، قال الراجز :

وَاللَّهِ مَا لَيْلَى بِنَامِ صَاحِبِهِ
وَلَا مُخَالِطَ اللَّيَّانِ جَانِبِهِ

ولو كان الأمر كما زعمتم لوجب أن يحكم لنام بالإسمية، لدخول الباء عليه، وإذا لم يجر أن يحكم له بالإسمية لتقدير الحكاية فكذلك ما هنا لا يجوز أن يحكم لنعم ونعم بالإسمية لدخول حرف الجر على ما لتقدير الحكاية، والتقدير في قولك :

أَلَسْتُ بِنَعَمَ الْجَارِ يُؤْلَفُ بَيْنَهُ

ألسنت بحار مقول فيه نعم الجار، وكذلك التقدير في قول بعض العرب «نعم السير على نفس المير» نعم السير على غير مقول، فيع بمنس العير، وكذلك التقدير في قول الآخر «والله ما هي بنعم المولودة» والله ما هي بمولودة مقول فيها المولودة، وكذلك أيضاً التقدير في البيت الذي ذكرناه والله ما ليلى مقول فيه نام صاحبه، إلا أنهم حذفوا منه الموصوف وأقاموا الصفة مقامه، كقوله تعالى : «أن أعمل سابغات» أى درءاً سابغات، وكقوله تعالى : «وذلك دين القيمة» أى الملة القيمة، فصار التقدير فيها : ألسنت بمقول فيه نعم الجار، ونعم السير على مقول فيه بمنس العير، وما هي بمقول فيها نعم المولودة، وما ليلى بمقول فيه نام صاحبه، ثم حذفوا الصفة التى هي «مقول» وأقاموا المحكى بها مقامها، لأن القول يحذف كثيراً كما يذكر كثيراً، قال الله تعالى : «والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نبيدهم إلا ليقرّبونا إلى الله زلفى» أى : يقولون ما نبيدهم، وقال تعالى : «الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون الذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً» أى : يقولون ربنا، وقال تعالى : «والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم» أى : يقولون سلام

عليكم، وقال تعالى : ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ أى يقولان ربنا، وقال تعالى : ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ إِسْوَدَتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ أى : يقال لهم أكفرتم، وقال تعالى : ﴿فَظَلَلْتُمْ تَفْكِهُونَ إِنَّا مُغْرِمُونَ﴾ أى : تقولون إنا لمغرمون.

وهذا فى كلام الله تعالى وكلام العرب كثير جداً، فلما كثر حذفه كثرة ذكره حذفوا الصفة التى هى مقول، فدخل حرف الجر على الفعل لفظاً وإن كان داخلاً على غيره تقديراً، كما دخلت الإضافة على الفعل لفظاً وإن كانت داخلة على غيره تقديراً فى قوله :

مَالٌ عِنْدِي غَيْرُ سَهْمٍ وَحَجَرٌ
وغير كَبَدَاءَ شَدِيدَةِ الْوَرْدِ
جَادَتْ بِكَفَى كَانَ مِنْ أَرْمَى الْبَشَرِ

أى : بكفى رجل كان متأرمى البشر، فحذف الموصوف الذى هو «رجل» وأقام الجملة مقامه، فوقعت الإضافة إلى الفعل لفظاً وإن كانت داخلة على غيره تقديراً، فكذلك ها هنا : دخل حرف الجر على الفعل لفظاً وإن كان داخلاً على غيره تقديراً، ونحو هذا الإتساع مجع الجملة الإستفهامية وصفاً من نحو قوله :

جَاءَ بَضِيحٌ هَلْ رَأَيْتَ الذَّنْبَ قَطُّ^(١)

فقوله : «هل رأيت الذنب قط» جملة إستفهامية فى موضع وصف لضريح، وإن كان لا يحتمل صدقاً ولا كذباً، ولكنه كأنه قال : جاءوا بضريح يقول من رآه هل رأيت الذنب قط، فإنه يشبهه، ونحو ذلك أيضاً من الإتساع مجع الجملة الأمرية حالاً فى قوله :

(١) فى أكثر كتب النجاة «جاءوا بضريح هل رأيت الذنب قط».

بِئْسَ مَقَامُ الشَّيْخِ أَمْرَسُ أَمْرَسُ إِمَّا عَلَى قَمَرٍ وَرِمًا أَفْعَنَسِ
أراد بئس مقام الشيخ نقولاً فيه أمرس أمرس، ذم مناماً له ذلك فيه و
«أمرس» أعد الحيل إلى موضعه من البكرة. وإنما جاءت هذه الأشياء في
غير أماكنها لسعة اللفظ، وحسن ذلك ما ذكرناه من أحضار القول، فدل
على أن تمسكوا به من دخول حرف النجر عليهما ليس بحاجة يستند إليهما،
ولا يعتمد عليهما.

وأما قولهم «إن الشرب تقول يا نعم المولى وبأ نعم النصير» فنقول :
المقصود بالنداء محذوف للعلم به، والتقدير فيه : يا أله نعم المولى ونعم
النصير أنت.

وأما قولهم «إن المنادى إنما يقدر محذوفاً إذا ولي حرف النداء فعل أمر»
فليس صحيحاً، لأنه لا فرق بين الفصل الأمرى والخبرى في إمتناع مجيء
كل واحد منهما بعد حرف النداء، إلا أن يقدر بينهما اسم يتوجه النداء إليه،
والذى يدل على أنه لا فرق بينهما مجيء الجملة الخبرية بعد حرف النداء
بتقدير حذف المنادى كما تجيء الجملة الأمرية بعد حرف النداء بتقدير
حذف المنادى، قال الشاعر :

يَا لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْأَقْوَامَ كُلَّهُمْ وَالصُّلَحِينَ عَلَى سِمَتَانِ مِنْ جَارٍ
أراد : يا هؤلاء لعنة الله على سمعان، وقال الآخر :
يَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى أَهْلِ الرِّقْمِ أَهْلِ الْحَمْسِيِّ وَالْوَقِيرِ وَالْخُسْزَمِ
وقال الآخر :

يَا لَعْنَةَ اللَّهِ بَنَى السَّعَلَاتِ عَمَرُوْهُنَّ مَيِّمُونَ شِرَارَ النَّاتِ^(١)

(١) في كثير من كتب النحاة :

يا قبح الله بنى السعلات عمرو بن يربوع شرار النات.

أراد بالئات الناس فحول السين تاء، وقال الآخر :

يَا قَاتِلَ اللَّهِ صَبِيحَاتَا تَجِيءُ بِهِمْ
أُمُّ الْهَنْبِيرِ مِنْ زَنْدٍ لَهَا وَارِي

وهي جملة خبرية، تدل على أنه لا فرق في ذلك بين الجملة الأمرية والخبرية، فوجب أن يكون المنادى محذوفاً في قولهم «يا نعم المولى ويا نعم النصير» والذي يدل على فساد ما ذهبوا إليه أنا أجمعنا على أن الجمل لا تنادى، وأجمعنا على أن «نعم الرجل» جملة، وإن وقع الخلاف في نعم هل هي إسم أو فعل، وإذا امتنع للإجماع قولنا : «يا زيد منطلق» فذلك يجب أن يمتنع «يا نعم الرجل» إلا على تقدير حذف المنادى على ما بيننا.

وأما قولهم : «إن النداء لا يكاد ينفك عن الأمر وأما ما جرى مجراه، ولذلك لا يكاد يوجد في كتاب الله تعالى نداء ينفك عن أمر أو نهى» قلنا لك لا نسلم، بل يكثر مجيء الخبر والاستفهام مع النداء كثرة الأمر والنهى، أما الخبر فقد قال الله تعالى : «يا أبت رأيت أحد عشر كوكبا» وقال تعالى في موضع آخر : «يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل» وقال تعالى في موضع آخر : «يا أيها الناس إنما بغيتكم على أنفسكم» وقال تعالى في موضع آخر : «يا أيها الناس أنتم الفاسقون إلى الله» إلى غير ذلك من المواضع، وأما الاستفهام فقد قال الله تعالى : «يا أيها النبي تحرم ما أحل الله لك» وقال تعالى في موضع آخر : «يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون» وقال تعالى في موضع آخر : «يا أبت لم تبعث ما لا يسمع ولا يبصر» وقال تعالى في موضع آخر : «لويا قوم ما لي أدعوكم إلى النجاة وتدعونى إلى النار» إلى غير ذلك من المواضع، فإذا كثر مجيء الخبر

والإستفهام كثرة الأمر والنهى تكافأ فى الكثرة، فلا مزية لأحدهما عن الآخر.

وأما قولهم «إنه لا يحسن إقتران الزمان بهما، فلا يقال نعم الرجل أمس ولا بش الغلام غداً، ولا يجوز تصرفهما» فنقول : إنما إمتنعنا من إقترائهما بالزمان الماضى وما جاء التصرف لأن «نعم» موضوع لغاية المدح و «بش» موضوع لغاية الذم، فجعل دلالتهما مقصورة على الآن، لأنك إنما تمدح وتذم بما هو موجود فى المدح أو المذموم، لا بما كان فزال، ولا بما سيكون ولم يقع.

وزما قولهم «إنه قد جاء عن العرب نعيم الرجل» فهذا مما ينفرد بروايته أبو على قرب، وهى رواية شاذة، ولكن صحت فليس فيها حجة، لأن نعيم أصله نعم على وزن فعل - بكسر العين - فأشبع الكسرة فنشأت الياء كما قال الشاعر :

تَنفَى يَدَاهَا الْحَصَى فِي كُلِّ هَاجِرَةٍ نَفَى الدَّرَاهِمِ تَنفَادُ الصِّيَارِفِ

أراد الدراهم والصيارف، والذى يدل على أن أصل نعم نَعِمَ أنه يجوز فيها أربع لغات : نَعِمَ - بفتح النون وكسر العين - على الأصل، ونَعِمَ - بفتح النون وسكون العين - ونَعِمَ - بكسر النون والعين - ونَعِمَ - بكسر النون وسكون العين - فمن قال نعم - بفتح النون وكسر العين - أتى بها على الأصل كقراءة ابن عامر وحمره والكسائى والأعمش وخلف (فَنَعِمًا) بفتح النون وكسر العين، وكما قال طرفة :

مَا أَقَلْتُ قَدَمَ نَاعِلِهَا نَعِمَ السَّاعُونَ فِي الْأَمْرِ الْمُبِيرِ

ومن قال نَعَمْ - بفتح النون وسكون العين - حذف كسرة العين،
كقراءة يحيى بن ثابت (فَنَعَمْ عَقِبَى الدَّارِ) بفتح النون وسكون العيم، وكما
قال الشاعر :

فَإِنْ أَهَجَهُ كَمَا ضَجَرَ بَازِلٌ مِنْ الْأَدَمِ دَبَّرْتُ صَفْحَتَاهُ وَغَارِبُهُ
أراد «ضَجَرَ، ودَبَّرْتُ» فحذف، وقال الآخر :

إِذَا هَدَّرْتُ شَقَاشِقَهُ وَنَشِبْتُ لَهُ الْأُظْفَارُ تَرَكَ لَهُ الْمُدَّارُ
أراد «نَشِبْتُ، وترَكَ»، وقال الآخرون وهو أهر النجم :

هَيَّجَهَا نَضَحَ مِنَ الطَّلِّ سَحَرٌ
وَهَزَّتِ الرِّيحُ التَّدَى حِينَ قَطَرَ لَوْ عُصِرَ مِنْهَا الْبَانُ وَالْمِسْكُ أَنْعَصِرُ
أراد «عُصِرَ» وقال الآخر :

رُجِمَ بِهِ الشَّيْطَانُ مِنْ هَوَائِهِ

أراد «رُجِمَ» وقال الآخر :

وَنَفَخُوا فِي مَدَائِنِهِمْ فَطَارُوا

أراد «وَنَفَخُوا» ومن قال نعم - بكسر النون والعين - كسر النون وإتباعاً
لكسرة العين، كقراءة زيد بن علي والحسن البصري ورؤية (الحمد لله)
بكسر الدال إتباعاً لكسرة اللام، وكقراءة إبراهيم بن أبي عبلة (الحمد لله)
بضم اللام إتباعاً لضمة الدال، كقولهم في (مِنتَن) بكسر الميم رتباعاً لكسرة
الناء، وكقولهم أيضاً «مِنتَن» بضم الناء إتباعاً لضمة الميم، ومن قال نعن -

بكسر النون وسكون العين - نقل كسرة العين من نعم - بفتح النون وكسر
 العين - إلى النون، وعليها أكثر القراء، فلما جاز فيها هذه الأربع اللغات
 دل على أن أصلها نَعِم على وزن فَعِل، لأن كل ما كان على وزن فعل من
 الإسم والفعل وعينه حرف من حروف الحلق فإنه يجوز فيه أربع لغات،
 فالإسم نحو فَخَذَ وَفِخَذَ وَفَخَذَ وَفَخَذَ، والفعل نحو شَهِدَ وَشَهِدَ وَشَهِدَ وَشَهِدَ،
 على ما بيننا في نعم، وإذا ثبت أن الأصل في نَعِمَ نَعِمَ كانت الياء في «نَعِمَ
 الرجل» إشباعاً، فلا يكون فيه دليل على الإسمية، فدل على أنهما فعلان لا
 رسمان، والله أعلم.

ماتنا

نصوص من الألفية

أبى عبد الله محمد جمال الدين بن مالك

المتوفى سنة ٦٧٢ من الهجرة

الابتداء

مبتدأ زيد وعاذر خبر إن قلت «زيد عاذر» «من اعتذر»
وأول مبتدأ والثاني فاعل «أغنى في أسار ذان»
وقس وكاستفهام النفي وقد يجوز نحو «فائز أولو الرشد

تتكون الجملة الفعلية من فعل وفاعل

وتتكون الجملة الاسمية من مبتدأ وخبر.

والفعل والفاعل، وكذلك المبتدأ والخبر من العمدة بمعنى أن الجملة الفعلية لابد لها من فعل وفاعل والجملة الاسمية لابد لها من مبتدأ وخبر، وهذه كلها من المرفوعات. أما المنصوبات كالمفاعيل والحال والتمييز وكذلك المجرورات؛ المجرور بالحرف أو بالإضافة، فهذه كلها من الفضلات بمعنى أن الجملة اسمية كانت أم فعلية تستغنى عنها وتتكون دونها.

والناظم في هذه الأبيات يبين لنا أحكام المبتدأ فيبدأ بوضع مثال للمبتدأ أو الخبر في قوله «زيد عاذر» فزيد مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة، وكذلك عاذر خبر مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة.

فهذا هو المبتدأ الذي له خبر، وهناك مبتدأ له فاعل (أو نائب فاعل) سد مسد الخبر، أو حسب تعبيره، أغنى عن الخبر وأعطى له مثالا أسار ذان - (ذان اسم إشارة مثنى مفردة (ذا) وحذفت هاء التنبيه من أوله. فالفهمزة حرف استفهام لا محل له من الإعراب، سار مبتدأ مرفوع بضمة مقدرة على الحرف المحذوف والذي جيء بالتثنية عوضا عنه، ذان فاعل مرفوع بالألف لأنه مثنى سد مسد الخبر.

ووضع النحاة شرطين للمبتدأ الذي له فاعل سد مسد الخبر: الأول أن

يكون هذا المبدأ وصفاً تناسم الفاضل واسم المفعول، والثاني أن يحدّد هذا الوصف على نفى أو استفهام لأنه في هذه الحالة يكون في منزلة الفعل، والفعل يدخل عليه النفي والاستفهام.

ففي قولنا أقائم الزيدان.

أ: الهمزة حرف للاستفهام لا محل له من الإعراب وكل أدوات الاستفهام أسماء عدا حرفين الهمزة وهل.

قائم: مبتدأ مرفوع علامة رفعه الضمة الظاهرة.

الزيدان: فاعل مرفوع وعلامة رفعه الألف لأنه مثني وهو سد مسد الخبر وفي قولنا ماضروب المحمدان.

ما: حرف نفى لا محل له من الإعراب.

مضروب: مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة.

المحمدان: نائب فاعل سد مسد الخبر مرفوع وعلامة رفعه الألف لأنه مثني.

ويقصد ابن مالك بقوله وقد يجوز فائق أولو الرشد أن بعض النحاة يجيز مجيء الوصف مبتدأ - وله فاعل مسد الخبر - دون أن يعتمد أي الوصف على نفى أو استفهام نحو فائز أولو الرشد.

فائز: مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة.

أولو: فاعل سد مسد الخبر مرفوع بالواو لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، وهو مضاف.

والرشد: مضاف إليه مجرور بالكسرة.

والثاني مبتدأ وذا الوصف خبر

إن في سوى الافراد طبقا استقر

في قولنا « أقائم الزيدان » وأقائمون الزيد نجد أن الجزأين تطابقا في التشنية والجمع أى في غير المفرد ، وفي تلك الحالة لابد من إعراب الجزء الثاني مبتدأ مؤخرًا والثاني خبراً مقدما.

ولا يجوز أن يكون الوصف مبتدأ والثاني فاعلاً سدّ مسد الخبر. ولذلك علة وهي أن هذا الاعراب يشبه الجزء الأول بالفعل ، ويكون الفعل في تلك الحالة مثنى أو جمعا ، والفاعل مثله فكأناء قلت يقومون الزيد أو يقومان الزيدان وهذا لا يجوز إطلاقاً إلا في لغيه ضعيفة وه لغة أكلوني البراغيث التي تثنى الفعل وتجمعه عندما يكون فاعله مثنى أو وهي جمعا. بل الواجب أن يفرد الفعل سواء أكان فاعله مفردا أم مثنى أم جمعا.

أما إذا قلنا أقائم زيد قلنا فيها إعرابان (١) مبتدأ ثم فاعل سد مسد الخبر (٢) أو خبر مقدم ثم مبتدأ مؤخر.

وإذا قلنا أقائم الزيدان أو أقائم الزيد فليس لنا إلا الإعراب الأول فقط وهو قائم مبتدأ، الزيدان فاعل سد مسد الخبر، ولا يجوز الإعراب الثاني وهو قائم خبر مقدم والزيدان مبتدأ مؤخر، لأن المبتدأ لابد أن يتطابق عددا مع الخبر.

والخلاصة هنا أن هناك إعرابين ١ - مبتدأ ثم فاعل سد مسد الخبر ٢ - خبر مقدم ثم مبتدأ مؤخر. والحالات هي:

أ - أقائم زيد يجوز الوجهان.

ب - أقائم الزيدان يجوز الوجه الثاني فقط

أو ذات موزن الزيد

سبب - أفعال الزيدان يبتز الوجه

أفانم الزيد الأول فقط

د- أفانمون زيد

علا التركيب غير صحيح لفرها

أفانمان زيد

ورفعوا مبتدأ بالابتداء كذلك رفع خبر بالمبتدأ

هنا تتعرض لمسألة العامل، فالمبتدأ إنما رفع أى وضعت عليه الضمة في الظاهرة بتأثير الابتداء، والابتداء هنا عامل معنوى، أى لا يمكن أن نتحسسها أو نراه، أما الخبر فارتفع بالمبتدأ نفسه.

وفي مسألة عامل الرفع فى المبتدأ أو الخبر اختلاف بين النحاة، وأشهر الآراء هو رأى الذى أوردناه وصاحبه سيبريه وجمهور البصريين. ورأى بعد النحاة أن العامل فى المبتدأ والخبر الابتداء، فالعامل فيهما معنوى.

وذهب قوم إلى أن المبتدأ مرفوع بالابتداء والخبر مرفوع بالابتداء والمبتدأ وقيل: ترافعا أى أن كلا منهما رفع الآخر.

والخبر الجزء المتمم الفائدة كالله بر والأيدى شاهدة

عرف ابن مالك الخبر بأنه ما يتم به معنى الجملة، ولا يدخل الفاعل فى هذا التعريف لأن ابن مالك قد أعطى مثالين على المبتدأ والخبر فى الجملة الأسمية نحو الله بر، ونحو الأيدى شاهدة.

وأبرزته مطلقا حيث تلا ما ليس معناه له محصلا

إذا قلنا «زيد كاتب» كان الخبر اسم الفاعل (كاتب) وهو فيه معنى الفعل (كتب) والذي قام بالفعل «كتب» ضمير تقديره هو يعود على المبتدأ زيد، فحينئذ يجوز لنا أن نبرز الضمير لا نبرزه فنقول زيد كاتب هو وزيد كاتب.

أما إذا جرى اسم الفاعل (الخبر) على غير من هو له فيجب إبراز الضمير ففي قولنا زيد «هند» ضاربها هو «نجد أن اسم الفاعل ضارب، لم يقم بفعل الضرب فيه هند بل زيد لذلك أبرزنا الضمير (هو)، وفي قولنا «زيد عمرو ضاربه هو» نجد أن اسم الفاعل (ضارب) لم يقم بفعل الضرب فيه عمرو بل زيد لذلك أبرزنا الضمير هو.

وأخبروا بظرف أو بحرف جر ناوين معنى كائن أو استقر

يشير هنا إلى نوع من أنواع الخبر وهو شبه الجملة. والخبر ينحصر في الأنواع التالية:

١- خبر مفرد الفتاة مؤدبة.

٢- خبر جملة اسمية الفتاة خلقها طيب. خبر جملة فعلية الفتاة تكتب الدرس.

٣- شبه جملة : المدرس أمام السبورة.

جارو ومجرور المدرس في الفصل.

والذى أشار إليه ابن مالك هو النوع الأخير، فالخبر عندما يكون شبيه
جملة لابد أن يتعلق بالكون العام (كائن، مستقر، يوجد، يكون) وهذه
الألفاظ كلها تحذف وجوبا ويبقى الجار والمجرور، أو الظرف المتعلق بها، فعند
إعرابنا للجملة المدرس أمام السبورة.

المدرس : مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة.
أمام : ظرف مكان منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة وهو
متعلق بمحذوف خبر، وأمام مضاف
السبورة : مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة.

وكذلك الإعراب فى المدرس فى الفصل.

المدرس : مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة
فى الفصل : جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر.

وشبه الجملة تتعلق:

١- بالخبر المحذوف كما بينا ومثله خبر كان وخبر إن

٢- بالفعل مثل انتظرتك ساعة

يلعب الولد فى الحديقة

٣- بمحذوف حال مررت بالرجل فى المسجد

٤- بمحذوف صفة مررت برجل فى المسجد

٥- بمحذوف صلة الموصول جاء الذى عندك

جاء الذى فى الدار

ولا يكون اسم زمان خبراً عن جثة وإن يفد فأخبراً

يكون ظرف المكان متعلقاً بمحذوف خبر، والمبتدأ في هذه الحالة ذات (وهو المقصود بالجثة) مثل المدرس أمام السبورة، أو معنى مثل الفضيلة فوق كل شيء.

أما ظرف الزمان فتعلق بمحذوف خبر عن المعنى منصوباً أو مجروراً بهي نحو (القتال يوم الجمعة) أو (القتال في يوم الجمعة) ولا يتعلق ظرف الزمان بمحذوف خبر عن الجثة (أي الذات) مثل (زيد اليوم) وأشار بقوله وإن يفد فأخبراً إلى أن ذلك يجوز إذا كان هناك معنى مفيد جاء من التقدير فتقول الهلال الليلة) فالهلال جثة، وسوغ هذا أننا نؤول، فنقول (طلع الهلال الليلة)، ونقول (الربط شهرى ربيع)، أى نضج الربط شهرى ربيع) فهذه الإفادة هي التي جوزت الإخبار بظرف الزمان عن الذات.

ومفرداً يأتي، ويأتي جملة
وإن تكن إياه معنى اكتفى
حاربة معنى الذي سبقت له
بها كنطقى الله حسى وكفى

يتعرض هنا لأنواع الخبر فيذكر أن الخبر:

١ - يأتي جملة نحو الرسول أخلاقه طيبة جملة اسمية

الرسول يدعو إلى الحق جملة فعلية

ولابد في الجملة المخبر بها أن يكون بها ضمير يعود على المبتدأ. وهذا معنى قوله حاربة معنى الذي سبقت له، «ففي الجملة الأولى نجد الضمير المتصل المضاف إليه في (أخلاقه) يعود على المبتدأ الرسول، وفي الثانية نجد الضمير المستتر الذي يعرب فاعلاً للفعل يدعو».

وقد يكون الضمير:

- ١- مقدرا نحو السمن متوان بدرهم أى منه.
- ٢- أو إشارة إلى المبتدأ نحو قوله تعالى (ولباس التقوى ذلك خير).
- ٣- أو تكراراً للمبتدأ بلفظة حتى يفيد التفخيم والتعظيم نحو الحاقة ما الحاقة.
- ٤- أو عموماً يدخل تحته المبتدأ نحو زيد نعم الرجل.

وهناك حالة لا يشترط وجود الضمير الذى يربط الجملة الخبرية بالمبتدأ وذلك عندما تكون الجملة الخبرية هى المعنى نفسه للمبتدأ نحو «نطقى: الله حسبى» فنطقى هو نفسه جملة الله حسبى لافرق. فنلقى مبتدأ أول مرفوع بضممة مقدرة (منع من مظهرها اشتغال المحل بحركة المناسبة والياء ضمير فى محل جر مضاف إليه، الله: لفظ الجلالة مبتدأ ثان، حسبى خير مرفوع بضممة مقدرة منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المناسبة والياء مضاف إليه.. والجملة من المبتدأ أو الخبر فى محل رفع خبر المبتدأ الأول ولم تحتاج الجملة الخبرية إلى رابط لأنها معنى المبتدأ نفسه فالله حسبى هو ما نطقت به.

ولا يجوز الابتداء بالنكرة	مالم تفد كعند زيد تمره
وهل فتى فيكم؟ فما خل لنا	ورجل من الكرام عندنا
ورغبة فى الخير خير وعمل	برزين وليقس مالم يقل

ذكر ابن مالك فى هذه الآيات الأحوال التى يجوز فيها أن يكون المبتدأ نكرة، ومجمل هذه الأحوال أن يكون المبتدأ فيه معنى الخصوصية أو العمومية، وذكر ابن مالك بعض الحالات وطلب منا أن نقيس الحالات

الأول : أن يكون الخبر مفعولاً له المبالغة التي ذكرها :

القول : أن يكون الخبر مفعولاً له وهو شبه جملة نحو (فوق الدار رجل) ، (عند زيد نصره) فإذا لم يكن شبه جملة لم يكن الخبر المبتدأ فلا نقول : (مجتهد رجل) .

الثاني : أن يتقدم على النكرة استفهام نحو هل رجل يضحى بنفسه ؟ وهل نفى فيكم ؟

الثالث : أن يتقدم على النكرة نفي نحو (ما حل لنا) .

الرابع : أن تكون النكرة موصوفة نحو رجل من الكرام عندنا ونحو طالب من جامعة الاسكندرية تفوق في العلم .

الخامس : أن تكون النكرة عاملة ، أى مؤثرة فيما بعدها فى الإعراب نحو رغبة فى الخبر خير . فالجار المحرور فى الخبر متعلق بالنكرة (رغبة) .

السادس : أن تكون النكرة مضافة نحو عمل برّمين

السابع : أن تكون شرطاً نحو من يقيم أقم معه .

الثامن : أن تكون جواباً نحو أن تسأل من جاء فقول : رجل جاء .

التاسع : أن تكون النكرة عامة نحو ناس يموتون وناس يولدون

العاشر : أن يقصد بها التنوع نحو الأصدقاء كثيرون صديق احاذر وصديق أصاحب .

الحادى عشر : أن تكون دعاء . نحو (سلام على آل ياسين) .

الثانى عشر : أن يكون فيها معنى التعجب نحو «ما أحسن زيدا» .

- الثالث عشر : أن تكون خلفا من موصوف نحو «صادق خير من كاذب» .
- الرابع عشر : أن تكون مصغرة، لأن التصغير إنما هو وصف بالتحقير نحو رجيل جاءنا .
- الخامس عشر : أن يقع قبلها واو الحال «سرينا ونجم قد أضاء» ونحو جلسنا وظلّ قد أفاء علينا .
- السادس عشر : أن تكون معطوفة على معرفة نحو محمد وآخر قائمان .
- السابع عشر : أن تكون النكرة معطوفة على وصف نحو تمبسمي رجل في الدار .
- الثامن عشر : أن يمطف على النكرة موصوف نحو رجل وامرأة طويلة في الدار .

والأصل في الأخبار أن تؤخرا وجوزوا التقديم إذ لا ضررا

الجملة الاسمية تتكون من المبتدأ والخبر، ولما كان الخبر هو وصف المبتدأ كان من الواجب أن يأتي المبتدأ ثم الخبر. فنقول، زيد مجتهد ولا يجوز لك أن تقول «مجتهد زيد» ومع ذلك فيجوز أن تقدم الخبر «إذ لا ضرر» أي إذا لم يحدث غموض أو لبس، فنقول زيد قائم أبوه، وقائم أبوه زيد.

فامنه حين يستوى الجزآن عرفا ونكرا عادمي بيان

فامنه أي امنع الخبر من التقديم، بل لابد أن يكون مؤخرا وذلك في الأحوال التالية:

١ - أن يكون كل من المبتدأ والخبر معرفة نحو زيد أنتوك، فلو قدمت الخبر وقت أنتوك زيد، لصار مبتدأ وأنت تريد أن يكون خبراً. وكذلك إذا كان كل من المبتدأ والخبر نكرة نحو أفضل من زيد أفضل من عمرو فإن وجد دليل يدل على أن المتقدم هو الخبر جاز ذلك التقديم. كقولك أبو يوسف أبو حنيفة

فأبو يوسف هو الخبر عنه بأنه مثل أبي حنيفة في عدله، فإذا قدمت الخبر وقت أبو حنيفة أبو يوسف امتنع اللبس لوجود قرينة وهي تشبيه أبي يوسف بأبي حنيفة وليس العكس.

كذا إذا ما الفعل كان الخبر أو قصد استعماله منحصر

٢ - أن يكون الخبر جملة فعلية نحو (محمد يكتب) ففي هذه الحالة يجب تأخير الخبر لأن لو قدمته وقلت (يكتب محمد) لكانت الجملة فعلية.

٣ - أن يكون استعمال الخبر على سبيل الحصر ويكون ذلك وإنما وإلا فنقول إنما زيد قائم، وما زيد إلا قائم.

أو كان مسنداً لذي لام ابتدا أو لازم الصدر كمن لي منجدا

٤ - وكذلك يجب تأخير الخبر إذا كان المبتدأ مقترناً بلام الابتداء (وهي للتأكيد ولا تأثير لها إعراباً) نحو لمحمد مجتهد، وذلك لأن اللام هذه لها صدر الكلام فلا يجوز أن يتقدم عليها شيء.

أما قول الشاعر:

خالي لأنك ومن جرير خاله ينل العلا ويكرم الأخوالا

فقد قدم الخبر للضرورة الشعرية

٥ - أن يكون المبتدأ له صدر الكلام كالمثال الذي أتى به الناظم من لي منجداً. من اسم استفهام لها الصدر وهي مبتدأ ثم بعدها (لي) جار

ومجرور متعلق بمحذوف خبر، ومنجداً حال منصوب «بافتحة ولا يجوز أن تقدم الخبر فتقول «لى من منجداً».

ونحو عندي درهم ولى وطير	ملتزم فيه تقدم الخبر
كذا إذا عاد عليه مضمراً	مما به عنه مبنياً بخبر
كذا إذا استوجب التصديراً	كأين من علمته نصيراً
وخبر المحصور قدّم أبداً	كما لنا إلا إباحة أحماً

بعد أن فرغ ابن مالك من بيان الأحوال التي يجب أن يتأخر فيها الخبر، ذكر هنا الأحوال التي يجب أن يتقدم فيها وهي:

١- أن يكون المبتدأ نكرة وليس لها مسوغ للابتداء بها إلا أن يكون الجار والمجرور أو الظرف (شبه الجملة) هو الخبر، ففي هذه الحالة لا بد من تقدم الخبر أما إذا كان هناك مسوغ آخر للابتداء بالنكرة فيجوز تقدمها نحو رجل ظريف عندي.

٢- أن يشتمل المبتدأ على ضمير يعود على شيء في الخبر نحو «فى الدار صاحبها» فضمير الغائب فى المبتدأ يعود على الدار من هنا وجب تقدم الخبر، لأننا لو قلنا (صاحبها فى الدار) لعاد الضمير على المتأخر وهو الخبر لفظاً ورتبة، لأن الخبر رتبته التأخر، وهو ملفوظ به فى هذا المثال بعد المبتدأ.

٣- أن يكون الخبر له صدارة الكلام، كأسماء الاستفهام مثلاً فتقول: أين زيد خبر مقدم ثم مبتدأ مؤخر، ولا يجوز أن تؤخر اسم الاستفهام، وكذلك المثال الذى أتى به الناظم: أين من علمته نصيراً.

٤- أن يكون المبتدأ واقعا عليه الحصر نحو إنما فى الدار زيد، ومافى الدار إلا

زيد كالمثال الذي أتى به الناظم: مالنا إلا إتباع أحمدنا.

وحذف ما يعلم جائز كما تقول (زيد) بعد من عندكما
وفي جواب (كيف زيد) قل (دنف) فزيد استغنى عنه إذ عرف

يبين ابن مالك هنا مسألة يجوز فيها حذف المبتدأ أو حذف الخبر وذلك
إذا دل على المحذوف دليل. فإذا سألك أحد «من عندكما» فتقول زيد عندنا،
ويجوز حذف الخبر فتقول (زيد) اعتماداً على أن السؤال يدل على الخبر
(عندنا). وكذلك إذا سألت «كيف زيد» فتجيب زيد دنف أو تحذف المبتدأ
قائلاً دنف، لأنه من المعلوم أن الكلام عن المبتدأ وهو زيد.

وقد يحذف المبتدأ والخبر كليهما إذا دل عليهما دليل كقوله سبحانه
وتعالى:

«واللّٰمِي يَمْسَنُ مِنَ الْمَحِيضِ مَنْ نَسَأَكُمُ أَنْ ارْتَبْتُمْ فَعَدَّتْهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ
وَاللّٰمِي لَمْ يَحْضَنْ». أي فعدتهم ثلاثة أشهر فحذف المبتدأ والخبر، لأن
ما قبله يدل عليه.

وعد لولا غالباً حذف الخبر	حتم نص يمين ذا استقرار
وعد واوعيت مفهوم مع	كمثل كل صانع وما صنع
وقبل حال لا يكون خبراً	عن الذي خبره قد أضمر
كضربى العبد مسيئاً وأثم	تبييني الحق منوطاً بالحكم

يبين ابن مالك في هذه الأبيات الحالات التي يجب حذف الخبر فيها وجوباً

وهى:

١- بعد لولا ويشترط لذلك أن يكون الخبر وجوداً عاماً نسبو^{١٠} لا زيد لهلكت، أما إذا كان خاصاً فيجب ذكره، أى ذكر الخبر، تقول لولا زيد شجاع لهلكت، فالشجاعة هنا ليست وجوداً عاماً بل ذكر صفة خاصة ومنه قول أبى العلاء:

يذيب الرعب منه كل غصيب فلولاً الغمد يمسكه لئلاً

٢- أن يكون المبتدأ نصاً فى اليمين نحو يمين الله لأفعلن، فيمين مبتدأ والخبر محذوف تقديره (قسمى) ويجوز أن يكون المذكور هو الخبر والمبتدأ هو المحذوف، أى (قسمى يمين الله) وفى قولنا (لعمرك لأفعلن) المحذوف الخبر، ولا يكون المحذوف هو المبتدأ لاقتران (لعمرك) بلام الابتداء. فإن لم يكن المبتدأ نصاً فى اليمين جار حذف الخبر وجاز إثباته، تقول عهد الله على لأفعلن «بذكر الخبر (على)» وتقول عهد الله لأفعلن بحذفه.

٣- أن يقع بعد المبتدأ واو بمعنى مع نحو كل رجل وضييعته، وكل واحد ونصيبه الخبر محذوف وتقديره مقترنان.

فإن لم تكن الواو نصاً فى المعية وجب ذكر الخبر نحو محمد وزيد منجتهان.

٤- أن يكون المبتدأ مصدراً مضافاً إلى فاعله ثم يأتى مفعوله وبعده حال وهذه الحال لاتصلح أن تكون خبراً نحو شربى اللبن ساخناً، فلا يجوز أن يكون (ساخناً) خبراً عن شربى. فيعرب حالا والخبر محذوف والتقدير

شربى اللبن إذا كان (فى الاستقبال) أو إذ كان (فى الماضى) ساخنا. فالظرف إذ هنا نائب عن الخبر ومثله أكلى اللحم طازجا. فاذا كانت الحال تصلح أن تكون خبرا، فلا يجوز النصب بل الرفع على الخبرية نحو زيد قائم، ولانقول (زيد قائما) والمضاف إلى هذا المصدر حكمه حكم المصدر كالمثال الذى أتى به ابن مالك، أتم تبينى الحق منوطاً بالحكم.

وهنا مواضع يجب حذف المبتدأ فيها لم يذكرها ابن مالك. وهى:

١- النعت المقطوع إلى الرفع: فعندما نقول أثبت على محمد الشجاع برفع الشجاع لكونه خبرا لمبتدأ محذوف تقديره هو وكذلك فى قولنا مررت بزيد البخيل برفع النجيل أو المسكين برفع المسكن فكل هذه الأمثلة محذوف فيها المبتدأ المقصود بها المدح أو الذم أو الترحم.

٢- فى أسلوب المدح بنعم أو الذم بئس ففى قولنا نعم الرجل زيد، فعل وفاعل والجملة خبر مقدم وزيد مبتدأ مؤخر على هذا الإعراب لا يكون هناك حذف، أما حذف المبتدأ ففى إعرابنا (زيد) خبرا، ويكون المبتدأ محذوفاً تقديره هو.

٣- الحالة الثالثة لها صلة بالحالة الثانية فى حذف الخبر وهى ما كان الخبر فيها صريحا فى القسم نحو فى «ذمتى لأفعلن» فالجار والمجرور خبر لمبتدأ محذوف واجب الحذف وتقديره (يمين).

٤- أن يكون الخبر مصدرا نائبا مناب الفعل نحو صبر جميل، أى صبرى صبر جميل.

وأخبروا باثنين أو بأكثر
عن واحد كهم سراة شعرا
يجوز أن يكون للمبتدأ خبر واحد أو اثنان أو أكثر نحو محمد مجتهد،

محمد مجتهد ذكي، محمد مجتهد ذكي مؤدب، ومنه قوله الله سبحانه
وتعالى «وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد فعال لما يريد».

كان وأخواتها

هذا باب كان وأخواتها وهي ظل ربات وأضحى وأصبح وأمسى وصار وليس وزال وبرح وفتىء وانفك وسميت (كان) أم الباب.

١ - لسعة أقسامها.

٢ - ولأن (كان) التامة دالة على الكون، وكل شيء داخل تحت الكون.

٣ - وأن (كان) دالة على مطلق الزمان الماضي، (ويكون) دالة على مطلق الزمان المستقبل بخلاف غيرها، فإنها تدل على زمن مخصوص كالصباح والمساء.

٤ - وأنها أكثر في كلامهم، ولهذا حذفوا منها النون في قولهم: لم يك.

٥ - وأن بقية أخواتها تصلح أن تقع أخبارا لها، كقولك كان زيد أصبح منطلقا ولا يحسن أصبح زيد كان منطلقا، «الأشياء والنظائر ص ٢٣».

وهذه الأفعال تسمى ناقصة لأنها لا تدل على حدث وإنما تدل على

زمن.

ولأنها لا تكفى بمرفوعها، بل لابد من ذكر منصوبها «إلا لو كانت

تامة».

وسميت أيضا بالناسخة لأنها تنسخ الجملة الاسمية فتغير زمانها وترفع

الاسم وتنصب الخبر.

ترفع كان المبتدأ اسما والخبر	تنصبه ككان سيذا عمر
ككان ظل بات أضحى أصبحا	أمسى وصار ليس زال برحا
فتىء وانفك وهذى الأربعة	لشبه نفسى أو لنفى متبعة
ومثل كان دام مسبقا ب «ما»	كاعط مادمت مصيبا درهما

يتناول الناظم فى البيت الأول عمل كان، فيذكر أنها ترفع المبتدأ ويسمى اسمها وتنصب الخبر ويسمى خبرها مثل كان عمر سيذا. ثم يذكر فى البيت الثانى بعد أخوات كان فيقول أن مثل كان فى العمل الأفعال: ظل، بات، أضحى، أصبح، أمسى، صار، ليس وهذه كلها تعمل الرفع ثم النصب مطلقا أى دون شروط. ثم يأتى إلى (زال، ورح، وفتىء وانفك) فذكر أن هذه الأفعال الأربعة لا بد - لكى تعمل - أن يسبقها نفى أو شبه نفى، ملفوظا أو مقدرا، فالنفى مثل مازال زيد مجتهدا، وشبهه وهو (النهى) أو الدعاء) نحو:

لا تزال قائما، لا يزال الله محسنا إليك، والمقدر مثل قوله تعالى

قاله نفثا تذكر يوسف، أى (لا نفثا)

ثم يذكر فى البيت الرابع فعلا واحداً له شرط عندما يعمل عمل كان وهو (دام) وشرطه أن يسبقه (ما) المصدرية الظرفية، نحو قوله سبحانه وتعالى (وأوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حيا).

وهذه الأفعال تدل على التوقيات المعينة فكان لمطلق الماضى، وتجد أن العرب لا تقول ظل يظل إلا لكل عمل بالنهار^(١). وهذا جاء من الظل الذى تكفيه الشمس، ولا يكون إلا نهاراً بالطبع، وأضحى كذلك، فالضحو

(١) اللان : مادة ظل.

الضحوة على مثال العشية ارتفاع النهار وقبل الضحى من طلوع الشمس
 ى أن يرتفع النهار وتبيض الشمس جدا أو حين تطلع الشمس فيصفو
 نوؤها والضحاء إذا ارتفع النهار واشتد ووقع الشمس وأضحى يفعل ذلك،
 ى صغار فاعلا له فى وقت الضحى^(١)، وأصبح من الصبح وهو أول طلوع
 نهار وهو نقيض المساء، وأصبح القوم دخلوا فى الصباح كما يقال أمسوا
 دخلوا فى المساء.

ويقولون إذا زالت الشمس إلى أن ينتصف الليل أمسيت بخير، وكيف
 مسيت^(٢) وبات يفعل كذا أى ظل يفعله بالليل....

وغير ماض مثله قد عملا إن كان غير الماضى منه استعمالا
 الماضى من هذه الأفعال يعمل الرفع ثم النصب كما ذكرنا وكذلك
 يعمل العمل نفسه مايجىء من هذه الأفعال من مضارع أو أمر أو اسم فاعل.
 وتنقسم هذه الأفعال من حيث التصرف إلى:

- ١ - أفعال لاتتصرف : دام وليس.
 - ٢ - أفعال يجىء منها المضارع وهى زال وفتىء وبرح وانفك.
 - ٣ - أفعال تنصرف وهى باقى هذه الأفعال.
- وفى جميعها توسطها الخبر أجز، وكل سبقه دام خطر.
- يجوز أن تتوسط أخبار هذه الأفعال بينها وبين اسمها نحو قوله تعالى
 «وكان حقا علينا نصر المؤمنين» بشرط إلا يوجد مايجب تقديم الاسم نحو:
 كان أخى رفيقى لأن الجزأ بين معرفتان.
- ومن توسط خبر ليس بين ليس واسمها قول الشاعر

(١) اللسان : مادة ض ح ا.

(٢) اللسان : مادة ص ب ح .

سلى - إن جهلت - الناس عنا وعنهم

فليس سواءً مالمَّ وجهولٌ

وكل النحاة منع سبق خبر دام عليها فلا يجوز نحو لا أصحبك قائما
مادام زيد.

كذلك سبق خبر ما النافية فجاء بها متلوة لا تالية

أى كذلك منع النحاة أن يسبق الخبر ما النافية سواء أكان هذا الحرف
شرطاً للعمل مثل قائما مازال زيد أم ليس شرطاً نحو قائما ماكان زيد.

ومنع سبق خبر ليس اصطفى وذو تمام مايرفع يكتفى

أى أن بعض النحاة أجاز تقديم خبر ليس عليها وبعضهم - وهذا ما
اختاره الناظم - منع ذلك، فلا تقول قائما ليس زيد.

أما الذين أجازوا التقديم فقد استندوا إلى الآية الكريمة (ألا يوم يأتيهم
ليس مصروفا عنهم).

فيوم ظرف زمان متعلق باسم المفعول (مصروفا) الذى هو خبر ليس أى
أن يوم وهو معمول الخبر قد تقد على ليس فأولى بالخبر نفسه (وهو العامل)
أن يتقدم.

وقول الشارح (ذو تمام) أى مايجىء تاما من هذه الأفعال يكتفى
بمرفوعة على أنه فاعل ولايحتاج إلى خبر وكل هذه الأفعال تستعمل ناقصة
وتامة، عدا ليس فتىء وزال التى مضارعها يزال لا التى مضارعها يزول فإنها
تكون ناقصة ليس غير.

وشاهد استعمال كان تامة «وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة» ،
وقولهم كان الشتاء فكان البرد وشاهد استعمال دام تامة، قوله تعالى «

خالدین فیہا مادامت السموات والارض، وأمسى وأصبح «فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون» .

أما الفعلان فتىء وزال فلا يستعملان إلا ناقصين

ولا يلى العامل معمول الخبر إلا إذا ظرفاً أى أو حرف جر

عندما نقول كان محمد كاتباً درسه فإن كاتباً خبر كان وهو اسم فاعل أى أنه عامل فى (درسه) فهو مفعول به لاسم الفاعل الذى يعمل عمل الفعل هذا المفعول (درسه) لا يجوز أن يتقدم على عامله (كاتباً) فلا يجوز لك أن تقول كان درسه محمد كاتباً. وهذا معنى قوله ولا يلى العامل معمول الخبر أى لا يلى العامل (أى الخبر) بعد معموله أما إذا كان معمول شبه جملة (ظرفاً أو جاراً ومجروراً) جاز تقدمه على الخبر العامل نحو كان عندك زيد مقيماً، وكان فيك زيد راغباً.

ومضمّر الشأن اسماً انوإن وقع موهم ما استبان أنه امتنع إن جاء شاهد شعري فيه هذا الامتناع أى تقدم معمول الخبر على الخبر العامل، فيجب إضمار ضمير شأن وعده اسماً لكان. فبيت الشعر:

قنافذ هذا جون حول بيوتهم

بما كان إياهم عطية عودا

فإياهم معمول للفعل (عود) الذى هو خبر كان، ولتخريج هذا البيت نضمّر اسماً لكان وهو ضمير الشأن أى بما كان الشأن أو القصة أو الأمر أو هو ويكون عطية متبداً، وجملة (عودا) فى محل رفع خبر المبتدأ، وإياهم مفعول به لعودا وجملة المبتدأ وخبره فى محل نصب خبر كان، فلم يتقدم معمول الخبر على اسم كان الذى هو ضمير الشأن.

ونرى أن هذا التخريج لا يمنع من تقديم معمول الخبر على الخبر، إلا إذا كان المقصود بهذا التخريج عدم تقدم معمول الخبر على اسم كان.
وقد تزداد كان في حشو كما كان أصبح علما من تقدما.
عرفنا أن كان تأتي ناقصة مثل وكان الله غفورا رحيمًا وتأتي تامة نحو كان الشتاء فكان البرد.

ويضيف الناظم نوعا ثالثا لكان وهي كان الزائدة.

محمد « كان مجتهد »	وتزداد بين المبتدأ والخبر
لم يوجد كان مثلك	والفعل والفاعل
جاء الذي كان أكرمته	والصلة والموصول
	والصفة والموصوف نحو قول الشاعر :

فكيف إذا مررت بدار قوم وجيران لنا كانوا كرام
وما وفعل التعجب: ما كان أصبح علم من تقدما وبين حرف الجر
ومجروره:

سراة بنى بكر تسامى	على كان المسومة العراب
ويكثر زيادتها بصيغة الماضي، وتقل في المضارع ومنه	
أنت تكون ماجد نبيل	إذا تهب شمال بليلى
ويحذفونها ويقرون الخبر	وبعد إن ولو كثيرا إذا اشتهر
هناك حالات لحذف كان مع اسمها وحذفها وحدها وحذف نونها.	

وفى هذا البيت يبين متى تحذف كان مع اسمها ويبقى خبرها

وذلك بعد إن ولو الشرطيتين مثل

قد قبل ما قبل إن صدقا وإن كذبا

فما اعتذارك من قول إذا قليلا

أى إن كان المقول صدقا وإن كان المقول وكذبا.

ومن أمثلة حذف كان مع اسمها بعد لو تقولهم اتى بدابة ولو حمارا
أى ولو كان المأتى به حمارا، وتصدق ولو بشق تمره؛ أى ولو كان المتصدق
به شق تمره.

وبعد (أن) تعويض (ما) عنها ارتكب

كمثل «أما أنت برا فاقترب».

يتناول فى هذا البيت حالة حذف كان وحدها بعد أن المصدرية ويأتى
بمثال بعد الحذف وهو ما أنت برا فاقترب، وهذا المثال أصله قبل الحذف:

لأن كنت برا فاقترب، فحذف لام التعليل وحذف كان فانفضل الضمير
الذى كان متصلا وجيء بما عوضا عن كان المحذوفة فأصبح المثال أن ما
أنت برا فاقترب، ثم أدغمت أن فى ما فأصبح المثال أما أنت برا فاقترب

ومن مضارع لكان منجزم تحذف نون، وهو حذف ما التزم

يجوز حذف نون كان إذا كانت فى صيغته المضارع المجزوم (يكن)
ولا يكون بعدها ساكن، ولا متصلة بضمير نحو قوله تعالى «ولم أك بغيا»
ومثال يكن وبعدها ساكن «لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب ...»
ومثال يكن متصلة بضمير قول الرسول ﷺ «إن يكنه فلن تسلط عليه».

إن وأخواتها

لأن، أن، ليت، لكن، لعل
كان عكس ما كان من عمل
كان زيدا مالم بأنى
كفاء ولكن ابنه ذو ضمن

قلنا إن الجملة الاسمية تتكون من جزأين المبتدأ والخبر، ويدخل على هذين الجزأين أفعال وهي كان وأخواتها، وأفعال المقاربة والرجاء والشروع وكذلك تدخل عليها حروف مشبهات بليس وهي ما ولا ولات وإن وهذه كلها ترفع المبتدأ على أنه اسم لها وتنصب الخبر على أنه خبرها. وفي هذين البيتين تأتى الحروف التى تدخل على الجملة الاسمية فتعمل فيها عكس ما تعمل كان، إذ إنها تنصب المبتدأ على أنه اسم لها وترفع الخبر على أنه خبرها وهذه الحروف هي:

إن وأن للتأكيد نحو
لكن للاستدراك الشمس طالعة لكن السماء ممطرة
كان للتشبيه
ليت للتمنى نحو
إلا ليت الشباب يعود يوما

فأخبره بما فعل المشيب

لعل للترجى لعل الطالب ناجح

والفرق بين التمنى والترجى أن التمنى فى الممكن وغير الممكن أما الترجى فلا يكون إلا فى الممكن والمثال الذى أتى به الناظم فى لكن:

لكن ابنه ذو ضمن

لكن: حرف من أخوات إن ينصب المبتدأ ويرفع الخبر وينفد الاستدراك.

أبنة: اسم لكن منصوب بالفتحة وهو مضاف والهاء ضمير متصل في محل جر مضاف إليه.

ذو: من الأسماء الخمسة مرفوع وعلامة رفعه الواو لأنه خبر لكن وهو مضاف

ضمن: أى كراهية وحقد مضاف الى مجرور بالكسرة.

وراع ذات الترتيب، إلا فى الذى كليت فيها - أو هنا - غير البذى.
وقوله وراع ذا الترتيب أى حافظ على هذا الترتيب بأن يأتى اسم إن أولاً ثم يأتى خبرها.

أما إذا كان الخبر شبه جملة فلك أن تؤخره أو تقدمه كالمثال الذى أنه به الناظم ليت فيها غير البذى أو ليت هنا غير البذى.

فشبه الجملة (فيها أو هنا) متعلق بمحذوف خبر ليت وهو متقدم ويجوز تأخيره فتقول ليت غير البذى هنا أو فيها.

وإذا كان فى الأسم ضمير يعود على الخبر فيجب حينئذ تقديم الخبر فتقول ليت فى الدار صاحبها، ولا يجوز أن تؤخر الخبر فتقول ليت صاحبها فى الدار لأن الضمير تأخر عن مرجعه.

كذلك لا يجوز تقديم معمول الخبر على الاسم إن كان المعمول غير ظرف أو جار ومجرور، فلا تقول إن طعامك زيداً أكل طعامك.

أما إذا كان المعمول ظرفاً أو جاراً ومجروراً فمن النحاة من منع تقديمه أيضاً فلا تقول إن بك زيداً واثق، ولا تقول إن عندك زيداً جالس، ومن النحاة من أجاز التقديم فى هذه الحالة استناداً إلى الشاهد

فلا تلحنى فيها؛ فإن بحبها أخاك مصاب القلب جم يلاله

الشاهد إن بحبها أخاك مصاب. فقهم الجار والجار بحب - الذي هو متعلق أو معمول للخبر مصاب - على الاسم (أخاك).

وهمز إن افتح لسد مصدر مسدها وفي سوى ذاك أكسر.

متى نفتح همزة إن ومتى نكسرهما؟ للفتح أحوال وللكرس أحوال ولكن القاعدة العامة لكل هذه الأحوال أنه إذا صح أن يأتي مصدر من أن ومعمولها فتفتح وإن لم يصح فتكسر.

فقول الله تعالى «قل أو حي إلى» أنه استمع نهر من الجن» تؤول أن مع معموليها: قل أو حي إلى استماع وتكون استماع نائب فاعل، لذلك تفتح همزة إن ونحو يسرنى أنك مجتهد، تؤول: يسرنى اجتهدك تفتح همزة إن واجتهاد تعرب فاعلاً؛ مثلاً يسر كلية الآداب أن تستضيف تؤول يسر كلية الآداب استضافة ونحو عجت من أن الطالب كسول تؤول.

عجت من كسله جار ومجرور متعلق بعجت

ونحو عرفت أنك مؤدب تؤول عرفت أدبك أدب مفعول به

ففي كل هذه الأمثلة استطعنا أن تؤول أن ومعموليها بمصدر لذلك وجب فتح همزة إن أما إذا لم يصح ذلك فتسر نحو إن محمداً مجتهد ونحو جاء الذي إنه ناجح.

فاكسر في الابتدا وفي بدء صلة وحيث إن ليمين مكملة

أو حكيت بالقول أو حلت محل حال كثرته وإنى ذو أمل

وكسروا من بعد فعل علقا باللام كاعلم إنه لذوتقى

بفصل الأحوال التي تكسر فيها همزة إن وهي:

- فى الابتداء إنَّ الله سميعٌ علِيمٌ.
- فى صدر جملة الصلة وآتيانه من الكنور من إنَّ مفاتحه لتنوء
- فى القسم وإن يكون فى خبرها اللام: والله إنَّ الحقَّ لمنتصر.
- أن تكون محكية بالقول: قال إني عبد الله.
- أن تكون فى أول جملة الحال: زرتُه وإنى ذو أمل. انتظرتك وإنَّ الشمس طالعة.
- أن تقع بعد فعل من أفعال القلوب وفى خبرها اللام علمت إنَّ زيدا لقائم.
- وهذه اللام تسمى اللام المعلقة أى أنها علقت (علم) عن العمل فى اللفظ وليس فى المحل، فلم يجر لذلك أن نؤول مفعولى علم - وهما أن ومعموليهما - بمصدر فتقول علمت قيام زيد وفى القرآن الكريم: والله يشهد إنك لرسوله. بعكس المثال الذى ليس فيه اللام مثل علمت أنَّ زيدا قائم، فتفتح الهمزة كما ذكرنا.
- وهناك أحوال لم يذكرها الناظم:
- ١ - بعد ألا الاستفتاحية ألا إنهم هم السفهاء.
 - ٢ - بعد حيث: ذهب حيث إنك ذاهب وذلك أن حيث يأتى بعدها جملة، ولا تؤول هذه الجملة بمفرد.
 - ٣ - إذا جاءت مع معموليها خبراً عن اسم عين نحو محمدٌ إنه مجدٌ.
- | | |
|--------------------------|-----------------------------|
| بعد إذا فجاءة أو قسم | لا لام بعده بوجهين نمسى |
| مع تلو فا الجزا وذا يطرد | فى نحو (خير القول إني أحمد) |

بوجهين نَمَى أى عَرِف وجهان (كسر وفتح) بعد إِنْ الواقعة بعد:-

١- إذا الفجائية: نحو خرجتْ فإذا إِنْ زِيداً قائمٌ، على (إِنْ زِيداً قائمٌ) جملة. والفتح خرجت فإذا إِنْ زِيداً قائمٌ على إِنْ أَنْ ومعمولها تؤول بمصدر مبتدأ خبره إذا الفجائية، أى خرجت فإذا قيام زيد، ويجوز أن يكون الخبر محذوفاً، أى خرجت فإذا قيام زيد موجود. ومن شواهد جواز الوجهين.

وكنت أرى زيدا - كما قيل - سيدا

إذ إنه عبد القفا واللهازم

٢- إذا وقعت جوابا لقسم ليس فى خبرها اللام:

خَلَقْتُ إِنْ زِيد قائم

٣- إذا وقعت بعد فاء الجزاء نحو (من يأتنى فإنه مكرم).

فجملة إنه مكرم لاتؤول بمصدر، وأنه مكرم على تأويلها بمصدر لإكرام مبتدأ وخبره محذوف تقديره موجود أى فإكرامه موجود.

ومما جاء بالفتح والكسر قوله تعالى (كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل سوء بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فإنه غفور رحيم) فالكسر على الجملة فهو غفور رحيم والفتح على (فغفران ورحمة جزاؤه)؛ أى مبتدأ لخبر محذوف أو العكس (فجزاؤه الغفران والرحمة) خبر لمبتدأ محذوف.

٤- ويجوز الوجهان أيضا إذا وقعت إِنْ مع معموليها خبراً عن قول قائله هو نفسه قائل خبر إِنْ. نحو خير القول إني أحمد الله، فقائل (أحمد الله) هو نفسه قائل خير القول. فلك هنا أن تكسر على أساس أن (إني أحمد الله) جملة وأن تفتح على التأويل بمصدر: خير القول حمد الله.

وبعد ذات الكسر تصحب الخبر لام ابتداء، نحو: إني لوزر.

إذا قلت (محمد مجتهد) لم يكن فى هذه الجملة تأكيد، فإذا أردت أن تؤكد نسبة الخبر إلى المبتدأ أى نسبة الإجتهد إلى محمد قلت إنَّ محمداً مجتهد. فإذا أردت أن تؤكد هذه النسبة أكثر وأكثر قلت: إنَّ لمحمداً مجتهداً. ونلاحظ نتابع حرفى تأكيد فى هذه الجملة إن واللام مما يجعل فيها ثقلاً وغلظة لذلك فقد زحللوا اللام من المبتدأ وجعلوها فى الخبر فسميت اللام الموحلة وصارت الجملة إن محمداً لمجتهد.

وهذه اللام لا تدخل إلا فى خبر إنَّ، أما باقى أخواتها فلا تجيء فى خبرها إلا نادراً وفى شواهد معدودة.

ولا يلى ذى اللام ماقد نفياً ولا من الأفعال ماكرضياً.

وقد يليها مع قد كأنَّ ذا لقد سما على العدا مستحوذاً

أى أنَّ هذ اللام لا تدخل على خبر إنَّ عندما يكون فعلاً منفياً فلا نقول إنَّ زيداً لما يقوم، كذلك لا تدخل على الأفعال الماضية المتصرفه غير المقرونة بقدر فلا نقول إنَّ زيدا لرضى ومن ثمَّ فهى تدخل على المضارع متصرفاً أم غير متصرف نحو إنَّ محمداً ليرضى وإنَّ محمد ليلذر الشر.

وكذلك تدخل على الماضى الجامد نحو إنَّ زيدا لنعم الرجل

وكذلك تدخل على الماضى المتصرف المقترن بقدر: إنَّ زيدا لقد قام

وتصحب الواسط معمول الخبر والفصل، وأما حلَّ قبله الخبر

أى إذا توسط معمول الخبر بين الاسم والخبر جاز دخول اللام عليه مثل: إنَّ محمداً لدرسه كاتب، بشرط أن يصح دخول اللام على الخبر نفسه. فلا يجوز أن تقول: إنَّ محمداً لدرسه كتب لان (كتب) وهى الخبر فعل ماضى لا يصح دخول اللام عليه فالأولى ألا يصح دخولها على معموله.

وكذلك تدخل على ضمير الفصل، وسمى كذلك لأنه يفصل بين الخبر والصفة ففي قولك محمد هو القائم هو ضمير فصل لا محل له من الإعراب والقائم خبر محمد ولولا وجود هو لكانت الجملة محمد القائم ويكون هناك احتمال لإعراب القائم صفة لمحمد ولم يأت الخبر بعد.

ضمير الفصل هذا يجوز دخول اللام عليه فتقول

إنَّ محمداً لهو القائم

وكذلك تدخل هذه اللام على اسم إنَّ إذا تأخر عن الخبر مثل إن في الدار لزيداً.

ووصل (ما) بذي الحروف مبطل إعمالها وقد بقي العمل

(ما) نكون نافية وموصولة وزائدة وكافة إن وأخواتها عن العمل واستفهامية والتي توصل بأن ربما تكون الكافة أو الموصولة بمعنى الذي.

وفي هذا البيت يبين أن ما إذا اتصلت بأن وأخواتها كفها عن العمل فيكون الجزء الأول مرفوعاً بالابتداء والثاني يكون مرفوعاً على أنه خبر المبتدأ، ويستثنى من هذه القاعدة الحرف ليت فإذا اتصلت به مايجوز إعمال ليت ويجوز إنَّ محمداً قائم وإنما محمد قائم ويجوز أيضاً إعمالها فتقول ليتما محمداً غني وليتما محمد غني.

كان العروس بدر - كأنما العروس بدر

وجائز رفعك معطوفاً على منصوب إن بعد أن تستكملاً

تقول إن محمداً مجتهداً، فإذا عطفت على منصوب إن أي اسمها بعد أن تستكمل أن جزأيها فنقول إنَّ محمداً مجتهد وعلى وإعراب (على) مبتدأ لخبر محذوف تقديره كذلك، ويجوز أن يكون معطوفاً على محل اسم إن فإنه في الأصل مرفوع لكونه مبتدأ.

ويجوز لك أن تنصب فتقول إنَّ محمداً مجتهدٌ وعلياً بالعطف على اسم
إنَّ.

أما إذا عطفت قبل أن تستكمل جزأها؛ أى قبل الخبر فليس لك إلا
النصب فتقول:

إن محمداً وعلياً مجتهدان

والحققت بأنَّ لكنَّ وأنَّ من ذون ليت ولعل وكأنَّ

الحكم الذى ذكر فى البيت السابق وشرحناه مطبقاً على إنَّ ينطبق أيضاً
على لكنَّ وأنَّ. أما ليت ولعل وكأنَّ.

فلا يجوز فى المعطوف إلا النصب سواء تقدم أم تأخر تقول ليت زيدا
وعمرًا قائمان. وليت زيدا قائم وعمرًا

وخففت إنَّ فقلَّ العمل وربما استغنى عنها إنَّ بدا
وتلزم اللام إذا ما نهمل ما ناطق أرادته معتمداً

إنَّ المشددة إذا خففت تصبح إنَّ التى لا تعمل غالباً وتلزم اللام فى
خبرها فتقول إنَّ محمداً مجتهد وهذه اللام تسمى اللام الفارقة؛ لأنها تفرق
أى تميز بين إنَّ المخففة وإنَّ النافية فى قول الله سبحانه وتعالى إنَّ الكافرون
إلا فى غرور فإنَّ ظهر الفرق بينهما من سياق الجملة فيستغنى عنها أى عن
اللام كما فى قول الشاعر:

ونحن أباة الضيم من آل مالك وإنَّ مالك كانت كرام المعادن

فسياق المدح يظهر إنَّ (إنَّ) للإثبات وليس للنفى

والفعل إنَّ لم يكن ناسخاً فلا تلفيه غالباً بأنَّ ذى موصلاً

إنَّ المخففة التي بينها في البيت السابق لا يجيء بعدها من الأفعال إلا الأفعال الناسخة (كان وأخواتها وظن وأخواتها) قال الله تعالى: وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله. وقال الله تعالى: وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم. وقال الله تعالى: وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين. وقول الناظم تلغيه غالبا بأن ذي موصلاء أى نجد أن المخففة متصلة بفعل ناسخ غالبا.

وعلى ذلك فاتصالها بغير الناسخ نادر وفي شواهد معدودة كقولهم
إن يزنيك لنفسك وإن يشينك لهيه.

وإن تخفف أن فاسمها استكن والخبر اجمل جملة من بعد أن
أن المفتوحة المشددة تخفف فتصبح أن وحيث أن يكون اسمها ضمير شأن
محذوفاً والجملة بعدها تكون خبراً تقول علمت أن زيد قائم
أن: مخففة من الثقيلة واسمها ضمير بشأن محذوف أى أن الأمر أو
الشأن أو الحكاية أو القصة أو أنه زيد مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة
قائم خبر مرفوع وعلامة رفعه الضمة

والجملة من المبتدأ أو الخبر في محل رفع خبر أن

وإن يكن فعلا ولم يكن دعا ولم يكن تصرفه ممتنعاً

فالأحسن الفصل بقد أو نفى أو تنفيس أو لو وقليل ذكر لو

يبين أحكام خبر أن المخففة من الثقيلة فإذا كان الخبر جملة اسمية فلا
يحتاج إلى فاصل بينها وبين خبرها نحو علمت أن زيد قائم

وإذا كان الخبر جملة فعلية - وهو المقصود بقوله (وإن يكن فعلاً)
فلا يحتاج إلى فاصل:-

- ١ - إذا كان الخبر فعلا غير متصرف لم يؤت بفواصل نحو قوله الله سبحانه وتعالى وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وقوله الله سبحانه وتعالى وأن عسى أن يكون قد اقترب اجلهم.
- ٢ - كذلك إذا كان الخبر فعلا يتصرفا مقصودا به الدعاء كقوله سبحانه وتعالى والخامسة أن غضبت الله عليها.
- ويحتاج الخبر إلى فاصل في غير الحالتين السابقتين أى إذا كان فعلا متصرفا غير مقصود به الدعاء وقد ذكر الناظم أنواع الفاصل وهى قد أو النفى أو سوف أو السين أو لو قليلا نحو :
 - ١ - قد كقوله تعالى ونعلم أن قد صدقتنا.
 - ٢ - السين كقوله تعالى علم أنه سيكون منكم مرضى.
 - ٣ - سوف نحو أعلم أن سوف يأتينى ما هو مقدر لى.
 - ٤ - النفى نحو قوله تعالى : أفلا يرون أن لا يرجع اليهم قولا، وقوله تعالى أبحسب الإنسان أن لن نجتمع عظامه.
 - ٥ - لو واستعمال لو فاصلا قليلا نحو قوله سبحانه وتعالى وأن لو استقاموا على الطريقة.
- وخففت كأن ايضا فنوى منصوبها وثابتا ايضا روى تخفف كأن فتصبح كأن وينوى منصوبها أى يكون اسمها ضمير شأن محذوفا وربما يذكر ثم يجيء خبرها جملة فتقول كأن زيد قائم. فاسمها ضمير شأن محذوف والجملة بعدها خبر كأن زيدا قائم. كأن عاملة واسمها زيدا. وخبرها قائم. كأن لم تغن بالأمس. كأن المخففة واسمها ضمير شأن محذوف والجملة بعدها خبر والفواصل لم .

المفعول لأجله

ينصب مفعولا له المصدر إن أبان تعليلا كـ «جد شكرا ودين»
 وهو بما يعمل فيه متحد وقتا وفعلا وإن شرط فقد
 فاجره بالحرف وليس يمتنع مع الشروط كلزهد ذا اقنع
 المفعول لأجله أو المفعول معه هو المصدر الذي يفيد سببا (علة) ويشارك
 العامل فيه في الوقت والفاعل.

وقد أتى الناظم بمثال: جدّ - أمر من الجود - شكرا
 فشكرا مصدر مبين لعلة أى لسبب الجود وهو الشكر لله
 ففاعل الجود هو نفسه الشاكر لله وهو المخاطب ووقت الفعلين واحد
 وكذلك ذهبت إلى الطبيب طلباً للشفاء
 ففاعل ذهبت هو فاعل (طلباً) والاثنان في وقت واحد.
 ويعرف المفعول لأجله بأنه جواب لسؤال يبدأ بلمّ أو لماذا أو ما السبب؟
 وينصب إذا وجدت فيه هذه الشروط الثلاثة: المصدرية وإبانة السبب
 ومشاركة العامل في الفاعل والوقت.

فإن فقد واحدا من هذه الشروط يعمّن جره بحرف الجر مثل:
 جئتكَ للسمن فقد المصدرية
 جئتكَ اليوم للإكرام غدا فقد الاتحاد مع عامله في الوقت
 جاء زيد لإكرام عمرو له فقد الاتحاد مع عامله في الفاعل
 ومع ذلك فإنه يجوز جر المفعول له إذا استكمل الشروط ومثل الناظم

بالمثال: قنع هذا لزهد أو قنع هذا زهدا.

وقل أن يصحبها المجرد والعكس في مصحوب آل وأنشدوا

لا أقعد الجبن عن الهيجاء

ولو تواتل زمر الأعداء

وقل أن يصحب (المصدر) المجرد من آل والإضافة حروف الجر. والعكس في مصحوب آل؛ أى أن المصدر المقترن بآل كثيرا ما يجر بحرف الجر وتفصيل ذلك أن المصدر على ثلاثة أنواع:

١- الأول أن يكون مجردا من آل والإضافة وحينئذ يكثر نصبه ويقل جره نحو ضربت ابني تأديبا هذا هو الغالب. والقليل أن تقول: ضربت ابني للتأديب.

٢- الثاني أن يكون المصدر مقترنا بآل وحينئذ يكثر جره ويقل نصبه فتقول ضربت ابني للتأديب والقليل: ضربت ابني التأديب ومن هذا القليل ما أنشده الناظم.

لا أقعد الجبن عن الهجاء ولو تواتل زمر الأعداء

وعلى اللغة الغالبة كان يقول لا أقعد للجبن إلا أنه نصب الجبن للضرورة الشعرية ومثله قوله

فليت لى بهم قوما إذا ركبوا شتوا الإغارة فرسانا وركبانا

٣- المصدر المضاف ويستوى فيه الجر والنصب:

ضربت ابني تأديبه

وضربت ابني لتأديبه

ومن شواهد النصب قوله تعالى «يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق حذر الموت».

وقول الشاعر: وأغفر عوراء الكريم ادخاره وأعرض عن شتم اللئيم تكريما.

التمييز

أسم بمعنى (من) مبين نكرة ينصب تمييزاً بما قد فسر
كشبر أرضاً وقفيز برّاً ومنوين عسلاً وتمرّاً
هذا باب التمييز وهو من المنصوبات أيضاً مثل المفعول لأجله الذى سبق
ويسمى أيضاً لمفسر والتفسير.

وهو أسم نكرة مبين لإحمال قبله أى مفسر ويميز له فإذا قلت اشتريت
أفة، كانت (أفة) مجملة لا تفسر لها أو تميز، حتى إن السامع يسألك أفة
م؟ فإذا قلت عنبا مثلاً أو تفاحاً زال الغموض والإجمال وميزت الأفة أو
فسره كنهها.

لذلك يعرب هذه المفسر تمييزاً منصوباً متضمناً معنى (من) فتقول أفة
من عنب وتقول طاب زيد فيكون فى زيد إبهام وإجمال فتقول مفسراً ويميز
طاب زيد نفساً. وحينئذ يكون المعنى طاب زيد من نفس.

والتمييز نوعان:

١- مبين لإجمال الذات:

(أ) يقع بعد المقادير وهى ما دل على مساحات نحو زرعت فدانا قطناً أو
دل على مكيلات نحو اشتريت صاعاً قمحاً أو دل على وزن مثل بعت
رطلاً سكرًا

(ب) يقع بعد الأعداد نحو قرأت عشرين رواية

والتمييز فى هذه الأمثلة ومثلها منصوب بما قد فسر أى أن العامل
فى التمييز الاسم المبهم الذى قبله (المساحة أو الكيل أو الوزن أو
العدد).

٢- مبين لإجمال نسبة وهو المسوق لبيان ماتعلق به العامل من فاعل أو مفعول.

فإذا قلت طاب زيد كان (زيد) فاعلاً، والعامل فيه طاب. فكأن الفاعل أسند أو نسب إلى الفعل وهذه النسبة مبهمة أو مجملة؛ أى أن نسبة الطيب إلى زيد مبهمة تحتاج إلى تفسير فإذا قلت طاب زيد نفساً، ومثلها فر محمد عينا وقاض البئر ماء، أزلت إبهام النسبة. والتمييز فى هذه الأمثلة محول عن الفاعل. اذ هى بمعنى طابت نفس زيد وقرت عين محمد وقاض ماء البئر.

ومثلها التمييز المحول عن المفعول غرست الأرض شجراً وقوله الله سبحانه وتعالى

وفجرنا الأرض عيوناً، فهى بمعنى غرست شجر الأرض، وفجرنا عيون الأرض.

والناصب للتمييز فى هذه الأمثلة العامل الذى قبله.

وبعد ذى وشبهها اجرره إذا أضفتها ك (مدّ حنطة غدا

والنصب بعد ما اضيف وجبا إن كان (ملء الأرض ذهباً)

أى وبعد هذه والأمثلة ومايشبهها، أى التمييز الواقع بعد المساحة أو الكيل أو الوزن يجوز جره ويكون مضافاً إليه؛ أى إلى المساحة أو الكيل أو الوزن نحو عندى قيراط أرض وأقة خبيرة ورطل سكر

فإذا كانت هذه المساحة أو الكيل أو الوزن مضافاً إلى غير التمييز ثم جىء بالتمييز فيجب نصبه نحو قوله تعالى :

- فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً، والمثال: مافى السماء قدر راحة سحاباً.

والفاعل المعنى انصبين بأفعلا مفضلا: كَ (أنت أعلى منزلا)

يجب نصب التمييز الواقع بعد أفعال التفضيل إن كان يحمل معنى الفاعلية نحو المثال الذى أتى به الناظم: أنت أعلى منزلا. فمنزلا يحمل معنى الفاعلية إذ تقول أنت علا منزلك ونحو أنت أكثر مالا، على معنى كثر مالك.

أما إذا كان التمييز الواقع بعد فعل التفضيل لا يحمل معنى الفاعلية فيجب جرّه بالإضافة. زيد أفضل رجلا، إلا إذا أضفت أفضل إلى غير التمييز، فحيثئذ تأتى بالتمييز منصوبا نحو زيد أفضل الناس رجلا.

وبعد كل ما اقتضى تعجبا ميز، ك (أكرم بأبى بكر أبا)

قلنا إن التمييز نوعان مبين لإجمال الذات أو مبين لأجمال النسبة، وفى هذا البيت يأتى الناظم بالتمييز الواقع بعد التعجب، وهو أيضا تمييز نسبة عند جمهور النحاة وأمثله أكرم بأبى بكر أبا ولله درك عالما وحسبك يزيد رجلا وكفى به عالما. إلا إذا كان فى الكلام ضمير غائب لم يعرف مرجعه ففى هذه الحالة يكون تمييز ذات نحو لله در فارسا. وعندى أن ذكر مرجع الضمير ضرورى وليس من المعقول ذكر ضمير دون معرفة مرجعه. وعلى هذا فإن تمييز النسبة بعد التعجب هو الغالب المقرر.

واجرره بمن إن شئت غير ذى العدد والفاعل المعنى كطلب نفسا تفد.

قلنا إن التمييز يصح أن يتضمن معنى (من) مثل عندى شبر أرضا بمعنى عندى شبر من أرض. غرست الأرض شجرا، أى غرست الأرض من شجر؛ إلا إذا كان التمييز فيه معنى الفاعلية نحو طاب زيد نفسا أو بعد العدد فلا يجوز جرّه بمن نحو طاب زيد نفسا وعندى عشرون درهما،

فلا تقول طاب زيدٌ من نفس، أو عندى عشرون من درهم.

وعامل التمييز قدم مطلقا والفعل ذو التصريف نزر سبقا

قلنا إن عامل التمييز؛ أى الذى يعمل فى التمييز النصب هو الفعل إن كان التمييز محولا عن الفاعل أو المفعول به أو الاسم الذى قبله إن كان التمييز عن ذات والناظم هنا يقول إنَّ هذا العامل يجب أن يتقدم على لتمييز سواء أكان فعلا متصرفا أم غير متصرف فلا تقول نفسا طاب زيد، ولا عندى درهما وعشرون.

وعند بعض النحاة أن العامل إن كان فعلا متصرفا فيجوز تقدمه على التمييز وجاء على هذا قول الشاعر:

أتهجر ليلى بالمراق حبيبها وما كان نفسا بالفراق تطيب

وقول الآخر

ضيّعت خرمى فى إبعادى الأملأ وما ارعويت وشيئا رأسى اشتعلا
أما إذا كان غير متصرف فعند النحاة جميعا عدم تقدم التمييز عليه سواء أكان فعلا نحو ما أحسن زيدا رجلا أم غيره نحو عندى عشرون درهما.

قال

نصوص من

مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب

لجمال الدين عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري

المتوفى سنة ٧٦١ هـ

الباب الأول

فى تفسير المفردات وذكر أحكامها

وأعنى بالمفردات الحروف وماتضمن معناها من الأسماء والظروف فإنها المحتاجة إلى ذلك. وقد رتبها على حروف المعجم، ليسهل تناولها. بما ذكرت أسماء غير تلك وأفعالا لميس الحاجة إلى شرحها.

حرف الألف

الألف المفردة - تأتى على وجهين:

أحدهما: أن تكون حرفاً ينادى به القريب، كقوله:

أفاطم مهلاً بعض هذا التدلل..... ٣-

ونقل ابن الخباز عن شيخه أنه للمتوسط، وأن الذى للقريب «يا» وهذا خرق لإجماعهم.

والثانى: أن تكون للاستفهام، وحقيقته طلب الفهم، نحو «أزيد قائم؟». وقد أجزى الوجهان فى قراءة الحرمين «أمن هو قانت أناء الليل» وكون الهمزة فيه للنداء هو قول الفراء، ويبيده أنه ليس فى التنزيل نداء بغير «يا» ويقربه سلامته من دعوى المجاز؛ إذ لا يكون الاستفهام منه تعالى على حقيقته، ومن دعوى كثرة الحذف، إذ التقدير عند من جعلها للاستفهام: «أمن هو قانت خير أم هذا الكافر؟ أى المخاطب بقوله تعالى: «قل تمتع بكفرك قليلاً» فحذف شيان: معادل الهمزة، والخبر. ونظيره فى حذف المعادل قول أبى ذؤيب الهذلى:

٤- دعانى إليها القلب إنى لأمره سميع فما أدرى أرشد طلابها؟

تقديره: أم غي ونظيره في مجيء الخبر كلمة «خير» واقعة قبل أم: «أفمن يلقى في النار خيراً أم من يأتي آناً يوم القيامة» ولك أن تقول: لاجاجة إلى تقدير معادل في البيت، لصحة قولك: «ما أدري هل طلابها رشد»، وامتناع أن يؤتى ل «هل» بمعادل. وكذلك لاجاجة في الآية إلى تقدير معادل، لصحة تقدير الخبر بقولك: «كمن ليس كذلك» وقد قالوا في قوله تعالى «فمن هو قائم على كل نفس بما كسبت»، إن التقدير: «كمن ليس كذلك» أو «لم يوحده»، ويكون «جعلوه لله شركاء» معطوفاً على الخبر على التقدير الثاني وقالوا: التقدير في قوله تعالى: «أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة» أي كمن ينعم في الجنة، وفي قوله تعالى: «أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً» أي من هداه الله، بدليل «فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء»، أو التقدير: «ذهبت نفسك عليهم حسرة، بدليل قوله تعالى «فلا تذهب نفسك عليهم حسرات» وجاء في التنزيل موضع صرح فيه بهذا الخبر وحذف المبتدأ، على العكس مما نحن فيه، وهو قوله تعالى «كمن هو خالد في النار وسقوا ماءً حميماً» أي أمن هو خالد في الجنة يسقى من هذه الأنهار كمن هو خالد في النار. وجاء مصرحاً بهما على الأصل في قوله تعالى: «أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها»، «أفمن كان على بينه من ربه كمن زين له سوء عمله».

والألف أصل أدوات الاستفهام، ولهذا خصت بأحكام:

أحدها: جواز حذفها سواء تقدمت على «أم» كقول عمر بن أبي ربيعة:

٥- بدا لي منها معظم حين جمرت وكف خصيب زينت بينان

فوالله ما أدري وإن كنت دارياً بسبع رمين الجمر أم بشمان؟

أراد: أبسبع، أم لم تتقدمها كقول الكميت:

٦- طربتُ وما شوقاً إلى البيض أطرب ولا لعباً منى، وذو الشيب يلعب؟

أراد: أو ذو الشيب يلعب؟ اختلف في قوله عمر بن أبي ربيعة

٧- ثم قالوا: تحبها؟ قلت: بهراً عدد الرمل والحصى والتراب. فقيل: أراد «أحبها؟» وقيل: إنه خبر، أى أنت تحبها، ومعنى «قلت بهراً»: قلت أحبها خبا بهرنى بهراً، أى غلبنى غلبة، وقيل: معناه: عجا.

وقال المتنبي:

٨- أحياء، وأيسر ما قاسيت ما قتلا والبين جاراً على ضعفى ما عدلا

أحياء: فعل مضارع والأصل أأحياء؟ حذفت همزة الاستفهام، والواو للحال والمعنى التعجب من حيائه، يقول: كيف أحياء وأقل شيء قاسيته قد قتل غيرى؟ والأخفش يقيس ذلك فى الاختيار عند أمن اللبس، وحل عليه قوله تعالى «وذلك نعمة تمنها على» وقوله تعالى: «هذا ربي» فى المواضع الثلاثة، والمحققون على أنه خبر وأن مثل ذلك يقوله من ينصف خصمه مع علمه بأنه مبطل، فيحكى كلامه ثم يكر عليه بالإبطال بالحجة. وقرأ ابن محيصن «سواء عليهم أنذرتهم أم لم تنذرهم» وقال عليه الصلاة والسلام لجبريل عليه السلام: «إن زنى وإن سرق؟» فقال «إن زنى وإن سرق».

الثانى: أنها ترد لطلب التصور نحو «أزيد قائم أم عمرو؟» ولطلب التصديق نحو «أزيد قائم؟» و«هل» مختصة بطلب التصديق نحو «هل قام زيد؟» وبقية الأدوات مختصة بطلب التصور نحو «من جاءك؟ وما صنعت؟ وكم مالك؟ وأين بيتك ومتى سفرك؟».

الثالث: أنها تدخل على الإثبات كما تقدم، وعلى النفى نحو «ألم

نشرح لك صدرك» «أو لما أصابتكم مصيبة» وقوله:

٩- إلا اصطبار لسلمي أم لها جلدٌ إذا ألقى الذى لاقاه أمثالى؟

ذكره بعضهم، وهو منتقض بأم، فإنها تشاركها فى ذلك، تقول: أقام

زيد أم لم يقم؟

الرابع: تمام التصدير، بدليلين أحدهما: أنها لا تذكر بعد أم التى للاضراب كما يذكر غيرها، لا تقول: أقام زيد أم أقعد، وتقول: أم هل قعد. والثانى: أنها إذا كانت فى جملة معطوفة بالواو أو بالفاء أو بثم قدمت على العاطف تنبيهاً على أصالتها فى التصدير، نحو «أو لم ينظروا» «أفلم يسيروا» «أنتم إذا ما وقع أمتم به» وأخواتها تتأخر عن حروف العطف، كما هو قياس جميع أجزاء الجملة المعطوفة نحو «وكيف تكفرون» «فأين تذهبون»، «فأنى تؤفكون» «فهل يهلك إلا القوم الفاسقون»، «فأى الفريقين»، «فما لكم فى المنافقين فمتين». هذا مذهب سيبويه والجمهور، وخالفهم جماعة أولهم الزمخشري فزعموا أن الهمزة فى تلك المواضع فى محلها الأصلي، وإن العطف على جملة مقدرة بينها وبين العاطف، فيقولون التقدير فى «ألم يسيروا»، «أفمنضرب عنكم الذكر صفحاً»، «أفإن مات أو قتل انقلبتم»، «أفما نحن بميتين»: أمكثوا فلم يسيروا فى الأرض، أنهملكم فنضرب عنكم الذكر صفحاً، أؤمنون به فى حياته فإن مات أو قتل انقلبتم، أنحن مخلصون فما نحن بميتين. ويضعف قولهم مافيه من التكلف، وأنه غير مطرد فى جميع المواضع. أما الأول فلدعوى حذف الجملة، فإن قولهم بتقديم بعض المعطوف فقد يقال: إنه أسهل منه، لأن المتجوز فيه على قولهم أقل لفظاً. مع أن فى هذا التجوز تنبيهاً على أصالة شىء فى شىء، أى أصالة الهمزة فى التصدير، وأما الثانى فلا أنه غير ممكن فى نحو «أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت» وقد جزم الزمخشري فى مواضع بما يقوله

لجماعة، منها قوله في «أنا من أهل القرى» أنه عطف على «فأخذناهم بنسبة» وقوله في «أنا لمبعوثون أو أبأونا» فيمن قرأ بفتح الواو: إن «أبأونا» عطف على الضمير في مبعوثون، وإنه اكتفى بالفصل بينهما بهمزة الاستفهام، وجوز الوجهين في موضع، فقال في قوله تعالى: «أفغير دين الله يغنون»: دخلت همزة الإنكار على الفاء العاطفة جملة على جملة، ثم توسطت الهمزة بينهما ويجوز أن يعطف على محذوف تقديره أتولون، فغير دين الله يغنون.

فصل

قد تخرج الهمزة عن الاستفهام الحقيقي فتزد ثمانية معان:

أحدها : التسوية، وربما توهم أن المراد بها الهمزة الواقعة بعد كلمة «سواء» بخصوصها، وليس كذلك بل كما تقع بعدها تقع بعد «ما أبالي» وما «مأدرى» و«ليت شعري» ونحوهن. والضابط أنها الهمزة الداخلة على جملة يصح حلول المصدر محلها نحو سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم ونحو «ما أبالي أقمت أم قعدت» ألا ترى أنه يصح: سواء عليهم الاستغفار وعدمه، وما أبالي بقيامك وعدمه.

والثاني: الإنكار الإيطالي وهذه تقتضي أن ما بعدها غير واقع، وأن مدعيه كاذب نحو «أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثا»، «فاستفتهم الربك البنات ولهم البنون» «أفسحر هذا» «أشهدوا خلقهم»، «أحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا» «أفعمينا بالخلق الأول». ومن جهة إفادة هذه الهمزة نفى ما بعدها لزم ثبوته إن كان منقيا. لأن نفى النفي اثبات ومنه «أليس الله بكاف عبده» أي الله كاف عبده، ولهذا عطف «ووضعنا» على «ألم نشرح لك صدرك» لما كان معناه: شرحنا، ومثله «ألم يجعلك يتيما فأوى ووجدك ضالا فهدى»، «ألم يجعل كيدهم في تضليل وأرسل عليهم طيرا أبابيل».

ولهذا أيضا كان قول جرير في عبد الملك:

١٠ - ألتئم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

مدحا، بل قيل: إنه أمدح بيت قالته العرب، ولو كان على الاستفهام الحقيقي لم يكن مدحا ألبة.

والثالث: الإنكار التوبيخي، فيقتضي أن ما بعدها واقع وأن فاعله ملوم

نحو ﴿تَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾، ﴿أَغْيِرَ اللَّهُ دَعْوَنَ﴾، ﴿أَنْفَكُ أَلْهَةً دُونَ اللَّهِ تَرِيدُونَ﴾.

﴿أَتَأْتُونَ الذِّكْرَانَ﴾، ﴿أَتَأْخُذُونَهُ بِهَتَانَا﴾ وقول العجاج:

١١ - أَطْرِبَا وَأَنْتَ قَنْسَرَى والدهر بالإنسان دَوَارَى؟

أى أَطْرِبُ وَأَنْتَ شَيْخٌ كَبِيرٌ؟

والرابع: التقرير ومعناه حملك المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقر عنده ثبوته أو نفيه، ويجب أن يليها الشيء الذي تقرر به، تقول في التقرير بالفعل: أضربت زيدا؟ وبالفعل أنت ضربت زيدا؟ وبالمفعول: أزيدا ضربت؟ كما يجب ذلك في المستفهم عنه. وقوله تعالى ﴿أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا﴾ محتمل لإرادة الاستفهام الحقيقي بأن يكونوا لم يعلموا أنه الفاعل، وإرادة التقرير، بأن يكونوا قد علموا، ولا يكون استفهاما عن الفعل ولا تقريرا به، لأن الهمزة لم تدخل عليه، ولأنه عليه الصلاة والسلام قد أجابهم بالفاعل بقوله ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾.

فإن قلتَ ما وجه حمل الزمخشري الهمزة في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ على التقرير؟

قلت: قد اعتذر عنه بأن مراده التقرير بما بعد النفي، لا التقرير بالنفي، والأولى أن تحمل الآية على الإنكار التوبيخي أو الإبطالي، أى أَلَمْ تَعْلَمْ أَيُّهَا الْمُنْكَرُ لِلنَّسِخِ.

والخامس: التهكم، نحو ﴿أَصْلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾.

والسادس: الأمر، نحو ﴿أَسْلَمْتُمْ﴾ أى أسلموا

والسابع: التعجب: نحو ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾

والثامن: الاستبطاء، نحو ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾.

وذكر بعضه معانى آخرَ لاصحة لها

المليحة

قد تقع الهمزة فملا، وذلك أنهم يقولون «وأى» بمعنى وعد، ومضارعه يثي بحذف الواو لوقوعها بين ياء مفتوحة وكسرة، كما تقول: وفي يفى، وونى ينى، والأمر منه (إه) بحذف اللام للأمر وبالهاء للسكت في الوقف. وعلى ذلك يتخرج اللفظ المشهور وهو قوله:

١٢ - إِنَّ هِنْدُ الْمَلِيحَةِ الْحَسَنَاءُ وَأَيُّ مِنْ أَضْمَرَتْ لَخْلَ وَفَاءُ

فإنه يقال: كيف رفع اسم إن صفته الأولى؟ الجواب: أن الهمزة فعل أمر، والنون للتوكيد، والأصل لين بهمزة مكسورة، وباء ساكنة للمخاطبة، ونون مشددة للتوكيد، ثم حذفت الباء لالتقاءها ساكنة من النون المدغمة كما في قوله:

١٣ - لَتَقْرِعَنَّ عَلَى السَّنِّ مِنْ نَدَمٍ إِذَا تَذَكَّرْتَ يَوْمًا بَعْضَ أَخْلَاقِي
وهند: منادى مثل «يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا» والمليحة: نعت لها على اللفظ كقوله:

١٤ - يَا حَكَمُ الْوَارِثُ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ

والحسناء إما نعت لها على الموضع كقول مادح عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه:

١٥ - بِمَوْدُ الْفَضْلِ مِنْكَ عَلَى قَرَشٍ وَتَفَرَّجُ عَنْهُمْ الْكُـمُـرُ الْبَادِ
فَمَا كَتَبَ مَمَّةً وَابْنَ سَعْدَى بِأَجْوَدَ مِنْكَ يَا عُمَرُ الْجَوَادَا

وإما بتقدير أمدح، وإما نعت لمفعول به محذوف، أى عدى يا هند الخلّة الحسناء، وعلى الوجهين الأولين فيكون إنما أمرها بإيقاع الوعد الوفى، من غير أن يعين لها الموعود. وقوله «وأى» مصدر نوعى منصوب

بفعل الأمر، والأصل : وأيا مثل وأى من، ومثله «فأخذناهم أخذَ عزيز مقتدر». وقوله «أضمرت» بقاء التانيث محمول على معنى من، مثل «من كانت أمك؟».

(آ) بالمد

حرف لنداء البعيد، وهو مسموع، لم يذكر سيبويه، وذكره غيره.

(أيا)

حرف كذلك، وفي «الصحيح» أنه حرف النداء لنداء القريب والبعيد، وليس كذلك، قال الشاعر :

١٦- أيا جلي نعمان بالله خليا نسيم الصبا يخلص إلى نسيما
وقد تبدل همزتها هاء، كقوله :

١٧- فأصاخ يرجو أن يكون حيا ويقول من فرح هيا ربا
أجل

بسكون اللام - حرف جواب مثل نعم، فيكون تصديقا للمخبر، وإعلاما للمستخبر، ووعدا للطالب، فتقع بعد نحو «قام زيد»، ونحو «أقام زيد؟» ونحو «اضرب زيدا» وقيد المألقي الخبر بالمشيت، والطلب بغير النهي. وقيل لا تجيء بعد الاستفهام. وعن الأخفش: هي بعد الخبر أحسن من نعم، ونعم بعد الاستفهام أحسن منها. وقيل تختص بالخبر، وهو قول الزمخشري، وابن مالك وجماعة، وقال ابن خروف: أكثر ما تكون بعده.

إذن

فيها مسائل:

الأولى: في نوعها، قال الجمهور هي حرف، وقيل: اسم، والأصل في «إذن أكرمك» إذا جئتني أكرمك، ثم حذفت الجملة، وعوض التثنية عنها،

وأضمرت أن، وعلى القول الأول فالصحيح أنها بسيطة، لامركبة من إذ وأن، وعلى البساطة فالصحيح أنها الناصبة، لا أن مضمرة بعدها.

المسألة الثانية: في معناها، قال سيبويه: معناها الجواب والجزاء، فقال الشلوبي: في كل موضع، وقال أبو علي الفارسي: «في الأكثر، وقد تتمحض للجواب، بدليل أنه يقال لك: أحبك، فتقول: إذن أظنك صادقاً، إذ لامجازة هنا ضرورة» اهـ

والأكثر أن تكون جواباً لأن أو ظاهرتين أو مقدرتين فالأول كقوله:

١٨ - لئن عاد لي عبد العزيز بمثلها وأمكنني منها إذن لا أقيلها

وقول الحماسي:

١٩ - لو كنت من مازن لم تستبح إبلى بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا

إذن لقام بنصري معشر خشن عند الحفيظة إن ذو لثة لانا

فقوله «إذن لقام بنصري» بدل من «لم تستبح» وبدل الجواب جواب، والثاني نحو أن يقال: أتيتك فتقول: «إذن أكرمك» أي: إن أتيتني إذن أكرمك، وقال الله تعالى «ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله»، إذن لذهب كل إله بما خلق، ولعلا بعضهم على بعض قال الفراء: حيث جاءت بعدها اللام فقبلها لو مقدرة إن لم تكن ظاهرة.

المسألة الثالثة: في لفظها عند الوقف عليها، والصحيح أن نونها تبدل ألفاً تشبيهاً لها بتنوين المنصوب، وقيل: يوقف بالنون؛ لأنها كنون لن، وإن روى عن المازني والمبرد. وينبنى على الخلاف في الوقف عليها خلاف في كتابتها، فالجمهور يكتبونها بالألف، وكذا رسمت في المصاحف، والمازني والمبرد بالنون، وعن الفراء إن عملت كتبت بالألف، وإلا كتبت بالنون،

للفرق بينها وبين إذا وتبعه ابن خروف.

المسألة الرابعة في عملها، وهو نصب المضارع، بشرط تصديرها، واستقباله، واتصالهما أو انفصالهما بالقسم أو بلا النافية، يقال آتاك، فتقول «إذن أكرمك» ولو قلت «أنا إذن» قلت «إذن أكرمك» ولو قلت أكرمك بالرفع، لفوات التصدير، فأما قوله:

٢٠- لا تتركني فيهم شطيرا إني إذن أهلك أو أطيرا

فمؤول على حذف خبر إن، أي إني لا أقدر على ذلك، ثم استأنف مابعد، ولو قلت إذن يا عبد الله قلت: «أكرمك» بالرفع، للفصل بغير ما ذكرنا.

تنبيه

قال جماعة من النحويين: إذا وقعت إذن بعد الواو أو الفاء جاز فيها الوجهان نحو «وإذا لا يلبثون خلافاً إلا قليلاً» «فإذا لا يوتون الناس نقيرا» وقرئ شاذاً بالنصب فيهما، والتحقيق أنه إذا قيل «إن تزرنى أزرك» وإذن أحسن إليك» فإن قدرت العطف على الجواب جازمت ويطل عمل إذن لوقوعها محشواً، أو على الجملتين جميعاً جاز الرفع والنصب لتقدم العاطف وقيل: يتعين النصب، لأن مابعداً مستأنف، أو لأن المعطوف على الأول أول.

ومثل ذلك «زيد يقوم» وإذن أحسن إليه» إن عطفت على الفعلية رفعت، أو على الأسمية فالمذهبان.

(إن) المكسورة الخفيفة

ترد على أربعة أوجه:

أحدها: أن تكون شرطية، نحو ﴿إِنْ يَنْتَهُوا يَغْفِرْ لَهُمْ﴾ ﴿وَأِنْ تَعُودُوا نَعَذِّبْ﴾ وقد تقترب بلا النافية فيظن من لا معرفة له أنها «إلا» الاستثنائية، نحو ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾، ﴿إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ﴾، ﴿وَالْأَنْفُسُ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ﴿وَالْأَنْفُسُ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ وقد بلغنى أن بعض من يدعى الفضل سأل في ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ﴾ فقال: ما هذا الاستثناء؟ أمتصل أم منقطع؟

الثاني: أن تكون نافية، وتدخل على الجملة الاسمية، نحو ﴿إِنْ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ ﴿إِنْ أَمْنَاهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ﴾ ومن ذلك ﴿وَأِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ أى: وما أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به فحذف المبتدأ، وبقيت صفتها، ومثله ﴿وَأِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ وعلى الجملة الفعلية نحو ﴿إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحَسَنَى﴾، ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَّا﴾ و﴿تَنْظُنُونَ إِنْ لَيْسَ لَكُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾، ﴿إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾.

وقول بعضهم: «لا تأتى إن النافية إلا بعدها «إلا» كهذه الآيات، أو لما المشددة التى بمعناها كقراءة بعض السبعة ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ بتشديد الميم، أى ما كل نفس إلا عليها حافظ، مردود بقوله تعالى: ﴿إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا﴾، ﴿قُلْ إِنْ أَدْرَى أَقْرَبُ مَا نَعْبُدُونَ﴾، و﴿إِنْ أَدْرَى لَعَلَّ فِتْنَةَ لَكُمْ﴾.

وخرج جماعة على «إن» النافية قوله تعالى: ﴿إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ﴾، ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ﴾ وعلى هذا فالوقف هنا، وقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ مَكَانَهُمْ فِي مَا إِنْ مَكَانَكُمْ فِيهِ﴾ نأى فى الذى ما مكانكم فيه، وقيل: زائدة، ويؤيد الأول

«مكتناهم في الأرض ما لم نمكّن لكم»، وكأنه إنما عدل عن «ما» لئلا يتكرر فيثقل اللفظ، قيل: ولهذا لما زادوا على «ما» الشرطية «ما» قبلوا ألف «ما» الأولى هاء، فقالوا: مهما وقيل: بل هي في الآية، بمعنى قد، وإن من ذلك «فذكر إن نفعت الذكرى» وقيل في هذه الآية: إن التقدير وإن لم تنفع، مثل «سرايل تقيكم الحر» أى والبرد، وقيل إنما قيل ذلك بعد أن عمهم بالتذكير ولزمتهم الحجة، وقيل ظاهرة الشرط ومعناه ذمهم واستبعاد لنفع التذكير فيهم، كقولك، عظ الظالمين إن سمعوا منك، وتريد بذلك الاستبعاد لا الشرط.

وقد اجتمعت الشرطية والنافية في قوله تعالى: «ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده» الأولى شرطية، والثانية نافية، جواب القسم الذي أذنت به اللام الداخلة على الأولى، وجواب الشرط محذوف وجوبا.

وإذا دخلت على الجملة الاسمية لم تعمل عند سيبويه والقراء، وأجاز الكسائي والمبرد إعمالها عمل ليس، وقرأ سعيد بن جبير، «إن الذين تدعون من دون الله عبادا أمثالكم» بنون مدغمة مكسورة لالتقاء الساكنين ونصب «عبادا» و«أمثالكم» وسمع من أهل العالية «إن أحد خبيراً من أحد إلا بالنافية» و«أن ذلك نافعك ولا ضارك»، وبما يتخرج على الإعمال الذي هو لغة الأكثر بين قول بعضهم إن قائم وأصله: إن أنا قائم، فحذفت همزة أنا ابتداءً، وأدغمت نون «إن» في نونها، وحذفت ألفها في الوصل، وسمع «إن قائما» على الإعمال، وقول بعضهم: «نقلت حركة الهمزة إلى النون ثم أسقطت على القياس في التخفيف بالنقل ثم سكنت النون وأدغمت» مردوده، لأن المحذوف لعله كالتأنيب، ولهذا تقول «هذا قاض» بالكسر لا بالرفع، لأن حذف الياء لالتقاء الساكنين، فهي مقدرة الشبوت، وخيماء فيندرج الإندغام، لأن الهمزة فاسدة في التقدير ومثل هذا البحث، في قواعد نحلة، «لكننا نرى الله وي».

الثالث: أن تكون مخففة من الثقبلة فتدخل في الجملتين، فإن دخلت على الاسمية جاز إعمالها خلافا للكوفيين، لنا قراءة الحرمين وأبى بكر «وإن كلاً لما ليوفيتهم» وحكاية سيويه «إن عمراً لمنطلق» ويكثر إعمالها نحو «وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا»، «وإن كل لما جميع لدينا محضرون»، وقراءة حفص «إن هذان لساحران» وكذا قرأ ابن كثير إلا أنه شدد نون هذان ومن ذلك «إن كل نفس لما عليها حافظ»، في قراءة من خفف لما وإن دخلت على الفعل أهملت وجوهاً، والأكثر كون الفعل ماضياً ناسخاً، نحو «وإن كانت لكبيرة»، «وإن كادوا ليفتنونك»، «وإن وجدنا أكثرهم لفساقين»، ودونه أن يكون مضارعاً ناسخاً «وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك»، «وإن نظنك لمن الكاذبين»، ويقاس على النوعين اتفاقاً، ودون هذا أن يكون ماضياً غير ناسخ نحو قوله:

٢١- شئت يمينك إن قتلت مسلماً حلت عليك عقوبة المتعمد

لا يقاس عليه خلافاً للأخفش، أجاز «إن قام لأنا، وإن قعد لأنت» ودون هذا أن يكون مضارعاً غير ناسخ كقول بعضهم «إن يزينك لنفسك»، وإن يشينك لهية، ولا يقاس عليه إجماعاً، وحيث وجدت «إن» وبعدها اللام المفتوحة كما في هذه المسألة فاحكم عليها بأن أصلها التشديد، وفي هذه اللام خلاف يأتي في باب اللام، إن شاء الله تعالى.

الرابع: أن تكون زائدة كقوله:

٢٢- ما إن أتيت بشئ أنت تكرهه

وأكثر ما زيدت بعد «ما» النافية إذا دخلت على جملة فعلية كما في البيت أو اسمية كقوله:

٢٣- فما إن طبنا جبن ولكن مناينا ودولة آخرينا

وفى هذه الحالة تكف عمل ما الحجازية كما فى البيت وأما قوله:
 ٢٤- بنى غدانة ما إن أنتم ذهباً ولا صريفاً ولكن أنتم الخزف
 فى رواية من نصب ذهباً وصريفاً، فخرج على أنها نافية مؤكدة
 لـ (١٠).

وقد تزداد بعد ما الموصولة الاسمية كقوله:
 ٢٥- يَرْجَى المرء ما إن لا يراه وتعرض دون أدناه الخطوب
 وبعد ما المصدرية كقوله:
 ٢٦- ورج الفتى للخير ما إن رأيته على السن نخيراً لا يزال يزيد
 وبعد ألا الاستفتاحية كقوله:

٢٧- إلا أن سرى ليلي فبت كئيباً أحاذر أن تنأى النوى بغضوبها
 وقبل مدة الإنكار، سمع سببوه رجلاً يقال له: أخرج إن أنقصت
 البادية؟ فقال: أنا إني؟ مكنراً رأيته على خلاف ذلك، وزعم ابن الحاجب
 أنها تزداد بعد لما الإيجابية، وهو سهو وإنما تلك أن المفتوحة
 وزيد على هذه المعانى الأربعة معنيان آخران، فزعم قطرب أنها قد
 تكون بمعنى قد كما مر فى «إن نفعت الذكرى»، وزعم الكوفيون أنها
 تكون بمعنى إذ، وجعلوا منه «واتقوا الله إن كنتم مؤمنين»، «لتدخلن
 المسجد الحرام إن شاء الله آمين»، وقوله عليه الصلاة والسلام «وإنا إن شاء
 الله بكم لاحقون» ونحو ذلك مما الفعل فيه محقق الوقوع، وقوله:

٢٨- أتغضب إن أذا قتيبة حزناً جهاراً، ولم تغضب لقتل ابن خازم؟
 قالوا: وليست شرطية؛ لأن الشرط مستقبل، وهذه القصة قد مضت.

وأجاب الجمهور عن قوله تعالى ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ بأنه شرط جيء به للتهيج والإلهاب، كما تقول لا يهلك: إِنْ كُنْتَ أَبْنَى فَلَا تَفْعَلْ كَذَا.

وعن أية الميعة بأنه تعليم للعباد كيف يتكلمون إذا أُخبروا عن المستقبل أو بأن أصل ذلك الشرط ثم صار يذكر للتبرك، أو أن المعنى لتدخلن جميعا إِنْ شَاءَ اللَّهُ إِلَّا يَمُوتُ مِنْكُمْ أَحَدٌ قَبْلَ الدُّخُولِ وهذا الجواب لا يدفع السؤال، أو أن ذلك من كلام رسول الله ﷺ لأصحابه حين أخبرهم بالمنام فحكى (الله) لنا ذلك، أو من كلام الملك الذي أخبره في المنام.

وأما البيت فمحمول على وجهين: أحدهما: أن يكون على إقامة السبب مقام المسبب والأصل: أن تغضب إِنْ افْتَخَرَ مُفْتَخِرٌ بِسَبَبِ حَزْ أَدْنَى، قتيبة، إذ الافتخار بذلك يكون سببا للغضب وبسببها على الحز. الثاني: أن يكون على معنى التبيين، أي أن تغضب إِنْ تَبَيَّنَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ أَنَّ أَدْنَى قَتِيْبَةٍ حَزْنَا فِيمَا مَضَى، كما قال الأعرابي.

٢٩- إذا ما انتسبنا لم تلدني لقيمة ولم تجدي من أن تقرى به يدا

أي، يتبين أنني لم تلدني لقيمة

وقال الخليل والمبرد: العرب: «أَن أَدْنَاهُ» بفتح الهمزة من أن، أي، لأن أدناه، ثم هي عند الخليل أن الغاشية، وهذا المبرد أنها أن الغاشية من الغاشية.

ومرد قول الخليل أن الغاشية لا يابها الأرواح إلا سار الفحل، وإلا ذلك لأن المكسورة، نحو ﴿إِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ﴾.

وعلى الوجهين، يتخرج قول الأعرابي:

٣٠- إِنْ يَمُوتُكَ إِنْ قَتَلْتُكَ لَمْ يَكُنْ عَارَا لَدُنَّكَ، وَمِنْ قَتَلْتُكَ عَارَا

أي إِنْ يَمُوتُكَ بِسَبَبِ قَتَلْتِكَ، أو إِنْ يَمُوتُكَ قَتَلْتُكَ

(أن) المفتوحة الهمزة الساكنة النون

على وجهين: اسم، وحرف

والأسم على وجهين: ضمير المتكلم فى قول بعضهم «ان فعلت» بسكون النون، والأكثرون على فتحها وصلأً، وعلى الإتيان بالألف وقفاً، وضمير المخاطب فى قولك «أنتَ، وأنتِ، وأنتما، وأنتم، وأنتن» على قول الجمهور إن الضمير هو أن والتاء حرف خطاب.

والحرف على أربعة أوجه:

١ - أحدها: أن تكون حرفاً مصدرياً ناصباً للمضارع، وتقع فى موضعين أحدهما: فى الابتداء، فتكون فى موضع رفع نحو «وأن تصوموا خيراً لكم» و«وأن تصبروا خيراً لكم»، «وأن يستعففن خيراً لهن»، «وأن نعفوا أقرب للثقوى»، وزعم الزجاج، أن منه «أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس»، أى خيراً لكم، فحذف الخبر، وقيل التقدير مخافة أن تبروا، وقيل فى «فأله أحق أن تخشوه»، إن «أحق» خبر عما بعده، والجملة خبر عن اسم الله سبحانه وفى «والله ورسوله أحق أن يرضوه» كذلك والظاهر فيهما أن الأصل: أحق بكذا، والثانى بعد لفظ دال على معنى غير اليقين، فتكون فى موضع رفع: نحو «ألم يأن للدين آمنوا أن نخشع قلوبهم»، «وعسى أن نكروهوا شيئاً» الآية، ونحو «يمجنى أن تفعل»، ونصب: نحو «وما كان هذا القرآن أن يفترى»، «يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة» و«فأردت أن أعيبتها»، ونخطف: نحو «أوذيها من قبل أن تأتينا»، «من قبل أن يأتى أحدكم الموت»، «وأمرت لأن أكون»، ومحتملة لهما: نحو «والذى أطمع أن يغفر لى» أصله فى أن يخفر لى ومثله «أن تبرأ»، إذا قدر: فى أن تبروا أو لكلا تبروا، وهل المحل بعد حذف الجار جر أو نصب؟ فيه خلاف وسيأتى وقيل: التقدير

مخافة أن تبروا، واختلف فى المحل من نحو «عسى زيد أن يقوم» المشهور أنه نصب على الخبرية، وقيل على المفعولية، وإن معنى «عسيت أن تفعل» قاربت أن تفعل، ونقل عن المبرد. وقيل: نصب بإسقاط الجار أو بتضمين الفعل معنى قارب، نقله ابن مالك عن سيبويه، وإن المعنى: دنوت من أن تفعل أو قاربت أن تفعل، والتقدير الأول بعيد، إذ لم يذكر هذا الجار فى وقت، وقيل: رفع على البدل سد مسد الجزأين كما سد فى قراءة حمزة «ولا تحسبن الذين كفروا أنما نملى لهم خير لأنفسهم» مسد المفعولين.

و«أن» هذه موصول حرفى، وتوصل بالفعل المتصرف، مضارعاً كان كما مر، أو ماضياً نحو «لولا أن من الله علينا» «ولولا أن ثبتناك» أو أمراً كحكاية سيبويه «كتبت اليه بأن قم» هذا هو الصحيح.

وقد اختلف من ذلك فى أمرين:

أحدهما: كون الموصولة بالماضى والأمر هى الموصولة بالمضارع، واختلف ذلك ابن طاهر، رغم أنها غيرها، بدليين أحدهما: أن الداخلة على المضارع تخلصه للاستقبال فلا تدخل على غيره كالسين وسوف، والثانى، أنها لو كانت الناصبة لحكم على موضعها بالنصب، كما حكم على موضع الماضى بالجزم بعد إن الشرطية، ولا قائل به.

والجواب عن الأول أنه منتقض بنون التوكيد، فإنها تخلص المضارع للاستقبال وتدخل على الأمر باطراد واتفاق، وبأدوات الشرط فأنها أيضاً تخلص مع دخولها على الماضى باتفاق.

وعن الثانى أنه إنما حكم على موضع الماضى بالجزم بعد إن الشرطية لأنها أثرت القلب إلى الاستقبال فى معناه، فأثرت الجزم فى مثله، كما أنها لما أثرت التخليص إلى الاستقبال فى معنى المضارع أثرت النصب فى لفظه.

الأمر الثاني: كونها توصل بالأمر، والمخالف في ذلك أبو حيان، زعم أنها لا توصل به وأن كل شيء سمع من ذلك ف «أن» فيه تفسيرية، واستدل بدليلين، أحدهما: أنهما إذا قدرا بالمصدر فأت معنى الأمر، والثاني: أنهما لم يقعا فاعلا ولا مفعولا، لا يصح «أعجبني أن قم» ولا «كرهت أن قم»، كما يصح ذلك مع الماضي ومع المضارع.

والجواب عن الأول أن فوات معنى الأمرية في الموصولة بالأمر عند التقدير بالمصدر كفوات معنى المضى والاستقبال في الموصولة بالماضي والموصولة بالمضارع عند التقدير المذكور، ثم إنه يسلم مصدرية أن المخففة من المشددة مع لزوم مثل ذلك فيها في نحو «والخامسة أن غضب الله عليها»، إذ لا يفهم الدعاء من المصدر إلا إذا كان مفعولا مطلقا نحو سقيا ورعيا.

وعن الثاني أنه إنما امتنع ما ذكره لأنه لا معنى لتعليق الإعجاب والكراهية بالإنشاء، لما لا ذكر، ثم ينبغي له إلا يسلم مصدرية كي، لأنها لا تقع فاعلا ولا مفعولا، وإنما تقع مخفوفة بلام التعليل.

ثم مما يقطع به على قوله بالبطلان حكاية سيويه «كتبت إليه بأن قم» وأجاب عنها بأن الباء محتملة للزيادة مثلها في قوله:

٣١- لا يقرآن بالسور.

وهذا وهم فاحش؛ لأن حروف الجر، زائدة كانت أو غير زائدة - لا تدخل إلا على الاسم أو ما في تأويله.

تنبيه

ذكر بعض الكوفيين وأبو عبيدة أن بعضهم يجزم بأن، ونقله اللحياني

عن بعض بنى صباح من ضبة، وأنشدوا عليه قوله:

٣٢- إذا ماغدونا قال ولدان أهلنا تعالوا إلى أن يأتينا الصيد نحطب

وقوله:

٣٣- أحاذر أن تعلم بها فتردها فتركها ثقلا على كماهيا

وفى هذا نظر، لأن عطف المنصوب عليه يدل على أنه مسكن للضرورة
لامجزوم.

وقد يرفع الفعل بعدها كقراءة ابن محيصن «لمن أراد أن يتم
الرضاعة» وقول الشاعر:

٣٤- أن تقرأ ان على أسماء ويحكما منى السلام وأن لا تشعرا أحدا

وزعم الكوفيون أن «أن» هذه هي المخففة من الثقيلة شد اتصالها
بالفعل، والصواب قول البصريين أنها أن الناصبة حملا على «ما» اختها
المصدرية، وليس من ذلك قوله:

٣٥- ولا تدفنى فى الفلاة فإننى أخاف إذا ما مت أن لا أذوقها

كما زعم بعضهم، لأن الخوف هنا يقين، فإن مخففة من الثقيلة.

٢- الوجه الثانى: أن تكون مخففة من الثقيلة فتقع بعد فعل اليقين
أو ما نزل منزلته نحو «أفلا يرون أن لا يرجع إليهم قولا»، «علم أن سيكون»
و«حسبوا أن لا تكون» فيمن رفع تكون وقوله:

٣٦- زغم الفرزدق أن سيقتل مربعا أبشر بطول سلامة يامربع

و«أن» هذه ثلاثية الوضع، وهى مصدرية ايضا، وتنصب الأسم وترفع
حجبر، خلافا للكوفيين، زعموا أنها لا تعمل شيئا، وشرط أسمها أن يكون

ضمير امحذوفا وربما ثبت كقوله:

٣٧- فَلَمَّا أُنْذِرُ فِي يَوْمِ الرِّخَاءِ سَأَلْتَنِي طَلَاكَ لَمْ أَبْخَلْ وَأَنْتَ صَدِيقٌ

وهو مختص بالضرورة على الأصح، وشرط خبرها أن يكون جملة، ولا يجوز إفراده، إلا إذا ذكر الاسم فيجوز الأمران، وقد اجتمعا في قوله:

٣٨- بِأَنَّكَ رَبِيعٌ وَغَيْثٌ مَرِيعٌ وَأَنْتَ هُنَاكَ تَكُونُ الثَّمَالَا

٣- الثالث: أن تكون مفسرة بمنزلة، أى نحو «فأوحينا إليه أن اصنع الفلك»، «ونودوا أن تلکم الجنة» وتحتل المصدرية بأن يقدر قبلها حرف الجر، فتكون فى الأول أن الثنائية لدخولها على الأمر، وفى الثانية المخففة من الثقبلة لدخولها على الاسمية.

وعن الكوفيين إنكار «أن» التفسيريہ البتة، وهو عندى متجه، لأنه إذا قيل كتبت إليه أن قم لم يكن «قم» نفس «كتبت» كما كان الذهب نفس العسجد فى قولك: هذا عسجد أى ذهب، ولهذا لو جئت ب «أى» مكان «أن» فى المثال لم تجده مقبولا فى الطبع.

ولها عند مثبتها شروط

أحدها: أن تسبق بهجملة، فلذلك غلط من جعل منها «وآخر دعواهم أن الحمد لله».

والثانى: أن تتأخر عنها جملة، فلا يجوز «ذكرت عسجدا أن ذهابا بل يجب الإتيان بأى أو ترك حرف التفسير، ولا فرق بين الجملة الفعلية كما مثلنا والاسمية نحو «كتبت إليه أن ما أنت وهذا».

والثالث: أن يكون فى الجملة السابقة معنى القول كما مر، ومنه «واطلق الملاء منهم أن امشوا»، إذ ليس المراد بالانطلاق المشى، بل انطلاق

ألستهم بهذا الكلام، كما أنه ليس المراد بالمشى المشى المتعارف، بل الاستمرار على الشيء.

وزعم الزمخشري أن التي في قوله تعالى «أن اتخذي من الجبال بيوتا» مفسرة، ورده أبو عبد الله الرازي بأن قبله «وأوحى ربك إلى النحل» والوحي هنا إلهام باتفاق وليس في الإلهام معنى القول، قال وإنما هي مصدرية، أي باتخاذ الجبال بيوتا.

والرابع: ألا يكون في الجملة السابقة أحرف القول، فلا يقال «قلت له أن أفعل وفي شرح الجمل الصغير لابن عصفور أنها قد تكون مفسرة بعد صريح القول، وذكر الزمخشري في قوله تعالى «ما قلت لهم إلا ما أمرني به أن أعبدوا الله» أنه يجوز أن تكون مفسرة للقول على تأويله بالأمر، أي ما أمرتهم إلا بما أمرني به أن أعبدوا الله، وهو حسن، وعلى هذا فيقال في هذا الضابط، ألا يكون فيها حروف القول إلا والقول مؤول بغيره، ولا يجوز في الآية أن تكون مفسرة لأمرني، لأنه لا يصح أن يكون «عبدوا الله ربي وربكم» مقولا لله تعالى؛ فلا يصح أن يكون تفسيراً لأمره، لأن المفسر عين تفسيره، ولا أن تكون مصدرية وهي وصلتها عطف بيان على الهاء في به ولا بدلاً من ما، أما الأول فلأن عطف البيان في الجوامد بمنزلة النعت في المشتقات، فكما أن الضمير لا ينعت كذلك لا يعطف عليه عطف بيان، ووهم الزمخشري فأجاز ذلك ذهولاً عن هذه النكتة، ومن نص عليها من المتأخرين أبو محمد ابن السيد، وابن مالك، والقياس معهما في ذلك، وأما الثاني فلأن العبادة لا يعمل فيها فعل القول، نعم إن أول القول بالأمر كما فعل الزمخشري في وجه التفسيرية جاز، ولكنه قد فاته هذا الوجه هنا فاطلق المنع.

فإن قيل: لعل امتناعه من إجازته لأن «أمر» لا يتعدى بنفسه إلى

الشيء المأمور به إلا قليلا، فكذا ما أول به.

قلنا: هذا لازم له على توجيهه التفسيرية، ويصح أن يقدر بدلا من الهاء في «به» ووهم الزمخشري فمنع ذلك ظنا منه أن المبدل منه في قوة الساقط فتبقى الصلة بلا عائد والعائد موجود حسا فلا مانع.

والخامس: ألا يدخل عليها جار، فلو قلت «كتبت إلى بأن افعل» كانت مصدرية .

مسألة

إذا ولي «أن» الصالحة للتفسير مضارع معه «لا» نحو «أشرت إليه أن لا تفعل» جاز رفعه على تقدير لا نافية، وجزمه على تقديرها ناهية، وعليهما ف «أن» مفسرة، ونصبه على تقدير لا نافية وأن مصدرية فإن فقدت «لا» امتنع الجزم، وجاز الرفع والنصب.

٤- والوجه الرابع: أن تكون زائدة، ولها أربعة مواضع:

أحدها: - وهو الأكثر - أن تقع بعد لما التوقيتية نحو «ولما أن جاءت رسلنا لوطا سيء بهم».

والثاني: أن تقع بين لو وفعل القسم، مذكورا كقوله:

٣٩- فأقسم أن لو التقينا وأنتم لكان لكم يوم من الشر مظلم

أو متروكا كقوله:

٤٠- أما والله أن لو كنت حراً وما بالحرأنت ولا العتيق

هذا قول سيبويه وغيره، وفي مقرب ابن عصفور أنها في ذلك حرف جيء به لربط الجواب بالقسم، ويبيحه أن الأكثر تركها، والحروف الرابطة

ليس كذلك.

والثالث: وهو نادر - أن تقع بين الكاف ومخفوضها كقوله:

٤١ - ويوماً توافينا بوجهٍ مقسم كأن ظبية تعطو إلى وارق السلم

في رواية من جر الظبية

والرابع: بعد إذا، كقوله

٤٢ - فأمله حتى إذا أن كأنه معاطى يد في لجة الماء غامر

وزعم الأخفش أنها تزداد في غير ذلك، وأنها تنصب المضارع كما ينجر من والباء الزائدتان الاسم، وجعل منه «وما لنا أن لانتوكل على الله»، و«مالنا أن لانتقاتل في سبيل الله» وقال غيره: هي في ذلك مصدرية، ثم قيل: ضمن «مالنا» معنى مامنعنا، وفيه نظراً لأنه لم يثبت إعمال الجار والمجرور في المفعول به، ولأن الأصل ألا تكون لا زائدة، والصواب قول بعضهم، إن الأصل ومالنا في أن لانفعل كذا، وإنما لم يجز للزائدة، أن تعمل لعدم اختصاصها بالأفعال بدليل دخولها على الحرف وهو لو وكان في البيتين، وعلى الاسم وهو ظبية في البيت السابق بخلاف حرف الجر الزائد، فإنه كالحرف المعدى في الاختصاص بالاسم، فذلك عمل فيه.

مسألة

ولامعنى له أن الزائدة غير التوكيد كسائر الزوائد، قال أبو حيان: وزعم الخشري أنه ينجر مع التوكيد معنى آخر، فقال في قوله تعالى «ولما أن جاءت رسلنا لوطاً سيء بهم»: دخلت أن في هذه القصة ولم تدخل في قصة إبراهيم في قوله تعالى «ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاماً» تنبيهاً وتأكيذاً على أن «الإساءة كانت تعقب الجيء، فهي مؤكدة في قصة

لوط للاتصال والزوج، ولا كذلك في قصة إبراهيم، إذ ليس الجواب فيها كالأول، وقال الشلوبين، لما كانت «أن للسبب في «جئت أن أعطي» أي للإعطاء أفادت هنا أن الإساءة كانت لأجل المجيء وتعقبه وكذلك في قولهم «أما والله أن لو فعلت لفعلت» أكدت «أن» ما بعد لو وهو السبب في الجواب وهذا الذي ذكره لا يعرفه كبراء النحويين انتهى.

والذي رأيته في كلام الزمخشري في تفسير سورة العنكبوت مانعه: «أن» صلة أكدت وجود الفعلين مرتباً أحدهما على الآخر في وقتين متجاورين لافاصل بينهما، كأنهما وجدا في جزء واحد من الزمان، كأن قيل: لما أحسن بهمجيئهم فاجأته المساءة من غير ريث، انتهى، والريث: البطء وليس في كلامه تعرض للفرق بين القصتين كما نقل عنه، ولا كلامه مخالف لكلام النحويين، ولإطباقهم على أن الزائد يؤكد معنى ما جاء به لتوكيده، ولما تفيد وقوع الفعل الثاني عقب الأول وترتبه عليه، فالحرف الزائد يؤكد ذلك ثم إن قصة الخليل التي فيها «قالوا سلاماً» ليست في السورة التي فيها «سوء بهم» بل في سورة هود، وليس فيها «لما». ثم كيف يتخيل أن التحية تقع بعد المجيء ببطء؟ وإنما يحسن اعتقادنا تأخر الجواب في سورة العنكبوت إذ الجواب فيها «قالوا إنا مهلكو أهل هذه القرية» ثم إن التعبير «الاساءة» لحن، لأن الفعل ثلاثي كما نطق به التنزيل، والصواب «المساءة» وهي عبارة الزمخشري.

وأما ما نقله عن الشلوبين فمعترض من وجهين:

أحدهما: أن المفيد للتعليل في مثاله إنما هو لام العلة المقدره لا أن.

والثاني: أن أن في المثال مصدرية والبحث في الزائدة.

تتبييه

وقد ذكر له «أن» معان أربعة أخرى:

أحدها: الشرطية كإِنْ المكسورة واليه ذهب الكوفيون، ويرجحهُ عندى (أمور):

(أحدها): توارد المفتوحة والمكسورة على المحل الواحد، والأصل التوافق، فقرأ بالوجهين قوله تعالى «أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا»، «ولا يجز منكم شأن قوم أن صدوكم»، «أنضرب عنكم الذكر صفحاً إن كنتم قوماً مسرفين» وقد مضى أنه روى بالوجهين قوله:

٤٣ - انفضب أن أذا قتيبة حزنا

(الثاني): مجيء الفا بعدها كثيراً كقوله

٤٤ - أها خراشة أما أنتَ ذا نفرٍ فإن قومي لم تأكلهم الضبع

(الثالث) عطفها على إن المكسورة في قوله:

٤٥ - إما أقمتَ وأما أنتَ مرتحلاً فالله يكأ ما تأسى وما تذر

الرواية بكسر إن الأولى وفتح الثانية، فلو كانت المفتوحة مصدرية لزم عطف المفرد على الجملة، وتعسف ابن الحاجب في توجيه ذلك، فقال: لما كان معنى قولك «إن جئتني أكرمته» وقولك «أكرمك لإتيانك إياي» واحداً صح عطف التعليل على الشرط في البيت، ولذلك تقول «إن جئتني وأحسنيت إلي أكرمته» ثم تقول «إن جئتني وإحسانك، إلي أكرمته» فتجعل الجواب لهما، انتهى

وما أظن أن العرب فاهت بذلك يوماً ما

المعنى الثاني: النفي كإِنْ المكسورة أيضاً، قاله بعضهم في قوله تعالى

«أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتكم» وقيل: إن المعنى ولا تؤمنوا بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتكم من الكتاب إلا لمن تبع دينكم، وجملة القول اعتراض.

الثالث: معنى إذ كما تقدم عن بعضهم في إن المكسورة، وهذا قاله بعضهم في «هل عجبوا أن جاءهم منذر منهم» ويخرجون الرسول وأياكم أن تؤمنوا» وقوله:

٤٦ - أنفضب أن أذنا قتيبة حزنا

والصواب أنها في ذلك كله مصدرية، وقبلها لام العلة مقدرة، والرابع: ان تكون بمعنى لثلا، قيل به في «يسين الله لكم أن تضلوا» وقوله.

٤٧ - نزلتم منزل الأضياف منا
فجعلنا القرى أن تشتمونا
والصواب أنها مصدرية، والأصل كراهية أن تضلوا، ومخافة أن تشتمونا وهو قول البصريين، وقيل: هو على إضمار لام قبل أن ولا، بعدها، وفيه تعسف.

(إن) المكسورة المشددة

على وجهين:

أحدهما: أن تكون حرف توكيد، تنصب الاسم وترفع الخبر، وقيل: وقد تنصبهما في لغة، كقوله:

٤٨ - إذا اسودَّ جنح الليل فلتأت ولتكن خطاك خفافا، إن حراسنا أسدا

وفي الحديث «إن قعر جهنم سبعين خريفا» وقد خرج البيت على الحالية وأن الخبر محذوف، أي تلقاهم أسدا، والحديث على أن القعر مصدر «قعر البئر» إذا بلغت قعرها، وسبعين ظرف، أي إن بلغ قعرها يكون في

سبعين عاما.

وقد يرفع بعدها المبتدأ فيكون اسمها ضمير شأن محذوفا كقوله عليه الصلاة والسلام، «إن من أشد الناس عذابا يوم القيامة المصورون» الأصل إنه أى الشأن.

كما قال:

٤٩- إن من يدخل الكنيسة يوما
يلقى فيها جاذرا وظباء
وإنما لم تجعل «من» اسمها لأنها شرطية، بدليل جزمها الفعلين،
والشرط له الصدر، فلا يعمل فيه ما قبله.
وتخرىج الكسائي الحديث على زيادة «من» فى اسم إن يأباه غير
الأخفش من البصريين، لأن الكلام إيجاب، والمجرور معرفة على الأصح،
والمعنى أيضا يأباه لأنهم ليسوا أشد عذابا من سائر الناس.
وتخفف فتعمل قليلا، وتهمل كثيرا، وعن الكوفيين أنها لا تخفف،
وأنه إذا قيل «إن زيد لمنطلق»، ف «إن» نافية «واللازم بمعنى إلا، وورده أن
منهم من يعملها مع التخفيف، حتى سبوه «إن عمرا لمنطلق» وقرأ الحرميان
وأبو بكر «وإن كلاً لما ليوفينهم».
الثاني: أن تكون حرف جواب بمعنى نعم، خلافا لأبى عبيدة، استدلل
المثبتون بقوله:

٥٠- ويقلن: شيب قد علا
ك، وقد كبرت، فقلت: إنه

ورد بأننا لانسلم أن الهاء للسكت، بل هي ضمير منصوب بها والسخر
محذوف، أى إنه كذلك، الجيد الاستدلال بقول ابن الزبير رضى الله عنه
لمن قال له «لعن الله ناقة حملمتى اليك». «إن وراكبها» أى نعم ولعن

راكبها، إذ لا يجوز حذف الاسم والخبر جميعاً.

وعن المبرد أنه حمل على ذلك قراءة من قرأ «إن هذان ساحران» واعترض بأمرين: أحدهما، أن مجيء إن بمعنى نعم شاذ، حتى قيل: إنه لم يثبت، الثاني: أن اللام لا تدخل في خبر المبتدأ، وأجيب عن هذا بأنها لام زائدة، وليست للابتداء، أو بأنها داخلية على مبتدأ محذوف، أى لهما ساحران، أو بأنها دخلت بعد أن هذه لشبهها بأن المؤكدة لفظاً كما قال:

٥١- ورج الفتى للخير ما إن رأيته على السن خيراً لا يزال يزيد

فزاد «إن» بعد ما المصدرية لشبهها في اللفظ بما النافية ويضعف الأول أن زيادة اللام في الخبر خاصة الشعر والثاني أن الجمع بين لام الوكيد وحذف المبتدأ كالجمع بين متنافيين، وقيل: اسم إن ضمير الشأن، وهذا أيضاً ضعيف، لأن الموضوع لتقوية الكلام لا يناسبه الحذف، والمسموع من حذفه شاذ إلا في باب إن المفتوحة إذا خفضت فاستسهلوه، لو روده في كلام بنى على التخفيف فحذف تبعاً لحذف النون، ولأنه لو ذكر لوجب التشديد، إذ الضمائر ترد الأشياء إلى أصولها إلا ترى أن من يقول: لد ولم يك، والله يقول لذك، ولم يكن، وبك لأفعلن ثم يرد إشكال دخول اللام. وقيل: هذان اسمها، ثم اختلف، فقيل: جاءت على لغة بلحارث ابن كعب في إجراء المثني بالألف دائماً كقوله:

٥٢- قد بلغا في المجد غايتاها

واختار هذا الوجه ابن مالك، وقيل «هذان» مبنى لدلالته على معنى الإشارة، وإن قول الأكثرين «هذين» جراً ونصباً ليس إعراباً أيضاً، واختاره ابن الحاجب، وقلت على هذا فقراءة «هذان» أقيس، إذ الأصل في المبنى ألا يختلف صيغه، مع أن فيها مناسبة لألف ساحران، وعكسه الياء في «إحدى ابنتي هاتين» فهي هنا أرجح لمناسبة ياء «ابنتي» وقيل: لما اجتمعت ألف هذا

والف التثنية في التقدير قدر بعضهم سقوط ألف التثنية فلم تقبل ألف «هذا»
التغيير.

تنبيه

تأني «إن» فعلا ماضيا مسنداً لجماعة المؤنث من الأين - وهو العب
- تقول «النساء إن» أي تعين، أو من آن بمعنى قرب، أو مسنداً لغيرهن
على أنه من الأنين وعلى أنه مبنى للمفعول على لغة من قال في رد وجب،
رد وجب، بالكسر تشبيهاً له بقليل وبيع، والأصل مثلاً «أن زيد يوم
الخميس» ثم قيل «إن يوم الخميس» أو فعل أمر للواحد من الأنين، أو
لجماعة الإناث من الأين أو من آن بمعنى قرب، أو للواحدة مؤكداً بالنون
من وأي بمعنى وعد كقوله:

٥٣- إن هند المليحة الحسناء

وقد مر، ومركبة من إن النافية وأنا كقول بعضهم «إن قائم» والأصل
إن أنا قائم ففعل فيه ما مضى شرحه.

فالأقسام إذن عشرة: هذه الثمانية والمؤكد، والجوابية.

(أن) المفتوحة المشددة النون

على وجهين:

أحدهما: أن تكون حرف توكيد، تنصب الاسم وترفع الخبر، والأصح
أنها فرع عن إن المكسورة، ومن هنا صح للزمخشري أن يدعى أن «أنما»
بالمفتوح تفيد الحصر كإنما، وقد اجتمعتا في قوله تعالى «قل إنما يوحى إلي
إنما إلهكم إله واحد» فالأولى لقصر الصفة على الموصوف، والثانية
بالعكس، وقول أبي حيان «هذا شيء انفرد به، ولا يعرف القول بذلك إلا في

إنما بالكسر» مردود بما ذكرت، وقوله «إن دعوى الحصر هنا باطلة لاقتضائها أنه لم يوح إليه غير التوحيد» مردود أيضا بأنه حصر مقيد، إذ الخطاب مع المشركين، فالمعنى ما أوحى إلى في أمر الربوبية إلا التوحيد لا الإشراف، ويسمى ذلك قصر قلب، لقلب اعتقاد المخاطب، وإلا فما الذى يقول هو فى نحو «وما محمد إلا رسول» فإن «ما» للنفى، و«إلا» للحصر قطعاً، وليست صفته عليه الصلاة والسلام منحصرة فى الرسالة، ولكن لما استعظموا موته جعلوا كأنهم أثبتوا له البقاء الدائم فجاء الحصر باعتبار ذلك، ويسمى قصر أفراد.

والأصح أيضا أنه موصول حرفى مؤول من معموليه بالمصدر؛ فإن كان الخبر مشتقا بالمصدر المؤول به من لفظه، فتقدير «بلغنى أنك تنطلق» أو «أنتك منطلق» : بلغنى الانطلاق، ومنه «بلغنى أنك فى الدار» التقدير استقرارك فى الدار، لأن الخبر فى الحقيقة هو المحذوف من استقرار أو مستقر، وإن كان جامدا قدر بالكون نحو «بلغنى أن هذا زيد» تقديره بلغنى كونه زيدا، لأن كل خبر جامد يصح نسبته إلى الخبر عنه بلفظ الكون، تقول «هذا زيد» وإن شئت «هذا كائن زيدا» إذ معناهما واحد وزعم السهيلي أن الذى يؤول بالمصدر إنما هو أن الناصبة للفعل لأنها أبدا مع الفعل المتصرف، وأن المشددة إنما تؤول بالحديث، قال: وهو قول سيبويه، ويؤيده أن خبرها قد يكون اسما محضا نحو «علمت أن الليث الأسد» وهذا يشعر بالمصدر، انتهى، وقد مضى أن هذا يقدر بالكون.

وتخفف أن بالاتفاق، فيبقى عملها على الوجه الذى تقدم شرحه فى أن الخفيفة.

الثانى: أن تكون لغة فى لعل كقول بعضهم «أئت السوق أنك تشتري لنا شيئا» وقراءة من قرأ «وما يشرككم أنها إذا جاءت لا يؤمنون» .

(حتى)

(حتى) حرف يأتي لأحد ثلاثة معان : إنتهاء الغاية^(١) وهو الغالب والتعليل^(٢)، إلا في الإستثناء^(٣)، وهذا أقلها، وقل من يذكره.
ونستعمل على ثلاثة أوجه أحدها :

أحدها : أن تكون حرفاً جاراً بمنزله إلى ، في المعنى، ولكنها تخالفها في ثلاثة أمور :

أحدها : أن تخفوضها شرطين : أحدهما عام، وهو أن يكون ظاهراً لا مضمراً خلافاً للكوفيين والمبرد، فأما قوله :

أنت حثاك تقصد كل فج ترجى منك أنها لا تجيب^(٤)

فضرورة، واختلف في علة المنع، فقليل : هي أن محرووها لا يكون إلا بعضها مما قبلها أو بعض منه، فلم يكن عود ضمير بعضاً على الكل، ويرده قد يكون ضميراً حاضراً كما في البيت فلا يعود على ما تقدم، وأنه قد يكون ضميراً غائباً عائداً على ما تقدم غير الكل، كقولك (زيد ضربت القوم حثاه) وقيل : العلة خشية التباسها بالعاطفة، ويرده أنها لو دخلت عليه لقليل في العاطفة (قاموا حتى أنت، وأكرمتمهم حتى إياك) بالفصل، لأن

(١) نحو : سلام هي حتى مطلع الفجر.

(٢) نحو : أسلم حتى تدخل الجنة.

(٣) نحو : ما أفعل حتى تفعل ونحو البيت :

ليس العطاء من الفضول سماحة حتى تجود وما لديك قليل

(٤) البيت من الوافر والفج الطريق الواسع بين جبلين وشاهد الإتيان بمخفوض حتى مضمراً وهذا شاذ، ثم أن هناك شاهداً آخر في البيت وهو مجيء إسم أن المخفضه ضميراً مذكوراً لا محذوفاً.

الضمير لا يتصل إلا بعامله، وفي الخافضة (حتاك) بالوصل كما في البيت،
وحينئذ فلا التباس، ونظيره أنهم يقولون في توكيد الضمير المنصوب (رأيتك
أنت) وفي البديل منه (رأيتك أياك) فلم يحصل لبس، وقيل : لو دخلت عليه
قلبت ألفها ياء كما في إلى، وهي فرع عن إلى، فلا تختمل ذلك، والشرط
الثاني خاص بالمسبوق بذي أجزاء^(١)، وهو أن يكون المجرور آخرًا نحو (أكلت
السمكة حتى رأسها) أو ملاقيًا لآخر جزء نحو (سلام هي حتى مطلع
الفجر) ولا يجوز سرت البارحة حتى ثلثها أو نصفها كذا قال المغاربة
وغيرهم، وتوهم ابن مالك أن ذلك لم يقل به إلا الزمخشري واعترض عليه
بقوله :

عَيَّنْتُ لَيْلَةً، فَمَا زِلْتُ حَتَّى نَصَفَهَا رَاجِيًا، فَعَدْتُ يَوْمًا^(٢)

وهذا ليس محل الاشتراط، إذ لم يقل فَمَا زِلْتُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ حَتَّى
نَصَفَهَا وَإِنْ كَانَ الْمَعْنَى عَلَيْهِ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَصْرَحْ بِهِ.

الثاني^(٣) أنها إذا لم يكن معها قرينة تقتضي دخول ما بعدها^(٤) كما
في قوله :

أَلْقَى الصَّحِيفَةَ كَيْ يَخْفَ رَحْلُهُ

والزاد، حتى نَعَلَهُ أَقْهَاهَا^(٥)

(١) أي أن ما قبل حتى يكون ذا أجزاء وفي هذه الحالة لا بد أن يكون ما بعد حتى هو آخر جزء من
الأجزاء التي لما قبلها.

(٢) هذا البيت من الغفيف واستدل به ابن مالك على أنه لا يشترط في مجرور حتى كونه آخر
الجزء. ويرد ابن هشام بأن الشاعر لم يعين ليله بعينها.

(٣) الثاني من الأمور التي تغالف (حتى) فيها (إلى).

(٤) أي دخول ما بعدها فيما قبلها.

(٥) البيت من الكامل والشاهد في وجود قرينة تقتضي دخول ما بعد (حتى) فيما قبلها وهي (أقهاها)
أي ألقى (الفعل) وهو داخل في الملقى.

أو عدم دخوله كما فى قوله :

سقى الحيا الأرض حتى أمكن عُرِيَتْ

لهم، فلا زال عنها الخير مجدوداً^(١)

حمل على الدخول^(٢)، ويحكم فى مثل ذلك لما بعد (إلى) بعدم الدخول^(٣) حملاً على الغالب فى البابين، هذا هو الصحيح فى البابين^(٤)، وزعم الشيخ شهاب الدين القرافى أنه لا خلاف فى وجوب دخول ما بعد حتى، وليس كذلك، بل الخلاف فيها مشهور، وإنما الإتفاق فى حتى العاطفة لا الخافضة، والفرق أن العاطفة بمعنى الواو.

والثالث : أن كلا منهما قد يتفرد بمحل لا يصلح للآخر.

فما إنفردت به (إلى) أنه يجوز (كتبت إلى زيد وأنا إلى عمرو) أى هو غايته كما جاء فى الحديث (أنا بك وإليك) و (سرت من البصرة إلى الكوفة) ولا يجوز : حتى زيد، وحتى عمرو، وحتى الكوفة، أما الأولان^(٥) فلأن حتى موضوعة لأفادة تقضى الفعل قبلها شيئاً فشيئاً إلى الغاية، وإلى ليست كذلك وما الثالث فلضعف حتى فى الغاية، قلم يقابلوا بها ابتداء الغاية^(٦).

(١) البيت من البسيط والشاهد وجود قرينة تقتضى عدم دخول ما بعد (حتى) فيما قبلها وهو دعاء الشاعر أن يظل الخير مقطوعاً عن الأرض التى نسبت إليهم فلا يسقيها المطر.

(٢) أى إذا وجدت القرينة أو انعدمت جمل على الدخول أى دخول ما بعد (حتى) فيما قبلها.

(٣) إذا وجدت القرينة أو انعدمت فى حال الحركة إلى ألا يدخل ما بعدها فيما قبلها بعكس (حتى).

(٤) أى باب (إلى) وباب (حتى).

(٥) أى المثال الأول (حتى زيد) والمثال الثانى (حتى عمرو).

(٦) ابتداء الغاية الذى يستفاد من الحرف (من). وإذن فإن (إلى) تتفرد فى الاستعمال عندما لا يقضى الفعل شيئاً فشيئاً.

وما انفردت به حتى أنه يجوز وقوع المضارع المنصوب بعدها نحو (سرت حتى أدخلها) وذلك بتقدير حتى أن أدخلها، وأن المضمرة والفعل في تأويل مصدر مخفوض بحتى ولا يجوز : سرت إلى أدخلها وإنما قلنا أن النصب بعد حتى بأن مضمرة لا بنفسها كما يقول الكوفيون لأن حتى قد ثبت أنها تخفض الأسماء، وما يعمل في الأسماء لا يعمل في الأفعال، وكذا العكس^(١).

ولحتى الداخلة على المضارع المنصوب ثلاثة معان : مرادفه إلى نحو : (سنتي يرجع إلينا موسى^(٢)) ومرادفه كى التعليلية نحو (ولا يزالون يقاتلونكم حتى يهودوكم^(٣)) ، (هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا^(٤)) ، وقولك : (أسلم حتى تدخل الجنة) ويحتملها (فقاتلوا التي تبتغي حتى تلقى إلى أمر الله^(٥)) ومرادفه إلا في الاستثناء، وهذا المعنى ظاهر من قوله سيبويه في تفسير قولهم (والله لا أفعل إلا أن تفعل) المعنى حتى أن تفعل، وصرح به ابن هشام الخضرأوى وابن مالك، ونقله أبو البقاء عن بعضهم في (وما يعلمان من أحد حتى يقول^(٦)) ، والظاهر في هذه الآية خلافه^(٧) ، وأن المراد معنى الغاية فم هو ظاهر فوذا أنشد ابن مالك في

(١) أى أن حتى تخفض الاسم الذى بعدها، ومن لم لا يجب أن يكون عاملة في الفعل كذلك فإن الناصب للفعل بعدها هو (أن) مضمرة وجوبا. على أن القاعدة التي أوردها ابن هشام من أن ما يعمل في الأسماء لا يعمل في الأفعال يرد عليها بنحو أى رجل تضرب أضرب فإن شرطية جازمت الفعل وهي في الوقت نفسه مضافه جرت ما بعدها.

(٢) آية ٩١ من سورة طه.

(٣) آية ٢١٧ من سورة البقرة.

(٤) آية ٧ من سورة المائدة.

(٥) آية ٩ من سورة البقرة.

(٦) آية ١٠٢ من سورة البقرة.

(٧) أى بخلاف الاستثناء.

قوله :

ليس العطاء من الفضول سماحة حتى تجسود وما لديك قليل^(١)

وفى قوله :

والله لا يذهب شيخى باطلاً حتى أبير ملكاً وكساهلاً^(٢)

لأن ما بعدهما ليس غاية لما قبلها ولا مسبباً عنه، وجعل ابن هشام من ذلك الحديث (كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه وينصرانه) إذ زمن الميلاد لا يتناول فتكون حتى فيه للغاية، ولا كونه يولد على الفطرة علته اليهودية والنصرانية فتكون فيه التعليل ولك أن تخرجه على أن فيه محذوفاً، أى يولد على الفطرة ويستمر على ذلك حتى يكون.

ولا ينصب الفعل بعد حتى إلا إذا كان مستقبلاً، لم إن كان استقباله بالنظر إلى زمن المتكلم فالنصب واجب، نحو (لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى)^(٣) وإن كان بالنسبة إلى ما قبلها خاصة فالوجهان، نحو (وزلزلوا حتى يقول الرسول)^(٤) الآية : فإن قولهم إنما هو مستقبل بالنظر إلى الزلزال، لا بالنظر إلى زمن قص ذلك علينا وكذلك لا يرتفع بعد

(١) البيت من الكامل ومحل الشاهد فيه استعمال (حتى) بمعنى (إلا) والبيت للمقنع الكندي.

(٢) البيت من الرجز وقاله امرؤ القيس حين بلغه أن بنى أسد قتلت أباه وشيخى معنى أباه، وأبير : أهلك ومالك وكاهل : قبيلتان، ومحل الشاهد استعمال (حتى) بمعنى (إلا).

(٣) آية ٩١ من سورة طه ومحل الشاهد أن رجوع موسى عليه سلام كان مستقبلاً بالنسبة للزمن الذى تكلموا فيه، والنسبة لمعادتهم المعجل لذلك وجب نصب ما بعد حتى.

(٤) الآية ٢١٤ من سورة البقرة والشاهد أن ما بعد حتى يجوز فيه وجهان : الأول النصب وهى قراءة الجمهور فيكون ما بعد حتى مستقبلاً بالنظر إلى الزلزال والثانى الرفع وهى قراءة نافع فيكون الفعل بعدها حال مقارن لما قبلها فيكون الأخبار بشيئين الزلزال والقول، وذلك نظير قولك (مرض زيد حتى لا يرجوه).

(حتى) إلا إذا كان حالاً، ثم أن كانت حالته بالنسبة إلى زمن المتكلم فالرفع واجب، كقولك : (سرت حتى أدخلها) إذا قلت ذلك وأنت في حالة الدخول، وإن كانت حالته ليست حقيقه - بل كانت محكية - رفع وجاز نصبه إذا لم تقدر الحكاية نحو (وزلزلوا حتى يقول الرسول) قراءة نافع بالرفع بتقدير حتى حالتهم حينئذ أن الرسول والذين آمنوا معه يقولون كذا وكذا.

وأعلم أنه لا يرتفع الفعل بعد حتى إلا بثلاثة شروط : أحدهما أن يكون حالاً أو مؤولاً بالحال كما مثلنا، والثاني أن يكون مسبباً عما قبلها، فلا يجوز (سرت حتى تطلع الشمس) ولا (ما سرت حتى أدخلها، وهل سرت حتى تدخلها) أما الأول فلأن طلوع الشمس لا يتسبب عن السير، وأما الثاني فلأن الدخول لا يتسبب عن عدم السير وأما الثالث فلأن السبب لم يتحقق وجوده، ولا يجوز (أيهم سار حتى يدخلها) و (متى سرت حتى تدخلها) لأن السير محقق، وإنما الشك في عين الفاعل وفي عين الزمان وأجاز ألا تخفش الرفع بعد النفي على أن يكون أصل الكلام إيجابياً ثم أدخلت أداة النفي على الكلام بأسره، لا على ما قبل حتى خاصة ولو عرضت هذه المسألة بهذا المعنى على سيبويه لم يمنع الرفع فيها، وإنما منعه إذا كان النفي مسلطاً على السبب خاصة، وكل أحد يمنع ذلك، والثالث أن يكون فضله، فلا يصح في نحو (سيرى حتى أدخلها) لئلا يبقى المبتدأ بلا خبر، ولا في نحو (كان سيرى حتى أدخلها) إن قدرت كان ناقصة، فإن قدرت لها تامة أو قلت (سيرى أمس حتى أدخلها) جاز الرفع إلا أن علقتم أمس بنفس السير، لا باستقرار محذوف.

الثاني^(١) من أوجه حتى : أن تكون عاطفه بمنزلة الواو، إلا أن بينهما

(١) الأول هو . أن تكون حرفاً جارياً بمنزلة إلى

فرقا من ثلاثة أوجه :

أحدهما : أن لمعطوف حتى ثلاثة شروط، أحدها أن يكون ظاهراً لا مضمراً كما أن ذلك شرط مجرورها، ذكره ابن هشام الخضراوي ، ولم أقف عليه لغيره، والثاني : أن يكون اما بعضاً من جمع^(١) كـ (قدم الحاج المشاة) أو جزءاً كل نحو (أكلت السمكة حتى رأسها) أو كجزء نحو أعجبتني الجارية حتى حديثها.

ويمتنع أن تقول (حتى ولدها) والذي يضبط لك ذلك^(٢) أنها تدخل حيث يصبح دخول الاستثناء^(٣)، ويمتنع حيث يمتنع، ولهذا لا يجوز (ضربت الرجلين حتى أفضلهما)^(٤) وإنما جاز (حتى نعله القاهما) لأن القاء الصحيفة والزاد في معنى ألقى ما يثقله والثالث : أن يكون غاية لما قبلها أما في زيادة أو نقص، فالأول نحو (مات الناس حتى الأنبياء)^(٥)، والثاني نحو (زارك الناس حتى الحجامون)^(٦)، وقد اجتمعا في قوله :

قهرناكم حتى الكمأة فأنتم تهابونا حتى بنينا الأصاغرا^(٧)

الفرق الثاني : أنها لا تعطف الجمل، وذلك لأن شرط معطوفها أن

(١) أي أن يكون معطوفاً

(٢) أي يضبط صحة العطف بهي.

(٣) الاستثناء المتصل.

(٤) أي لأنه لا يصح الاستثناء، فلا تقول (ضربت الرجلين إلا أفضلهما) لأن شرط الاستثناء المتصل أن يكون ما قبل إلا شاملاً لما بعدها ظهوراً لا نصاً فلا يجوز ضربت الرجال إلا أفضلهم جاز (شرح السوقي).

(٥) الأنبياء بالرفع فهم زيادة في الشرف عن باقي الناس.

(٦) الحجامون لأنهم أنقص قدرأ من الناس.

(٧) البيت من الطويل والكمأة جمع كأم وهو الشجاع وفي البيت شاهدان العطف بهي على الأكثر شرفاً (حتى) الكمأة، والمعطف بها على الأقل منزلة (حتى بنينا الأصاغرا).

يكون جزاء مما قبلها أو كجزء منه، كما قدمناه، ولا يتأتى ذلك إلا في المفردات، هذا هو صحيح وزعم ابن السيد في قوله امرئ القيس :

سريت بهم حتى تكل مطيهم وحتى الجياد ما يقدن بأرسان^(١)
فيمن رفع (تكل) أن جملة (تكل مطيهم) معطوفة بحتى على سريت بهم.

الثالث : أنها إذا عطفت على مجرور أعيد الخافض، فرقاً بينها وبين الجارة فنقول : (مررت بالقوم حتى يزيد) ذكر ذلك ابن الخباز وأطلقه، وقيده ابن مالك بأن لا يتعين كونها للعطف نحو (عجبت من القوم حتى بنيتهم) وقوله :

جود يحنك فاض الخلق حتى بائس دان بالرساء دينسا^(٢)

وهو حسن، ورده أبو حيان، وقال في المثال : هي جاره، إذ لا يشترط في تالي الجاره أن يكون بعضاً أو كبعض بخلاف العاطفة، ولهذا منعوا (أعجبتني الجارية حتى ولدها) قال : وهي في البيت محتملة، انتهى وأقول : أن شرط الجارة التالية ما يفهم الجمع أن يكون مجرورها بعضاً أو كبعض، وقد ذكر ذلك ابن مالك في باب حروف الجر، وأقره أبو حيان عليه، ولا يلزم من إمتناع (أعجبتني الجارية حتى ابنها) امتناع (عجبت القوم حتى بينهم)

(١) البيت من الغزول، والسرى هو السير ليلاً والأرسان جمع رن وهو الحبل ومحل الشاهد أن ابن السيد البطليوس وهو من تلمذة الأندلس زعم أن هناك من يرفع تكل فتكون حتى عاطفة على جملة وهذا شاذ.

(٢) ملخص هذا أن ابن الخباز أطلق إعادة الخافض في معطوف (حتى) سواء أكانت للجرام للعطف لكن ابن مالك اشترط في إعادة الخافض أن يكون (حتى) جارة أما إن كانت عاطفة فلا يعاد الخافض، والبيت من الخفيف ومحل شاهده أن (حتى) فيه عاطفة فلم يبد الخافض (حتى) بائس) والبائس الشديد القوى.

لأن اسم القوم يشمل أبنائهم، واسم الجارية لا يشمل ابنها، ويظهر لى أن الذى لحظه ابن مالك أن الموضع الذى يصح أن نخل فيه (إلى) محل حتى العاطفة فهى فيه محتملة للجارة، فيحتاج حينئذ إلى إعادة الجار عند قصد العطف نحو (اعتكف فى الشهر حتى فى آخره) بخلاف المثال والبيتين السابقين وزعم ابن عصفور أن إعادة الجار مع حتى أحسن، ولم يجعلها واجبة.

تنبيه : العطف بحتى قليل، وأهل الكوفة ينكرونه البته، ويحملون نحو (جاء القوم حتى أبوك، ورأيتهم حتى أباك، ومررت بهم حتى أبلك) على أن حتى فيه ابتدائية، وأن ما بعدها على إضمار عامل^(١).

الثالث من أوجه حتى : أن تكون حرف ابتداء، أى حرفاً تبدأ بعده الجملة أى تستأنف، فيدخل على الجملة الإسمية، كقول جرير :

فما زالت القتلى نمع دماءها بدجله حتى ماء دجله أشكل^(٢)

وقال الفرزدق :

فواعجباً حتى كليب تسبني كأن أباهـا نهشل أو مجاشع^(٣)

ولا بد من تقدير محذوف قبل حتى فى هذا البيت يكون ما بعده حتى غاية له أى فواعجباً يسبني الناس حتى كليب تسبني، وعلى الفعلية^(٤) التى

(١) العامل فى المثال الأول الفعل (جاء)، وفى الثانى الفعل (رأى)، وفى الثالث حرف الجر الياء.

(٢) البيت من الطويل : و (نمغ) لرمى. دجله بكسر الدال وفتحها أشكل اختلط فيها البياض بالحمرة. ومحل الشاهد الإتيان بجملة بعد حتى على أنها حرف ابتداء وما بعده مستأنف.

(٣) البيت من الطويل : وكليب من يربوع رهط جرير، ونهشل وتمتنع رهط الفرزدق. وشاهده كشاهد سابقه، وأعجباً نداء. عجباً منادى مندوب، منصوب بفتح مقدرة لأنه مصاف إلى ياء المتكلم التى حذفت لاتصاله بألف الندبة.

(٤) أى فتدخل على الجملة الفعلية.

فعلها مضارع كقراءة نافع رحمه الله (حتى يقول الرسول) برفع يقول :
وكقول حسان :

يُغشونَ حتى ما تهر كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل^(١)

وعلى الفعلية التي فعلها ماض نحو (حتى عفوا وقالوا)^(٢) . وزعم ابن مالك أن حتى هذه جارة، وإن بعدها أن مضمرة، ولا أعرف له في ذلك سلفاً وفيه تكلف أضمار من غير ضرورة، وكذا قال في حتى الداخلة على إذا في نحو (حتى إذ فشلتم وتنازعتم)^(٣) أنها الجارة، وإن إذا في موضع جر بها^(٤) وهذه المقالة سبقه إليها الأخفش وغيره، والجمهور على خلافها وأنها حرف ابتداء.

وإن إذا في موضع نصب بشرطها أو جوابها^(٥) والجواب في الآية محذوف، أي امتحنتم أو انقسمتم، بدليل (منكم من يريد الدنيا، ومنكم من يريد الآخرة) ونظيره حذف جواب لما في قوله تعالى (فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد)^(٦) أي انقسموا قسمين فمنهم مقتصد ومنهم غير ذلك،

(١) البيت من الكامل ويمدح قوماً بالكرم فيقول يأتي الناس إليهم ولا تهر كلابهم من الهرير وهو صوت الكلاب عند البرد، فهي قد تعودت على غشيان الناس لدور أصحابهم ومحل الشاهد دخول حتى على الجملة الفعلية (حتى ما تهر كلابهم).

(٢) الآية ٩٥ من سورة الأعراف وتامها «ثم بدلنا مكان الحسنه حتى عفوا وقالوا قد مس أباءنا الضراء والسراء فأعلمناهم بقية وهم لا يشعرون».

(٣) «إذ تحسبونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيت من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة لم صرفكم عنه» (آية ١٥٢ / آل عمران).

(٤) وهلى هذا لا تكون (إذا) ظرفاً بل اسماً بمعنى الوقت مجزوراً بحتى والمعنى تقتلونهم (الحس : القتل) بإذن الله إلى وقت فشلكم أي جبنكم وخوفكم.

(٥) من المستقر عليه أن (إذا) تخفض شرطها وتنصب بجوابها.

(٦) من الآية ٣٢ من سورة لقمان.

وأما قول ابن مالك إن (فمنهم مقتصد) هو الجواب فمبنى على صحة مجيء جواب لما مقرّوناً بالفاء، ولم يثبت، وزعم بعضهم أن الجواب في الآية الأولى مذکور وهو (عصيتهم) أو (صرفكم) وهذا مبنى على زيادة الواو وثم لم يثبت ذلك.

وقد دخلت حتى الابتدائية على الجملتين الاسمية والفعلية في قوله :

سريت بهم حتى تكل مطيهم وحتى الجياد ما يقدن بأرسان^(١)

فيمن رواه برفع تكل، والمعنى حتى كلت، ولكنه جاء (بلفظ المضارع) على حكاية الحال الماضية كقولك (رأيت زيدا أمس وهو راكب) وأما من نصب فعلى حتى التجارة كما قدمنا ولا بد على النصب من تقدير زمن مضاف إلى تكل، أي إلى زمان كلال معاليهم.

وقد يكون الموضع صالحاً لأقسام (حتى الثلاثة)، كالتسوية (أكلت السمكة حتى رأسها) فلك أن تخفض على معنى إلى، وأن تنصب، فإن معنى الراو، ولن ترفع على الابتداء^(٢)، وقد روى بالأوجه الثلاثة قوله :

عممتهم بالندی حتى غوانهم فكنت مالاً ذي غي وذی رشاد^(٣)

وقوله :

(١) سبق شرح هذا البيت ومحل الشاهد فيه دخول حتى في شطره الأول على الجملة الفعلية، وفي شطره الثاني على الجملة الاسمية.

(٢) والمعنى على الوجه الثالث : أكلت السمكة حتى رأسها مأكولة، فدخل الرأس في الأكل لا نزاع فيع على الثاني والثالث، وأما على الأول فيجوز على الخلاف في الآيتين «وأسعدوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين» و «حتى مطلع الفجر».

(٣) البيت من البسيط ومعناه أن كرمك قد شملهم جميعهم، ولذلك فقد ماكتهم به من كان منهم غنياً أو رشيداً، ومحل الشاهد (حتى غوانهم) بالأوجه الثلاثة ولكل وجه معنى كما في أمثال (أكلت السمكة حتى رأسها).

ألقى الصحيفة كي يخفف رحله واليزاد حتى نعلهُ ألقاهما
ألا أن بينهما فرقاً من وجهين.

أحدهما : أن الرفع في البيت الأول شاذ، لكون الخبر غير مذكور، ففي
الرفع تهية العامل للعمل وقطعه عنه، وهذا قول البصريين، وأوجبوا إذا قلت
(حتى رأسها) بالرفع أن تقول (مأكول).

والثاني : أي النصب في البيت الثاني من وجهين، أحدهما : العطف
والثاني إضمام العامل على شريطه التفسير، وفي البيت الأول من وجه واحد.

وإذا قلت (قام القوم حتى زيد قام) جاز الرفع والخفض دون النصب،
وكان لك في الرفع أوجه، أحدهما : الابتداء، والثاني : العطف والثالث
إضمام الفعل والجملة التي بعدها خبر على الأول، ومؤكدة على الثاني،
كما أنها كذلك مع الخفض وأما على الثالث فتكون الجملة مفسرة، وزعم
بعض المخاربة أنه لا يجوز (ضربت القوم حتى زيد ضربته) بالخفض، ولا
بالعطف، بل بالرفع أو بالنصب بإضمام فعل، لأنه يمتنع جعل (ضربته)
أو كذا لضربت القوم، وقال : وإنما جاز الخفض في حتى نعله لأن ضمير
(ألقاهما) للصحيفة ولا يجوز على هذا الوجه أن يقدر أنه للفعل.

ولا محل للجملة الواقعة بعد حتى الابتدائية، خلفاً للزجاج وابن
درستويه زعما أنها في محل جر بحتى، ويرده أن حروف الجر لا تعلق عن
العمل، وإنما تدخل على المفردات أو ما في تأويل المفردات، وأنهم إذا أوقعوا
بعدها إن كسروها فقالوا (مرض زيد حتى انهم لا يرجونه) والقاعدة أن
حرف الجر إذا دخل على أن فتحت همزتها نحو (ذلك بأن الله هو
الحق) (١).

(١) الآية ٦ من سورة الحج.

رابعاً

أبحاث للمؤلف

الإعراب والفقه

نتنقل الآن إلى وجهة أخرى من وجهات البحث وهي تأثير الإعراب في الأحكام الشرعية وتوجيهها. فالمعروف أن المعاني تختلف باختلاف وجوه الإعراب، والمعروف أيضاً أن الفقهاء كلهم كانوا على دراية واسعة بالنحو واللغة، الأمر الذي كان يمكنهم من التفرقة بين الأساليب المختلفة مما صغر هذا الاختلاف، ومن الفقهاء من كان يعتز اعتزازاً بالغاً بالنحو وبمعرفة به، ويتخذ نبراساً يهتدى به إلى العلوم الأخرى فهذا الإمام الشافعي مثلاً يقول : «من تبحر في النحو اهتدى إلى كل العلوم»^(١).

ويقول أيضاً : «لا أسأل عن مسألة من مسائل الفقه إلا أجبت عنها من قواعد النحو»^(٢) وكان أبو عمر الجرمي يدل بمعرفة بالفقه والنحو معاً وكان يقول : «أنا أفتى الناس في الفقه من كتاب سيبويه» وكان يقول «سلوني عما شغلتكم من الفقه فأني أجيبكم على قياس النحو» فقالوا له : ما تقول في رجل سها في الصلاة سجدة السهو فسها؟ فقال : لا شيء عليه فقالوا له : من أين قلت ذلك؟ قال : «أخذه من باب الترخيم، لأن المرخم لا يرخم»^(٣).

وبربطا بين هشام وبين جواز يصلي الحاج عن غيره ركعتين الطواف، وبين حذف الفاء في خبر (أما) مع أنها واجبة الذكر، كقوله تعالى : «فأما الذين

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي ص ٢٣١.

(٢) هو صالح ابن اسحق، أخذ عنه المبرد، وانتهى إليه علم النحو في زمانه، وتوفي سنة ٢٢٥ هـ (بشيء الوفاء ص ٢٦٨).

(٣) مجالس العلماء لأبي القاسم الزجاجي ص ٢٥١ : ٢٥٢ تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون. الكويت سنة ١٩٦٢ م.

آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم، وإنما الذين كفروا فيقولون...^(١) يربط ابن هشام بين هذا وذاك بقوله : فإن قلت : قد حذفت الفاء في التنزيل في قوله تعالى : «فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتهم بعد إيمانكم»^(٢) . قلت : الأصل (فيقال لهم أكفرتهم) فحذف القول استغناء عنه بالمقول، فتبطلت الفاء في الحذف، ورب شيء يصح تبعاً ولا يصح استقلالاً، كالحاج من غيره، يصلى عنه ركعتين الطواف، ولو صلى أحد من غيره ابتداء لم يصح على الصحيح، هذا قول الجمهور^(٣).

وإن الأنباري يصنف كتابه «الأنصاف في مسائل الخلاف بين نحوي البصرة والكوفة» ليكون على ترتيب المسائل الخلافية بين الشافعي وأبي حنيفة^(٤) بل أنهم يشترطون في مفسر القرآن، وهو المصدر الأول من مصادر التشريع الإسلامي، أن يكون ملماً بقواعد النحو والصرف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات ومعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ.

فلا عجب والحال هكذا - أن يتدخل الإعراب تدخلاً ملحوظاً في بعض المسائل الفقهية ويوجهها توجيهات متباينة تبعاً لاختلاف وجوه الإعراب. واختلاف الأحكام الشرعية - التي يسببها اختلاف وجوه الإعراب - ليست إختلافات طفيفه، بل هي إختلافا جوهرية تمس كيان الأحكام نفسه.

من ذلك ما ذكر في حكم الميراث الذي أوجبه الآيه «للمذكر مثل حظ

(١) آية ٢٦ من سورة البقرة.

(٢) آية ١٠٦ من سورة آل عمران.

(٣) المعنى جـ ١ ص ٥٦.

(٤) مقدمة «الأنصاف في مسائل الخلاف» ص ٣.

الأنثيين فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن. ثلثا ما ترك^(١). فكلمه (فوق) ظرف متعلق بمحذوف صفة النساء، ولكن بعض النجاء حكم بزيادتها، وبذلك يتغير الحكم الشرعى فى الميراث بناء على هذه الزيادة، إذ يكون للبنتين ثلثا تركة المتوفى. وقال أبو العباس المبرد: أن فى الآية ما يدل على أن للبنتين الثلثين، وذلك أنه لما كان للواحدة مع أخيها الثلث إذا انفردت، علمنا أن للأنثيين الثلثين، واستدلوا - بالإضافة إلى ذلك بأن (فوق) جاءت زائدة فى قوله تعالى «فأضربوا فوق الأعناق»^(٢) وقد رد القرطبي هذه الأقوال كلها بأن الظروف وجميع الأسماء لا يجوز فى كلام العرب أن تزداد لغير معنى وقوله تعالى «فأضربوا فوق الأعناق» هو الفصيح، وليست (فوق) زائدة، بل هى محكمة للمعنى، لأن ضربة العنق إنما يجب أن تكون فوق العظام دون الدماغ^(٣).

ونحن لا يعنينا هنا مناقشة هذه الأحكام الشرعية من حيث عدد الإناث أهما إثنين، أم أكثر من ذلك؟ فهذا ليس مجال البحث، ولكن نود أن نبين أن إختلاف الإعراب فى كلمة (فوق) ترتب عليه إختلافات جوهرية فى الأحكام الفقهية.

مسألة أخرى تتصل بحكم الشرع فى الخنزير: أهو محرم كله: لحمه وشحمه وغضروفه وعظمه وجلده أم أن لحمه ليس غير هو المحرم بدليل الآية الكريمة «قل لا أجد فيما أوحى إلى محرماً على طاعم يطعمه، إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقاً أهل لغير الله به»^(٤)

(١) آية ١١ من سورة النساء.

(٢) آية ١٢ من سورة الأنفال.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ٥ ص ٦٣.

(٤) آية ١٤٥ من سورة الأنعام.

فهذا الحكم يتوقف على ما يعود إليه الضمير في (فإنه رجس) أيعود إلى أقرب مذكور فيكون الخنزير كله محرماً أم يعود على المضاف وهو (لحم) فيكون اللحم دون غيره محرماً. يقول أبو حيان الأندلسي في ذلك عندما تعرض لهذه الآية : الظاهر أن الضمير في (فإنه) عائد على لحم الخنزير. وزعم أبو محمد بن حزم أنه عائد على (خنزير) فإنه أقرب مذكور، وإذا احتمل الضمير العود على شيئين كان عوده على الأقرب أرجح. وغرضي (أى ابن حزم) بأن المتحدث عنه إنما هو اللحم، وجاء ذكر الخنزير على سبيل الإضافة إليه، لا أنه هو المتحدث عنه المخطوف^(١).

وإذاً فإن أبا حيان يرى عودة الضمير على (لحم) دون أقرب مذكور لأن هذا الأقرب فضلة وهو المضاف إليه : خنزير، أما المتحدث عنه الذي يجب أن يعود عليه الضمير حتى إن لم يكن الأقرب فهم (لحم). ويؤيد أبو حيان رأيه هذا عند تعرضه للآيتين الثامنة والتاسعة والثلاثين من سورة «طه» إذا أوحينا إلى أمك ما يوحى. أن أقذفه في التابوت، فاقذف فيه في آليم، فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدولي وعدوله، حيث يقول : ولتقابل أن يقول ان الضمير إذا كان صالحاً لأن يعود على الأقرب وعلى الأبعد كان عوده على الأقرب أرجحاً. وقد نص النحويون على هذا فعوده على التابوت في قوله «فاقذف فيه اليم، فليلقه اليم» أرجح.

والجواب أنه إذا كان أحدهما هم المتحدث عنه، والآخر فضلة كان عوده على المتحدث عنه أرجح، ولا يلتفت إلى القرب. ولهذا ردنا على أبي محمد بن حزم - في دعواه : أن الضمير في قوله (فإنه رجس) عائد على خنزير، لا على لحم لكونه أقرب مذكور، فيحرم لذلك شحمه وغضروفه

(١) البحر المحيط ج ٦ ص ٢٤١ لأبي حيان القاهرة ١٣٧٨ هـ.

وعظمه وجلده - بأن المحدث عنه هو لحم خنزير لا خنزير^(١).

وما يتصل بأحكام تأجيل الدين وهل لأهل الربا خاصة أو أن التأجيل للمعسر أياً كان بصفة عامة، هذه الأحكام مرهونة برفع أو بنصب (ذو) من الآية الكريمة.

«وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة»^(٢) فيرى القرطبي أن قراءة الرفع (ذو) في هذه الآية بمعنى : وإن وقع ذو عسرة من الناس أجمعين، وارتفع (ذو) بكان التامة التي بمعنى وجد أو حدث، وبذلك تكون الآية لكل معسر ينظر (أى يصبر عليه) في الربا والدين كله. ولو كان في الربا خاصة لكان الوجه، بمعنى (إن كان الذى عليه الربا ذا عسرة). وقال ابن عباس وشرح : ذلك في الربا خاصة، فأما الديون وسائر المعلومات، فليس فيها نظرة، بل يؤدي إلى أهلها، أو يحبس فيه حتى يوفيه، واحتجوا بقوله تعالى «إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها» قال ابن عطية : فكانوا هذا القول يترتب إذا لم يكن فقر مدقع وأما مع العدم والفقر الصريح فالحكم هو النظرة ضرورية^(٣).

وإذن فهناك وجهان لإعراب (ذو) الأول : رفعها وهذا يؤدي إلى تأجيل الدين للمعسر بصفة عامة، والثاني نصبها فيكون التأجيل للمعسر من أهل الربا دون غيره، حيث إن السياق القرآني كان يتناول مسائل الربا.

وكذلك نرى أن اختلاف التقدير النحوي يؤدي إلى الخلط بين الاستثناء والنسخ، ففي قوله تعالى : «والشعراء يتبعهم الغاؤون ألم ترأنهم في

(١) آية ٢٨٠ من سورة البقرة.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ج ٣ ص ٣٧٢.

(٣) آيات ٢٢٤ / ٢٢٧ من سورة الشعراء.

كل وإد وإد يهيمون وأنهم يقولون مالا يفعلون؛ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات»^(١).

قال القرطبي : وروى الضاحك عن ابن عباس أنه قال في قوله تعالى : «والشعراء يتبعهم الغاؤون» منسوخ بقوله «إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات» قال المهدوي : وفي الصحيح عن ابن عباس أنه استثناء^(٢). ويرى أبو جعفر النحاس أن الكلام عام، الغاؤون هم الكفار فاستثنى منهم المؤمنين، وهذا قول صحيح في العربية وهو الذي تسميه العرب استثناء لا نسخاً وتقول : جائي القوم إلا عمراً، ولا يقال : هذا نسخ^(٣).

وأظهر من هذه الآية في اختلاف الحكم بالنسخ الآية السادسة من سورة المائدة، حيث يترتب على إختلاف حركة الإعراب (نصب أو رفع أو جر) إختلاف الحكم بالنسخ، ففي قوله تعالى «يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق، وأمسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين» نجد أن هناك قراءتين في (أرجلكم) الأولى بالنصب وبه قرأ نافع وابن عامر والكسائي، وعامل النصب فعل الأمر (فاغسلوا). وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة بالخفض عطفاً على (رؤوسكم) وعلى ذلك فإن قراءة النصب توجب الغسل للرجلين كما هو واجب للوجه، في حين أن قراءة الخفض توجب المسح للرجلين كما هو واجب للرأس. قال قوم في قراءة من قرأ (وأرجلكم) بالخفض : أنه منسوخ بفعل النبي ﷺ^(٤) وفسر

(١) الجامع لأحكام القرآن جـ ١٣ ص ١٥٣.

(٢) الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم ص ٢٠٤ لأبي جعفر النحاس. المكتبة الإسلامية بجوار الأزهر الشريف بالقاهرة سنة ١٩٣٨م.

(٣) السابق ص ١٢٢.

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي جـ ٦ ص ٩١.

القرطبي ذلك بأن الغسل هو الثابت من فعل النبي ﷺ واللازم من قراءة في غير ما حديث وقد رأى قوماً يتوضئون، وأعقابهم تلوح فنأدى بأعلى صوته ويل للأعقاب من النار اسبغوا الوضوء «فدل على وجوب غسلها»^(١).

وإذن فقد أثر عن الرسول ﷺ الغسل، وفي ذلك يقول الفراء : حدثني محمد بن أبياس القريشي عن أبي اسحق المهداني عن رجل عن علي أنه قال : نزل الكتاب بالمسح والسنة بالغسل. قال الفراء : وحدثني أبو شهاب عن رجل عن الشعبي قال : نزل جبريل بالمسح على محمد ﷺ عليهما وعلى جميع الأنبياء. قال الفراء السنة الغسل^(٢).

هذه الأقوال - إذن - بعضها ينسب إلى الرسول ﷺ أنه كان يمسح على رجليه، وبعضها ينسب إليه أنه كان يغسلها فإذا صح أن السنة الغسل فإن قراءة الآية بالخفض «وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم» تعني مسح الرجلين وبذلك يكون في الآية نسخ لما كان في السنة. أما من قرأها بالنصب، أي غسل الرجلين عطفاً على (وجوهكم) فليس في الآية نسخ، بل هي مطابقة لما جاء في السنة.

ولكن أمر النسخ لا يؤخذ هكذا بمثل هذه البساطة، لأن النسخ أمر له خطورته، فإلغاء حكم وإتيان آخر بدله ليس من السهولة بحيث نوقفه على أمر الإعراب والمناسب هو أن نورد ما قاله ابن النباري «المسح في اللغة يقع على الغسل، ومنه يقال تمسحت للصلاة أي توضأت». وقال أبو زيد الأنصاري - وكان من هذا الشأن بمكان : المسح خفيف الغسل فبينت السنة أن المراد بالمسح في الرجل هو الغسل^(٣).

(١) معاني القرآن ج ١ ص ٣٠٢ دار الكتب سنة ١٩٥٥ م.

(٢) البيان في غريب إعراب القرآن ج ١ ص ٢٨٥. الهيئة المصرية للنشر ١٩٦٩ م.

(٣) معنى البيب ابن هشام ج ٣ ص ٣٥٤.

وفى هذه الآية أيضاً اختلاف فى مباحث فقهيه أخرى نتجت عن اختلاف النحاء فى وظائف حروف المعانى فمن ذلك :

حرف العطف فى الآية وهو الواو، قال بعض النحاة ومنهم قطرب والريعى والفراء وتعلب : أنها تفيد الترتيب^(١)، واستدل الدينورى على ذلك بأن الترتيب فى اللفظ يستدعى شبيهاً والترتيب فى الوجود صالح له فوجب العمل عليه^(٢).

والشافعية يستندون إلى هذا رأى فيرون وجوب الترتيب؟ يقول العكبرى : قيل (إلى) بمعنى (مع) كقوله تعالى ﴿ويزدكم قوة إلى قوتكم﴾^(٣) وليس هذا المختار، والصحيح أنها على بابها، وأنها الإتهاء الغايه، وإنما وجب غسل المرافق بالسنة، وليس بينهما تناقض، لأن (إلى) تدل على إتهاء الفعل ولا يتعرض لنفى الحدود إليه، ولا بإثباته. ألا ترى أنك إذا قلت سرت إلى الكوفة، فغير ممتنع أن تكون بلغت أول حدودها ولم تدخلها، وأن تكون دخلتها، فلو قام الدليل على أنك دخلتها لم يكن مناقضاً لقولك سرت إلى الكوفة فعلى هذا تكون (إلى) متعلقة (باغسلوا)^(٤).

وفى قوله تعالى : ﴿ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء أو أكنتم فى أنفسكم علم الله أنكم ستذكرونهم ولكن لا تواعدوهن سرا﴾^(٥) ملحظ لطيف فإن العربيين على أن (سراً) مفعول به ليست حالاً أو صفة لمصدر محذوف. وما ذلك إلا أن (سراً) بمعنى نكاحاً فكان المعنى (لا

(١) معجم الهوامع شرح شمع الجوامع للسيوطى ج ٢ ص ١٢٩ دار المعرفه بيروت دون تاريخ.

(٢) آية ٥٢ من سورة هود.

(٣) إعراب القرآن على حاشية الجمل ج ٣ ص ٣٩١

(٤) آية ٢٣٥ من سورة البقرة.

(٥) حاشية الجمل على الجلالين ج ١ ص ١٩١

تواعدوهن (نكاحاً) وفي ذلك الإعراب توافق مع التشريع بأن عقدة النكاح مشروطة بالإعلان، وتقدير المعربين (نكاحاً) في مقابلة كلمة (سراً) تقدير مقبول ومناسب، ولأن النكاح سمي (سراً) لأن مسببه الذي هو الوطء مما يسره^(١). بمكس الخطبة فإنه مما يجوز التعريض أى التاريخ والإشارة.

ولا يتوقف تدخل الإعراب فى الأحكام الفقهي المستمدة من المصدر الأول، للتشريع، وهو القرآن بل يمتد هذا التدخل أيضاً حتى يشمل الأحكام الوضعيه التي هي من صنع البشر، فمن ذلك ما حدث لأبى يوسف القاضي عندما اجتمع هو والكسائي عند الرشيد، وأخذ أبو يوسف يذم النحر ويسخر منه، فقال له الكسائي وقد أراد أن يعلمه فضل النحر : ما تقول فى رجل قال لرجل : أنا قاتل غلامك، وقال له آخر : أنا قاتل غلامك، أيهما كنت تأخذ به؟ قال أبو يوسف : آخذهما جميعاً فقال له الرشيد : أخطأت. وكان له علم بالعريه فاستحيا، وقال : كيف ذلك؟ قال : الذى يؤخذ بقتل الغلام الذى قال : أنا قاتل غلامك بالإضافة، لأنه فعل ماض. وأما الذى قال : أنا قاتل غلامك بالنصب، فلا يؤخذ، لأنه مستقبل لم يكن بعد، كما قال الله عز وجل : ﴿ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله﴾، فلولا أن التنوين مستقبل ما جاز فيه (غداً)، فكان أبو يوسف بعد ذلك يمدح العريه والنحو^(٢).

ولننظر فى الرفع والنصب فى كلمة (ثلاث) من هذا البيت فإن حركة الإعراب تبين عدد مرات الطلاق التي وقعت :

فأنت طلاق^(٣) والطلاق عزيمة (ثلاث) ومن يخرق أعق وأظلم

(١) الأشياء والنظائر للسيوطي ج ٣ ص ٢٢٤ ط الهندسة ١٣٥٩ هـ.

(٢) أنت طلاق بمعنى أنت طالق، أو أنت ذات طلاق.

(٣) مجالس العلماء للزجاجي ص ٣٣٨.

فقد بعث الرشيد إلى أبي يوسف القاضى يسأله عن عدد مرات الطلاق فى حالة نصب (ثلاث) وفى حالة (رفعها) فبعث هذا بدوره إلى الكسائى الذى رأى أن من نصب (ثلاثاً) فإن الطلاق يقع ثلاث مرات، فكأنه قال : أنت طالق ثلاثاً، وجعله (الطلاق عزيمة) مبتدأ وخبر جملة معترضة، وأما من رفع هذه الكلمة فيكون الطلاق وقع منه مرة واحدة فكأنه قال : (أنت طالق)، ثم استطرد فقال (والطلاق عزيمة ثلاث) (الطلاق) رفع بالابتداء، (وعزيمة) خبره، و(ثلاث) خبر ثان^(١).

(١) النشر فى القراءات العشر - ج ١ ص ٢٤٠ للمحافظ أبى الخير الشهير بابن الجزوى، مطبعة التجارب الكبرى بالقاهرة دون تاريخ.

الوقف والإعراب

يرتبط كل من الوقف والإعراب بالآخر ارتباطاً وثيقاً، إذ إن الوقف يؤثر في المعنى، وهذا بدوره يؤثر في الإعراب، ومن ثم كان لازماً لمن يدرس الوقف في القرآن أن يكون ملماً بأوجه الإعراب المختلفة وما يستوجبها كل وجه من وقف في القراءة عند موضع معين. بل إن من المشتغلين بعلم القرآن من اتخذ الإعراب والفصائل النحوية مقياساً لبيان مواضع الوقف، ولبيان أنواعه. والوقف عنصر من العناصر الصوتية في الغه وقد عرفه ابن الجزرى بأنه قطع الصوت عن الكلمة زمناً يتنفس فيه عادة بنية استئناف القراءة، إما بما يلي الحرف الموقوف عليه، أو بما قبله^(١).

ولأهمية الوقف، ولأنه يؤثر في المعنى والإعراب - كما سيحيى - فإننا نجد كثيراً ممن النحاة والقراء - على السواء - قد كتبوا فيه وبينوا أنواعه وما يترتب عليه من إختلاف في المعاني والإعراب، فقد ذكر ابن النديم^(٢) حمرة والقراء وخلف وابن الأنباري وابن كيسان وغيرهم، ونسب لكل منهم كتاباً باسم كتاب الوقف والابتداء وكذلك ذكر الزركشى أبا جعفر النحاس وابن عباد والداني والعماني - وهم من النحويين القراء، ولكل منهم مؤلف في هذا الفن^(٣).

ومما يدل على إهتمام المسلمين الأوائل بعلم الوقف في القرآن أنهم كانوا يساوون بين تعلم الوقف وتعلم القرآن نفسه، يدل على ذلك ما رواه عبد الله بن عمر من أنهم كانوا يعلمون ما ينبغى أن يوقف عنده كما

(١) الفهرست ص ٣٤.

(٢) البرهان في علوم القرآن ج ١ ص ٣٤٢.

(٣) النشر في القراءات العشر ج ١ ص ٢٢٥.

يتعلمون القرآن، ذلك المعنى متوقف على الموضع الذى يقف عنده القارئ، وربما يقف القارئ على موضع بخل بالمعنى ويؤدى إلى التعسف فى الإعراب، وفى ذلك يقول ابن الجزرى، ليس كل ما يتعسفه بعض المحررين، أو يتكلفه بعض القراء، أو يتأوله بعض أهل الأهواء مما يقضى وقفاً أو ابتداءً - ينبغى أن يعتمد الوقف عليه، بل ينبغى تحرى المعنى الآثم والوصف الأوجه^(١). ثم يأتى ابن الجزرى بأمثله من التعسف والتمحل فى الوقف الذى يؤدى إلى التعسف فى إعراب أيضاً، فمن ذلك أن يقف القارئ على، (أنت) من الآية: «وأرحمنا أنت. مولانا فأصرنا»^(٢) فتكون (أنت) تأكيداً لضمير الفاعل فى (أرحمنا) وتكون (مولانا) منادى بحرف نداء معذوف. ومن ذلك أيضاً أن يقف على (لا تشرك) فى الآية «يا بنى لا تشرك». بالله أن الشرك لظلم عظيم^(٣). على معنى القسم.

ويصف ابن الجزرى هذا النوع من الأمثلة بقوله «كله تعسف وتحمل وتخريف للكلم عن موضعه»^(٤).

فهذا مما يبين أن لكل موضع من مواضع الوقف وجهاً خاصاً من وجوه الإعراب وأن التحليل فى مواضع الوقف يؤدى بدوره إلى التمثل فى وجوه الإعراب المختلفة، وإيجاد ما يتناسب من هذه الوجوه لموضع الوقف.

ويوثق ابن الأنبارى الرابطه بين الوقف والإعراب مستخدماً الفصائل النحويه المزدوجة مقياساً لعدم الوقف، فلا يصح عنده الوقف على المضاف دون المضاف إليه ولا المنعوت دون نعته، ولا المؤكد دون توكيده، ولا

(١) آية ٢٨٦ من سورة البقرة.

(٢) آية ١٣ من سورة لقمان.

(٣) النشر فى القراءات العشر - ج ١ ص ٢٢٥.

(٤) الإيقان فى علوم القرآن للسيوطى - ج ١ ص ٨٤.

المعطوف دون المعطوف عليه ولا البذل دون مبدله، ولا أن أو كان أو ظن وأخواتها دون اسمها، ولا اسمها دون خبرها، ولا المستثنى منه دون الاستثناء ولا الموصول دون صلته^(١).

والنظر إلى الوقف وعدمه يؤثران في الإعراب في قوله تعالى : قال : الله على ما نقول وكيل^(٢). إذ يجب الوقف على (قال) وقفه لطيفة، لئلا يتوهم كون الاسم الكريم فاعلاً للفعل (قال)، وإنما الفاعل يعقوب عليه السلام. كذلك يجب الوقف على قوله «ولا يحزنك قولهم»^(٣). ويتبدى إن العزة لله جميعاً لئلا يتوهم أن الآية الأخيرة هي مقول قولهم في محل نصب بل هي مستأنفة^(٤). كذلك يجب الوقف على (عوجاً) من قوله تعالى «الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً»^(٥)، ثم يبتدىء فيقول «قيماً لينذر بأساً...»^(٦)، لئلا يتخيل كون (قيماً) صفة (عوجاً) في حالة عدم الوقف، إذ العوج لا يكون قيماً. ومن قال في قوله تعالى : «وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم»^(٧)، أن (ملة) منصوبة بنزع الخافض - أى (كلمة) - أو عمل فيها ما قبلها، لم يقف على ما قبلها^(٨).

ولقد أكد بعض العلماء الوقف على قوله تعالى «ولقد همت به»

(١) آية ٦٦ من سورة يوسف.

(٢) الآية ٦٥ من سورة يونس.

(٣) البرهان في علوم القرآن ج ١ ص ٣٤٥ بتصرف.

(٤) الآية الأولى من سورة الكهف.

(٥) الآية الثانية من سورة الكهف.

(٦) آية ٧٨ من سورة الحج.

(٧) البرهان في علوم القرآن ج ١ ص ٣٤٤ بتصرف.

(٨) آية ٢٤ من سورة يوسف.

والابتداء بقوله «وهم بها»^(١)، وذلك للفصل بين الخبرين^(٢)، أى أن (الواو) فى الآية استثنائية وليست من باب العطف، لأنها لو كانت من باب العطف لكان يوسف وامرأة العزيز مشتركين فى ذنب واحد، وهو أنه هم بها تماماً مثلما همت هى به، ولكنه - عليه السلام هم بدفعها، أى خافى حذاف مضاف، فى حين أنها همت به، أى أرادت الفاحشه معه لذلك نفى الآية التاسعة والعشرين من السورة نفسها يجب الوقف على قوله يوسف أعرض، عن هذا والابتداء بقوله واستغفرى لذنبك فإنه بذلك يتبين الفصل بين الأمرين لأن يوسف أمر بالإعراض، وهو الصفح. عن جهل من جهل قدره، وأراد ضره، والمرأة أمرت بالاستغفار لذنبها، لأنها عملت بما يجب الاستغفار منه، ولذلك أمرت به^(٣).

وعن أبى كعب وعائشة وعروة بن الزبير وغيرهم أنه يجب الوقف على (إلا الله) من قوله تعالى «وما يعلم تأويله إلا الله». والراسخون فى العلم يقولون آمنا به^(٤). على أن الراسخين فى العلم لا يعلمون تأويله، وتكون الواو للاستئناف، والراسخون مبتدأ، وجملة يقولون خبره. وجرى قوم على عدم الوقف، وأن الواو للعطف على لفظ الجلالة، والمعنى أن تأويل المتشابه يعلمه الله الراسخون فى العلم^(٥).

ويبدو تحكيم صنعه الإعراب فى موضع الوقف من قوله تعالى «لا

(١) البرهان فى علوم القرآن حد ١ ص ٣٤٦.

(٢) السابق حد ١ ص ٣٤٦ بتصرف.

(٣) الآية ٧ من سورة آل عمران.

(٤) حاشية الجمل عمل الجلالين حد ١ ص ٢٤٣.

(٥) آية ٩٢ من سورة يوسف.

تثريب عليكم» ثم يبدأ «اليوم يغفر الله لكم»^(١)، فالوقف على (عليكم) بين أن الظرف (اليوم متعلق بالفعل (يغفر) وليس متعلقاً باسم (لا). والسبب في ذلك أنه - أى الظروف لو تعلق بتثريب لصار اسم (لا) عاملاً في الظرف، أى أنه حينئذ يكون شبيهاً بالمضاف فيجب نصبه وتنوينه، ولما كانت قراءة (تثريب) بالبناء على الفتح، وجب تعلق الظرف بالفعل (يغفر)^(٢).

والأكثر من ذلك أن تقسيمات الوقف عند القراءة مقيسة بمقياس الإعراب ولتلق نظرة على هذه التقسيمات مشفوعة بأحكام إعرابية حتى نتبين ذلك.

قسم القراءة الوقف إلى تام مختار، وكاف جائز، وحسن مفهوم، وقبيح، متروك^(٣). فالتام هو الذى لا يتعلق بشئ مما بعده فيحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده^(٤) ومن مواضعه الوقف قبل ياء النداء، وفعل الأمر، والقسم ولأمره دون القول و (الله) بعد رأس كل آية^(٥) والشرط ما لم يتقدم جوابه^(٦).

ويجب الوقف أيضاً عند انتهاء مقول القول، إذ لو وصلنا لتوهم السامع إن ما بعد ذلك داخل في مقول القول نحو (وجعلوا أعزة أهلها أذلة)^(٧) هنا

(١) منار الهدى في الوقف والابتداء لأحمد بن محمد بن عبد الكريم الأمشوني. طبعة المطبعة المصرية بيولاق سنة ١٢٨٦ هـ.

(٢) البرهان في علوم القرآن ج ١ ص ٣٥٠.

(٣) البرهان في علوم القرآن للزركشى ج ١ ص ٣٥٠.

(٤) رأس الآية هي كلمة آخر الآية ككافية الشر وقرنية السجع (البرهان ج ١ ص ٥٣).

(٥) البرهان ج ١ ص ٣٥١.

(٦) آية ٣٤ من سورة النمل.

وَقَفَ تام لأنه انقضى كلام بلقيس ثم قال تعالى (وكذلك يفعلون)^(١).

ويطلق السجائوندى على الوقف التام اصطلاح الوقف اللازم^(٢)، ويقيسه بمقياس الإعراب أيضاً، فعند قوله تعالى ﴿وما هم بمؤمنين﴾^(٣) يلزم الوقف، إذ لو وصل بقوله يخادعون الله^(٤) توهم السامع أن الجملة صفة لقوله (مؤمنين) ويترتب على ذلك إنتفاء الخداع عنهم، وتقرير الإيمان لهم خالصاً عن الخداع، كما نقول ك ما هو مؤمن مخادع. وكذلك يلزم الوقف عند قوله تعالى: ﴿سبحانه أن يكون له ولد﴾ فلو وصلها بقوله: ﴿أنه ما فى السموات وما فى الأرض﴾. لتوهم السامع أنه صفة لولد، وأن المنفى ولد بأن موصوف بأن له ما فى السموات وما فى الأرض، فى حين أن المراد نفى الولد مطلقاً^(٥).

والنوع الثانى وهو الوقف الكافى. وهو ما يكون منقطعاً فى اللفظ متعلقاً فى المعنى فيحسن الوقف عليه والابتداء أيضاً بما بعده، ومواضعه محكومة أيضاً بإحكام نحويه، منها الوقف بين المعطوفات نحو حرمت عليكم أمهاتكم، وبناتكم، وأخواتكم^(٦)، وكل رأس آية بعدها (لام كى) إلا بمعنى لكن، وإن (أن) المكسورة المشددة والاستفهام، (هل) و (إلا) المخففة و (السين) و (سوف) على التهديد و (نعم) و (كيلا) ما لم يتقدمهن قول أو قسم^(٧).

(١) البرهان ج ١ ص ٣٥١.

(٢) الثقان ج ١ ص ٨٤.

(٣) آية ٨ من سورة البقرة.

(٤) آية ٨ من سورة البقرة.

(٥) آية ١٧١ من سورة النساء.

(٦) الإقناع ج ١ ص ٨٤.

(٧) آية ٢٣ من سورة النساء.

والوقوف الحسن هو الذى يحسن الوقف عليه ولكن لا يحسن الابتداء بما بعده، كالوقوف على (الحمد لله)^(١) ثم الابتداء (رب العالمين)^(٢) فلا يحسن الابتداء هنا، لأن ذلك مجرور، والابتداء بالمجرور قبيح، لأنه تابع^(٣).

والنوع الأخير الوقف القبيح وهو مقيس بمقاييس النحو فلا يوقف على الموصوف دون الصفة، والزمخشري يجوز ذلك إذا كانت الصفة مقطوعة نحو «من شر الوسواس الخناس»^(٤) هنا الوقف ثم يتدنى «الذى يوسوس»^(٥) أن جعله القارئ على القطع بالرفع أو بالنصب^(٦) ومن الوقف القبيح أيضاً الوقف على القول ثم الابتداء بمقول القول بما يوهم أن مقول القول حقيقة وليس قول الكفار نحو الوقف على «لقد كفر الذين قالوا»^(٧) ثم يبدأ فيقول «أن الله هو المسيح بن مريم»^(٨).

ومثله فى القبح الوقف على «فبهت الذى كفر والله»^(٩) مما يفهم منه عطف لفظ الجلالة على الاسم الموصول. وأقبح وشنع الوقف على النفى

(١) الإقنان حـ ١ ص ٨٤.

(٢) الآية الثانية من سورة الفاتحة.

(٣) البرهان حـ ١ ص ٣٥٢.

(٤) البرهان حـ ١ ص ٣٥٢.

(٥) آية ٤ من سورة الناس.

(٦) آية ٥ من سورة الناس.

(٧) الكشف حـ ٢ ص ٥٦٩ والرفع على أنه مبتدأ لخبر محذوف أى : هو الذى والنصب على

تقدير فعل : أعنى أو أعص.

(٨) آية ١٧ من سورة المائدة.

(٩) آية ٧٨ من سورة البقرة.

(١٠) آية ١٩ من سورة محمد.

دون حرف الإيجاب، نحو ﴿لا إله﴾ يقف ثم يبدأ ﴿إلا الله﴾^(١) ونحو ﴿وما أرسلناك﴾^(٢) يقف ثم يبدأ ﴿إلا مبشراً ونذيراً﴾^(٣).

ويزيد صاحب منار الهدى قسماً خاصاً من أقسام الوقف، وهو الوقف الجائز الذي يجوز الوقف عليه وتركه، وكلاهما - أى الوقف وتركه - مبنى على وجوه الإعراب فمن هذا القسم ﴿وما أنزلنا من قبلك وبالأخرة﴾^(٤) يوقنون^(٥) يجوز الوصول بعد (قبلك)، لأن واو العطف تقتضى عدم الوقف، ويجوز أيضاً الوقف، لأن تقديم المفعول على الفعل يقتضى الوقف، فإن التقدير (يوقنون) بالأخرة، لأن الوقف عليه يفيد معنى. ومن الوقف الجائز عند صاحب منار الهدى أيضاً قوله سبحانه وتعالى: ﴿وقولهم إنا قتلنا المسيح بن مريم﴾^(٦) هنا الوقف ثم يبدأ ﴿رسول الله﴾^(٧) على أنه منصوب بفعل مقدر لأن اليهود لم يقرؤا بأن عيسى رسول الله فلو وصفنا (عيسى بن مريم) بـ (رسول الله) لذهب فهم من لا مساس له بالعلم أنه من كلام اليهود - أى ضمن مقول القول - فيفهم من ذلك أنهم مقرون أنه رسول الله، وليس الأمر كذلك. وهذا التعليل برقيه ويقتضى وجوب الوقف على (ابن مريم) ويرفعه ذلك إلى التمام^(٨).

وبعد، فلعلنا أوضحنا أن الوقف مرتبط بالإعراب كل الارتباط بل هو

(١) آية ١٠٥ من سورة الإسراء

(٢) آية ١٠٥ من سورة الإسراء

(٣) البرهان في علوم القرآن ج ١ ص ٣٥٣.

(٤) آية ٤ من سورة البقرة.

(٥) آية ١٥٧ من سورة النساء.

(٦) منار الهدى في الوقف والإبتداء ص ٩.

أفعال متفرقة^١

فى هذا الفصل نَحاولُ أن نجمعَ من كتب اللغة والأدب الأفعالَ غيرَ المتصرفِ التى لم يجمعها بابٌ واحدٌ من أبواب النحو، وهذه هى السمة المميّزة لأفعال هذا الفصل، ومن ثمّ جُمعَها معاً، فهى ليس من النواسخ مثلاً حتى نجدها مجتمعةً فى بابٍ واحدٍ شأن عسى وليس وكاد وكرب ... أو الاستثناء كخلا وعدا وحاشا أو من أفعال الذم والمدح كنعم ونس وحبذا وساء. على أن بعض النحاة قد أتى ببعض هذه الأفعال مجتمعاً عندها تحدث من تقسيم الفعل إلى متصرف و (جامد)؛ أى غير متصرف، فالسيوطى مثلاً قبل أن يتحدث عن نعم ونس وحبذا ولاحبذا، ألم ببعض هذه الأفعال غير المتصرفة فقال "الفعل متصرف" وهو ما اختلفت أبنيتة لاختلاف زمانه، وهو كثير، وجامد بخلافه وهو معدود، ومنه غير ما مرّ فى النواسخ والاستثناء: قُلْ للثنى المحض فترفع الفاعل متلوّاً بصفة ومنه تَبَارَكَ من البركة وَهَذَكَ من رجل ... وسُقَطَ فى يده ... وكَذَبَ فى الإغراء وَيَهْبِطُ أى يَصِيح^(١).

ولقد ذكر السيوطى أيضاً بعضَ هذه الأفعال فى المزهَر^(٢) نقلاً عن التسهيل لابن مالك، قال: ابن مالك: "مُنِعْتُ التَّصَرُّفَ أفعالاً منها المثبتة فى نواسخ الابتداء وباب الاستثناء والتعجب ومايليه، ومنها (قُلْ) النافية، و(تَبَارَكَ) و (سُقَطَ) فى يده و (هَذَاكَ مِنْ رَجُلٍ) و (عَمَّرْتُكَ اللَّهُ) و (كَذَبَ) فى الإغراء، و (يَنْهَى) و (يَهْبِطُ) و (أَهْذَمُ) و (أَهَاءُ) بمعنى آخذ و (أَعْطَى) و (هَلُمَّ) التميمية و (هَاءُ) و (هَاءُ) بمعنى خُذْ و (عِمَّ صَبَاحاً) و (تَعَلَّمَ) بمعنى أَعْلَمَ، وفى زجر الخيل أقدم وأقدم وهب وأرحب وهجد، وليس أصواتاً ولا أسماء أفعال لرفعها الضمائر البارزة، واستغنى غالباً بترك عن (وَدَّرَ) وبالتَّركِ عن الوَدَرِ والدَّعِ، وربما قيل دَدَعَ ودَدَعُ

(١) الهمج ج ٢ ص ٨٣، ومكان النقط شرح لبعض أحكام هذه الأفعال وستعرض لها بالتفصيل بعد قليل.

(٢) المزهَر ج ٢ ص ٤٥.

وودر^(١).

ونعني في بحثنا هذا نحاولُ درسَ هذه الأفعال مبيّنين استعمالاتها وشواهدَها وآراءَ النحويين في كلِّ منها. والتتبعُ التاريخي لاستعمال هذه الأفعال أمرٌ بالغُ الصعوبة، ذلك أن العقلَ ينسى خطواتَ التطويرِ المعنوي التي مرّت بها، ونقولُ ينساها إذا افترضنا أنه عرّفها في يومٍ من الأيام، فللكلمات دائماً قيمةٌ حضورية *actuelle*، يعني أنها محدودةٌ باللحظة التي تستعمل فيها، ومفردةٌ بمعنى أنها خاصٌ بالاستعمال الزمني الذي تستعمل خلاله^(٢).

ومع ذلك فسنحاول قدرَ جهدنا القاءَ الضوء على التتبع التاريخي لاستعمال هذه الأفعال أو بعضها.

(١) تسهيل الفوائد وتكميل المقامد لابن مالك ص ٢٤٦ و ٢٤٧ تحقيق محمد كامل بيركات دار

الكتاب بمصر سنة ١٩٦٧ م.

٢١ اللغة فنرسلر ص ٢٢٦ تنصرف.

وذر - ودع

من هذه الأفعال الفعلان وَدَعَ، وَذَرَ فالمستعمل منهما الأمرُ دَعَ وَذَرَ المضارع يَدْعُ وَيَذَرُ، أما وَدَعَ وَوَذَرَ الماضيان فلم يستعملَا، ونستطيع أن نقول إن هذين الفعلين شبه متصرفين من ناحية الاستعمال ليس غير، إذ إن القياس لا يأتي مجيء الماضي أيضاً، كما هو الحال في وَزَنَ زِنْ وَزَنَّا. يؤيد ذلك ما قاله ابنُ درستويه "واستعمال ما أعملوا من هذا جائزٌ صوابٌ، وهو الأصلُ بل هو في القياس الوجهُ، وهو في الشعر أحسنُ منه في الكلام لقلّةِ اعتياده، لأنَّ الشعرَ أيضاً أقلُّ استعمالاً من الكلام"^(١).

ويرى بعضُ اللغويين أنَّ استعمالَ وَذَرَ وَوَدَعَ ثَقِيلٌ لابتدائهما بالواو، وهو حرفٌ مستثقلٌ فاستُغْنِيََ عنهما بما خلا منه وهو تَرَكَ^(٢).

وربما كان في هذا تعليلٌ لاستعمال وزن مع أن أولَّهما واو؛ إذ لا نجد بديلاً لها كما وجدنا بديلاً للفعلين وذر وودع وهو ترك.

وقد عوّل الشيخُ خالد الأزهرى على أن للفعلين وذر وودع بديلاً وهو ترك - عوّل على ذلك تعليقه لعدم تصرفهما. قال "... والثاني يكون بمجرد الاستغناء عن تصرفه بتصرف غيره وإنَّ كانَ باقياً على أصله من الدلالة على الحدث والزمان، كيذر ويدع حيث استُغْنِيََ عن ماضيهما بماضى ترك" (شرح التصريح ٩٢/٢).

وهذا خطأ لأن الفعلين متصرفان كما بينّا. إلا أن الاستعمالَ هو الذي هجر الماضيَ منهما، وبقي المضارعُ والأمرُ. وفي ذلك يقولُ ابنُ جنى "فإنَّ كانَ الشئُ شاذاً في السماعِ مطرّداً في القياسِ تحاميتَ ما تحامتِ العربُ من ذلك وجرّيتَ في نظيره على الواجب في أمثاله. من ذلك امتناعك من وذر وودع، لأنهم لم يقولوها ولا غروَ عليك أن تستعملَ نظيرهما نحو وزن ووعد لو لم تسمعهما فأما قولُ أبي الأسود:

(١) المزهر ج ٢ ص ٤٦.

(٢) المزهر ج ٢ ص ٤٦.

لَيْتَ شِعْرِي عَنْ خَلِيلِي مَا الَّذِي غَالَهُ فِي الْحُبِّ حَتَّى وَدَّعَهُ^(١)
فتسأله، وكذلك قراءه بعضهم (ما ودَّعَكَ رُبُّكَ وما قَلَى) بتخفيف الدال فأما
قولهم: ودع الشيء يدع - إذا سكن - فأتدع مسموع متبع، وعليه أنشد بيت
الفردق:

وَعَضَّ زَمَانٌ يَا ابْنَ مِرْوَانَ لَمْ يَدَعْ مِنْ الْمَالِ إِلَّا مُسْحَتٌ أَوْ مُجْلَفٌ^(٢)
فمعنى لم يدع - بكسر الدال، أى لم يتدع ولم يثبت^(٣) والاستغناء عن الشيء
بالشيء نص عليه سيبويه فى مواضع من كتابه فيقول "فقد يستغنون عن الشيء
بالشيء، وقد يستعملون فيه جميع ما يكون فى بابه"^(٤).
ويقول "هذا باب يستغنى فيه عن (ما أفعله) بـ (ما أفعل فعله) وعن (أفعل
منه) بقولهم (هو أفعل منه فعلا)، كما استغنى بتركت عن ودعت"^(٥).
ويقول ".... كما أَنَّ يَدْعُ عَلَى وَدَعْتُ، وَيَتَذَرُ عَلَى وَذَرْتُ وَإِنْ لَمْ يَسْتَعْمَلَا،
اسْتَغْنَى عَنْهُمَا بِتَرَكْتُ"^(٦).

على أَنَّ بَيْتَ أَبِي الْأَسَدِ:

لَيْتَ شِعْرِي عَنْ خَلِيلِي مَا الَّذِي غَالَهُ فِي الْحُبِّ حَتَّى وَدَّعَهُ^(٧)

(١) سنحقق هذا البيت بعد قليل.

(٢) شرح ديوان الفردق، عبد الله إبراهيم الصاوى ص ٥٥٦ التجارية بمصر سنة ١٩٣٦ م.

(٣) الخصائص ج ١ ص ٩٩.

(٤) الكتاب ج ٢ ص ١٩١.

(٥) الكتاب ج ٢ ص ٢٥١.

(٦) الكتاب ج ٢ ص ٢٣٨.

(٧) هذا البيت أنشده ابن جنى فى خصائصه ج ١ ص ٩٩ كما سبق، ولم يحققه الأستاذ النجار
محقق الخصائص فى هذا الموضع، غير أنه عاد وذكر فى ص ٢٦٦ من الجزء نفسه أن نسبة
هذا البيت لأبى الأسد خطأ، وإنما قائله هو أنس بن زعيم اللبى فى عبيد الله ابن زياد بن
أبيه، وكذلك عدل فى روايته بأن جعله:

سَلَّ أَمِيرِي مَا الَّذِي غَيْرُهُ عَنْ وَصَالِي الْيَوْمِ حَتَّى وَدَّعَهُ

له دلالة كبيرة من حيث التتبع التاريخي لاستعمال الفعل (ودع) ذلك أننا إذا أضفنا إلى هذا البيت قراءة الآية الكريمة "مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى" (١) بتخفيف الدال وهي قراءة عروة بن الزبير وابنه هشام وابن أبي عجلة (٢) وأضفنا أيضاً ما ورد في اللسان وفي حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لَيَنْتَهِيَنَّ

وقد بحثت في الكتب التي ترجمت لأبي الأسود على أجد الحقيقة في هذا البيت، لأنني سأبني عليه حكماً، فبحثت في الأغاني للأصفهاني ج ١٢ ص ٣٠١، دار الثقافة بيروت ١٩٧٤، وأسند الغابه في معرفة الصحابة لابن الأثير، نسخة قديمة دون ذكر الناشر أو تاريخ النشر، ونزهة الألباء في طبقات الأدباء لابن الأثير: تحقيق إبراهيم السامرائي ص ١، دار المعارف ببغداد ١٩٥٩، ومراتب التحريين لأبي الطيب اللغوي ص ٦ نهضة مصر ١٩٥٥، فلم أجد ذكراً لهذا البيت في كل هذه المراجع التي ترجمت لحياة أبي الأسود. ثم بحثت في بنية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي ج ٢ ص ٢٣ تحقيق محمد إبراهيم طبعه عيسى الحلبي ١٩٦٤، فلم أجد هذا البيت فيه، إلا أنني وجدت بيتين آخرين من نفس البحر (الرملي) والقافية:

لَا يَكُنْ بِرُؤُوسِكَ بِرُؤُوسًا خَلْبًا إِنَّ خَيْرَ الْبَرِّ مَا الْغَيْثُ مَعَهُ
لَا يَهْنَى بَعْدَ إِكْرَامِكَ لِي فَشَدِيدُ عَادَةٍ مُنْتَزَعَةٍ

وقد ورد هذا البيت في اللسان إلا أن فيه رواية أخرى وقائلاً آخر غير أبي الأسود. يقول صاحب اللسان "وهذا البيت، رَوَى الْأَزْهَرِيُّ عَنْ ابْنِ أَخِي الْأَصْعَمِيِّ أَنَّ عُمَةَ أَنْشَدَهُ لِأَبْنِ بْنِ زَيْبِ بْنِ اللَّيْثِ:

لَيْتَ شِعْرِي عَنْ خَلِيلِي مَا لَدَى غَالَهُ فِي الْحَبِّ حَتَّى وَدَّعَهُ
لَا يَكُنْ بِرُؤُوسِكَ بِرُؤُوسًا خَلْبًا إِنَّ خَيْرَ الْبَرِّ مَا الْغَيْثُ مَعَهُ

وإذا عرفنا أن أنساً هذا قد قال البيت في عبيد الله بن زياد بن بيه الملقب بابن مرجانة، وعرفنا أيضاً أن عبيد الله توفي سنة ٦٧هـ، وأن أبا الأسود توفي سنة ٦٩هـ - إذا عرفنا كل ذلك فلا يهنا من قائل البيت بقدر ما يهنا الفترة التي قبل فيها وهي الستينات من القرن الأول.

(١) الآية الثالثة من سورة الضحى.

(٢) اللسان ج ١ ص ٢٦٣.

أقوامٌ عن ودّعهم الجمعاتِ أو ليُخْتَمَنَ على قلوبهم" أى عن تركهم إياها^(١) استنتجنا أن هذا الفعل (ودع) بصيغته الماضية وكذلك المصدر (ودعاً) لم يكونا مهجورين فى فترة نزول القرآن الكريم وعلى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، واستمر استعمالهما حتى السنين الأولى من النصف الثانى من القرن الأول، وبعد ذلك هُجِر استعمالهما ولم يبق مستعملاً إلا المضارع والأمر.

(١) اللسان ج ١٠ ص ٢٦٣.

كُذِّبَ عَلَيْكَ

أما الفعلُ (كُذِّبَ) فَمَنْعِيٌّ أَنَّهُ متصرف: كُذِّبَ يَكْذِبُ كُذْبًا وكُذَابًا وفَهْر كاذِبٌ وكُذَابٌ وكُذُوبٌ^(١).

وأما (عليك) فَهْر جَارٍ ومَجْرُور، هذه، هي النظر الأولى لهذا الأسلوب ولكنهم يعدونه من أساليب الإغراء، وقد جاء على هذا النمط أو هذه الصورة دون تغيير، وتكون الكلمة (كذب) في هذه الحالة فعلاً غير متصرف، لزم صورة واحدة وهي الماضي، و (عليك) يشبهونها بتلك التي تستعمل في الإغراء، كما في قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم"^(٢) فعليك هنا اسمُ فعلٍ متقولٌ عن الجار والمجرور بمعنى الزم أو احفظ.

وربما استعمل الفعلُ (كذب) غير متعدي بالحرف، بل يجرى بعده المفتول به مباشرةً فيقال (كذبك) وذلك كقول عمر بن الخطاب حين جاء رجل يشكو النقرس "كُذِّبَتْكَ الظَّهَائِرُ، أي بالمشي فيها، والظواهر جمع ظهيرة وهي شدة الحر"^(٣).

أما شواهد (كُذِّبَ عَلَيْكَ) فقول عمر أيضاً حين شكاه إليه عمرو بن معد يكرب: المَعَصَ (التواء عصب القدم) فقال له: كُذِّبَ عَلَيْكَ العسل. يريد العسلان وهي مشي الذئب، أي عليك بسرعة المشي، وقوله أيضاً: "كُذِّبَ عَلَيْكَ العمرة"، يكتب عليكم الحج، ثلاثة أسفار كذب عليكم قال ابن السكيت: بمعنى عليكم به، كالكلفة، نادرة جاءت على غير القياس. وقال "الأخفش الحج مرفوع به ومعناه نصب، لأنهم يريد الأمر به كقولهم أمكنك الصيد، يريد أرمه"^(٤)، أي أن المرفوع به كان حُلَّةً النصب، ولكنه جاء بالرفع شاذاً على غير قياس. يقول الأصمعي في ذلك "معنى

(١) اللسان مادة ك ذ ب

(٢) المائدة آية ١٠٥.

(٣) اللسان مادة ك ذ ب ج ٢ ص ٢٠٤.

(٤) النهاية في غريب الحديث لأبي السعادات بن محمد الجزري المعروف بابن الأثير ج ٤ ص ١٣

المطبعة الخيرية بمصر دون تاريخ

(كذب عليكم) معنى الإغراء أى: عليكم به، وكان الأصل نى هذا أن يكون نصب، ولكنه جاء عنهم بالرفع شاذاً على غير قياس^(١).

ونستطيع القول بأن هذا الأسلوب قد هُجر الآن، ولم يُعد مستعملاً ألبتة، وجميع شواهد - كما سيتضح بعد قليل - لم يتعد زمنها زمن الرسول عليه الصلاة والسلام والخلفاء الراشدين من بعده يدل على ذلك أن سبويه المتوفى سنة ١٨٠ هـ^(٢) أورد في كتابه كلمة (كذب) - من حيث تعلّقها بأحكام نغوية أو لغوية - مرتين^(٣): الأولى، عندما أنشد بيت الأخطي:

كذبتك عينك أم رأيت بواسطٍ غلّس الظلام من الرباب خيالاً^(٤)

وقد استشهد بهذا البيت على إتيان الشاعر بأمر منقطة بعد الخبر^(٥).

والثانية: عندما أنشد بيت خزرج بن لودان أو عنتر:

كذب العتيق وماء شرب بارد إن كتب سائلتي غبوقاً فاذهب^(٦)

ولم يعلّق سبويه على البيت إلا بقوله يريد (فاذهبي)، وكان ذلك فى (باب وجوه القوافى فى الإنشاد)، ولم يذكر سبويه أن (كذب) فى أول البيت قد أتت بمعنى الإغراء، وربما يكون سبب ذلك ندرة هذا الأسلوب على عهد سبويه، بل انعدامه. صحيح أن سبويه قد أورد البيت فى مقام غير مقام استعمال (كذب) للإغراء، ولكننا لا ننسى أن سبويه من طبعه الاستطراد، والدخول فى موضوع جديد طارئ، ثم الرجوع إلى الموضوع الذى كان يبحثه

(١) الهمع ج ٢ ص ٨٣.

(٢) اللسان مادة كذب ج ٢ ص ٢٠٥.

(٣) عرفت ذلك من فهرس كتاب سبويه الذى صنعه عبد السلام هارون ج ٥ ص ١٦٩. الهيئة

العامة للكتاب ١٩٧٧ م.

(٤) الكتاب ج ١ ص ٤٨٤.

(٥) الكتاب ج ١ أسفل هامش ٤٨٤ (الشتى).

(٦) الكتاب ج ٢ ص ٣٠٢.

على أن الشتمى ذكر ذلك حيث قال:

"ومعنى (كذب العتيق) عليك به، وهى كلمة نادرة تغرى بها العرب فترفع ما مدها وتنصب"^(١).

ومهما يكن من أمر فإن هذا التعبير نادر الاستعمال فى عصره، مهجور الآن نام الهجر، إلا أن السؤال الذى يطراً للباحث: ماعلاقة الفعل (كذب) سواء أكان تصرفاً أم غير متصرف بالإغراء أو بالوجوب، فنقول: كذب عليكم الحج، بمعنى يجب؟

ظلت أفكر فى هذا السؤال على أحدى بإجابة مقنعة، وقد رأيت أن العلاقة بين الكذب والإغراء، علاقة غريبة، والأسلوب نفسه نادر غير مألوف، وقد قال ابن فارس كلاماً قيباً فى هذا الصدد: "ذهب علماؤنا أو أكثرهم إلى أن الذى انتهى إلينا من كلام العرب هو الأقل، ولو جأنا جميع ما قالوه لجأنا شعر كثير وكلام كثير وأخرى بهذا القول أن يكون صحيحاً، لأننا نرى علماء اللغة يختلفون فى كثير مما قاله العرب، فلا يكاد واحد منهم يُخبر عن حقيقة ما خولف فيه، بل يسلك طريق الاحتمال والإمكان، ألا ترى أننا نسألهم عن حقيقة قول العرب فى الإغراء: كذبتك كذا، وعما جاء فى الحديث من قوله: كذب عليكم الحج، كذب العسل، وعن قوله القائل:

كذبت عليكم أوعيدوني وعللوا
بى الأرض والأهوام فزدان موطب

وعن قول الآخر:

كذب العتيق وماء شرب بارد
إن كنت سائلنى غبوقاً فاذهب

ونحن نعلم أن قول (كذب) يتعد ظاهره عن باب الإغراء، وكذلك قولهم...^(٢)

(١) الكتاب ج ٢ أسفل ص ٣٠٢.

(٢) المزه ج ١ ص ٦٦ و ٦٧، والصاحب فى فقه اللغة وسنن العرب لأحمد بن فارس ص ٦٧ و

٦٨ تحقيق مصطفى السوى، بيروت ١٩٦٤، والبيت الأول - فى اللسان - خدش بن زهير

والبيت الثانى هو الذى أنشده سيبويه ج ٢ ص ٣٠٢.

ثم يذكّر بعد ذلك أمثلة أخرى في سعة اللغة وغريبها، لا يهمل منها إلا أسلوب (كذب عليك)، ثم يعلق على كل ذلك قائلاً "وقد كَانَ لَدِكْ كُلُّهُ نَاسٌ يَعْرِفُونَهُ، وكذلك يعلمون معنى ما نَسْتَعْرِضُهُ الْيَوْمَ...." (١).

فهذا الأسلوب إذا كان له تفسيره عند قائلية في الماضي بالرغم من استغرابنا إياه اليوم. ونحن هنا نجتهد، فنقدّم على استحياء تفسيراً له، لقد اشتهر القول بين العامة في عصرنا الحاضر "عليك الحرام تفعل كذا..." يقول العامي ذلك مخاطباً غيره أو قل مغرباً غيره، وربما قال مغرباً نفسه أو مُثَمِّباً على الحرام أفعل كذا... "أليس هذا مشابهاً للأسلوب (كذب عليك)؟ بلى هو مشابه. فالأسلوب العامي يعني أن الحرام يحلّ بي إن لم أفعل كذا، والأسلوب الثاني يعني أن الكذب يكون على - أي أنى أكون كاذباً - إن لم أفعل كذا، والعلاقة بين الكذب والحرام علاقة وثيقة.

(١) المزهر ج١ ص ٧ و ٧١ والصاحبي ص ٧١ و ٧٢.

تَبَارَكَ

يَرْجِعُ هذا الفعل إلى المادة ب رك، ومن هذه المادة: الْبَرَكَةُ أى النماء والزيادة، والتَّبَرُّكُ أى الدعاء للإتسان، فيقال بَرَكْتُ عليك تَبَرُّكاً، أى قلت : بارك الله عَلَيْكَ. وفى التَّشْهيد "السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته" البركات أى السعادة^(١).

وَتَبَارَكَ على وزن تفاعل مثل تقاتل، وكان القياسُ أن يكون متصرفاً مثله، ولكنه جاء "غير متصرف" فلا يأتى منه مضارع ولا أمر ولا اسم فاعل، وهو بمعنى تعظم وتعجد وارتفع^(٢). وقد ذكر السبوطى هذا الفعل مع الأفعال التى لا تتصرف^(٣). وكذلك ذكره ابن مالك^(٤). وقد استعمل القرآن الكريم كثيراً من اشتقاقات هذه المادة كقوله تعالى: "وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَرْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا"^(٥). و "فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا"^(٦). و "اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّنْ مَّعَكَ"^(٧). و "وهذا ذِكْرُ مَبَارَكٍ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ"^(٨).

ولكنه لم يستعمل الفعل تَبَارَكَ إلا مُسْتَنْدِئاً إلى الله سبحانه وتعالى فى كل المواضع التى ذُكِرَ فيها وهى:

-
- (١) اللسان مادة ب رك ج ١٢ ص ٢٧٥.
 - (٢) حاشية الجمل على الجلالين ج ٢ ص ١٥٠.
 - (٣) مع الهوامع ج ٢ ص ٨٣.
 - (٤) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك ص ٢٤٦، تحقيق محمد بركات دار الكاتب العربى بمصر ١٩٦٧ م.
 - (٥) فصلت: ١٠.
 - (٦) النمل: ٨.
 - (٧) هود: ٤٨.
 - (٨) الأنبياء: ٥٠.

- ١- تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ^(١).
 - ٢- فتبارك الله أحسنُ الخالقين^(٢).
 - ٣- تبارك الذي نزل الفرقانَ على عبْدِهِ. ليكونَ للعالمين نذيرا^(٣).
 - ٤- تبارك الذي إن شاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا من ذلك^(٤).
 - ٥- تبارك الذي جعل في السماء بروجا^(٥).
 - ٦- فتبارك الله رب العالمين^(٦).
 - ٧- وتبارك الذي له ملكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وما بينهما^(٧).
 - ٨- تبارك اسمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ^(٨).
 - ٩- تبارك الذي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وهو على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ^(٩).
- فهذا الفعلُ غيرُ المتصرفِ مقصورُ استعمالٍ على إسناده لله سبحانه وتعالى. وربما كان هذا هو سببُ عدمِ تصرُّفه؛ للإشعار بأنَّ التمجيدَ والعظمةَ والرفعةَ لله سبحانه دونَ غيره، وللإشعار أيضا بأنَّ هذا الفعلَ - وإن كان قد توقَّفَ منذ صيغة الماضي - يدلُّ على الحال والاستقبال أيضا، مثلهُ في ذلك مَثَلُ الفعلِ (كان) في مواضع كثيرةٍ من القرآن الكريم كقوله تعالى: "وكان الله غفورا رحيمًا"^(١٠)، و"كان الله عليما حكيمًا"^(١١) و"كان الله سميعا بصيرا"^(١٢)

(١) الأعراف: ٥٤.

(٢) المؤمنون: ١٤.

(٣) الفرقان: ١.

(٤) الفرقان: ١٠.

(٥) الفرقان: ٦١.

(٦) غافر: ٦٤.

(٧) الزخرف: ٨٥.

(٨) آخر سورة الرحمن.

(٩) الملك: ١.

(١٠) النساء: ١٠.

(١١) النساء: ١١١.

(١٢) البقرة: ١٣٤.

قل

غَنِيَ عن القول أَنَّ الفعلَ (قَلَّ) فعلٌ متصرفٌ، وقد كَتَبَ فيه صاحبُ اللسان ما يزيد على ست صفحاتٍ مبيِّناً اشتقاقات هذه المادة (قلل) واستعمالاتها. فمن ذلك قوله تعالى: "ولللنساء نصيبٌ مما تَرَكَ الوالدان والأقربون" قَلَّ منه أو كَثُرَ^(١) و "مَتَاعٌ قَلِيلٌ" ثم ما واهم جهنم ونسَّ المهاد^(٢) و "إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلُّ مِنْكَ مَالاً وَلَوْ لَدَا"^(٣) و "إِنْ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ"^(٤).

غير أَنَّ بعضَ النحويين قد جعلوا الفعلَ (قَلَّ) غيرَ متصرفٍ، وذلك في استعمال خاص به لا يعتد به، وذلك إذا كان بمعنى (ما) التي هي للثنى المحض، كقولهم "قَلَّ رجلٌ يفعلُ ذلك" ويساوى في المعنى "ما رجلٌ يفعلُ ذلك" وم (ما) هنا حرف، ومادام الفعل (قل) قد استعمل موضعها فهو غير متصرفٍ لشبهه بالحرف. يقول السيوطي في ذلك "ومنه - أى من الجامد - قَلَّ للثنى المحض فترفع الفاعلُ متلوا بصفةٍ مطابقةٍ له نحو (قل رجلٌ يقولُ ذلك) و (قل رجلان يقولان ذلك بمعنى (ما رجل ...))^(٥).

وقد كرر هذا القول في المزمع نقلاً عن ابن مالك في التسهيل حيث قال "منعت التصرف أفعالاً منها المثبتة في نواسخ الإبتداء وباب الاستثناء والتعجب وما يليه، ومنها قَلَّ النافية ...".

ولم يذكر ابنُ مالك تفصيلاً لاستعمال هذا الفعل في هذا الموضع، إلا أَنَّهُ عَدَّ

(١) النساء / ٧.

(٢) آل عمران / ١٩٧.

(٣) الكهف / ٣٩.

(٤) الشعراء / ٥٤.

(٥) الهج / ٨٣ / ٢.

(٦) المزمع / ٤٥ / ٢.

(٧) تسهيل القرائة وتكميل المقاصد ص ٢٤٦.

فصلاً قبله مباشرةً بين فيه الصلة بين (قُلْ) و (ما) النافية، قال فيه "قد يقوم مقام (ما يفعلُ أحدُ) (أَقُلْ) ملازماً للابتداء والإضافة إلى نكرة موصوفة بصفة مُعْنِيَةٍ عن الخبر لازم كونها فعلاً أو ظرفاً، وقد تُجعل خبراً، ولا بدُّ من مطابقة فاعليها للنكرة المضاف إليها، ويساوى (أَقُلْ) المذكور (قُلْ) رافعاً مجروراً (أَقُلْ).

ولسنا مع ابن مالك أو السيوطي في ذلك لِمَا يأتى:

١- أنا - فيما اطلعنا عليه من المراجع النحوية - لم نجد هذا الفعل إلا في المرجعين اللذين ذكرناهما ليس غير.

٢- أَنْ (قُلْ رجلٌ يفعل ذلك) مثلاً لا يُعتدُّ به، ولم نجد شاهداً على غلط هذا المثال يؤيد قولهما.

٣- أَنْ القولُ بأن (قُلْ) تساوى (ما)، ومن ثمَّ فإنَّ (قُلْ) غيرُ متصرفٍ لشبهه بالحرف - هذا القولُ يحتاجُ إلى دليلٍ، وهو بعيدٌ عن واقع اللغة فعلاقة المساواة هذه نجدها في المسائل الرياضية، وفرقٌ كبيرٌ في اللغة بين استعمال الفعل واستعمال الحرف.

وإذا دَخَلَتْ على (قُلْ) (ما) الكافة، أصبحت (قلما)، وحينئذٍ يجزئ بعدها جملةً فعليةً. بعكس (قُلْ) مفردةً، فإنها تتطلب بعدها فاعلاً. وقد ذكر سيبويه أنه من قبح الكلام أن تحجب (قلما) وبعدها اسمٌ يقولون "ويحتملون قبح الكلام حتى يضعوه في غير موضعه: لأنه مستقيم ليس فيه تناقض، فمن ذلك قولُ عمرَ بن أبي ربيعة:

صَدَدَتْ فَاطُورَتِ الصَّدُودَ وَقُلْمَا وصالٌ على طول الصدود يدومُ
ولكنَّ الكلام: قلما يدوم وصالٌ^(١).

ذكر سيبويه ذلك، ولكنه لم يذكر في هذا المقام أن قُلْ فعلٌ غيرُ متصرفٍ أو أنها تساوى (ما) ولم يذكر أيضاً المثالَ (قُلْ رجلٌ يفعل ذلك)، مع أن منهج

(١) الكتاب ١٢ ص ١٢.

سبويه أنه قد يستطرده فيذكر موضوعاً أو حكماً متعلقاً بالموضوع الذي يتكلم عنه ثم يرجع إلى هذا الموضوع مرة ثانية.

وذكر سبويه (قلما) مرة أخرى في كتابه عند عرضه "للحروف التي لا يليها بعدها إلاّ الفعل، ولا تغير الفعل عن حاله التي كان عليها قبل أن يكون شيئاً منها"^(١) وذكر من هذه الحروف قد وسوف والسين وربما قلما، أي أنه عد (قلما) كلها حرفاً^(٢)، يقول "ومن تلك الحروف ربما وقلما وأشباههما، جعلوا ربّ مع ما بمنزلة كلمة واحدة وهيؤها ليذكر بعدها الفعل، لأنه لم يكن لهم سبيل إلى (ربّ يقول) ولا إلى (قلّ يقول)"^(٣).

والهم في ذلك كله أن سبويه لم يستطرده فيذكر أثناء ذلك أن (قلّ) في استعمال بعينه فعل غير متصرف أو أنه يساوي (ما) في المثال (قلّ رجل يفعل ذلك).

(١) الكتاب ج ١ ص ٤٥٨.

(٢) يرى النحاة أن قلما مكونة من الفعل الماضي (قلّ) وما الكافة عن عمل الرفع (انظر المعنى ص ٤٠٣).

(٣) الكتاب ج ١ ص ٤٥٩.

"سَقَطَ فِي يَدِهِ"

رأى النحاة أَنَّ الفعل "قَلَّ" متصرفٌ إلا في استعمال خاص لا يتعداه يكون فيه غير متصرف، وهو ما كان على مثال "قل رجل يفعل ذلك" بمعنى "مارجل يفعل ذلك"، وقد اختلفنا مع النحاة في ذلك لعدم وجود شواهد تؤيد رأيهم وتدل على أن (قل) تستعمل للنفي المحض مكان (ما).

أما بالنسبة للفعل (سَقَطَ)، فالأمرُ يختلف كل الاختلاف، إذ نجد غير متصرف في استعمال بعينه دالاً على الندم والحسرة، ويؤيد ذلك قوله سبحانه وتعالى "ولما سَقَطَ في أيديهم ورأوا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ" (١).

فاستعمال هذا الفعل دالاً على الندم والحسرة مقصورٌ على صيغة الماضي الذي لم يُسم فاعله دون إسناده أية ضائر له فلا يُقال يسقط ولا سقطوا ولا يسقطون... أما بقية استعماله فيكون فيها متصرفاً ومن ذلك قوله تعالى "وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً" (٢) و "أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً" (٣) و "إن يروا كسفاً من السماء ساقطاً يقولوا سحباً مرگوم" (٤).

ومن النحاة من يُجيزُ (أسقط في يده)، إلا أن الجمهور لا يعتد بها ويرى أن (سقط) التي استعمالها القرآن هي الأجود والأحسن (٥).

وقد ذكر هذا الفعل السيوطي وابن مالك ضمن الأفعال غير المتصرفة وأثبتا له

(١) الأعراف - ١٤٩.

(٢) مريم - ٢٥.

(٣) الإسراء - ٩٢.

(٤) الشعراء - ١٨٧.

(٥) الطور - ٤٤.

(٦) حاشية الجمل على الجلالين ج ٢ ص ١٩٥. ومعاني القرآن للفراء ج ١ ص ٣٩٢ ص ٣٩٣

تحقيق الأستاذين محمد نجاتي ومحمد الدجارج الهيئة المصرية العامة للكتاب ٩٨٠.

ذا التركيبَ دونَ غيره^(١).

وهذا التركيبُ لم تعرفه العربُ إلا بعدَ نزولِ القرآن^(٢) ويبرهن أبو القاسم زجاجي على ذلك قائلا "سَقَطَ في أيديهم نظمٌ لم يُسمع قبلَ القرآنِ لا عرفته حربٌ، ولم يوجد ذلك في أشعارهم، والذي يدلُّ ذلك أن شعراءَ الإسلام لما سمعوا هذا النظم واستعملوه في كلامهم خفي عليهم وجهُ الاستعمال، لأن عاداتهم لم تجرِ، فقال أبو نواس:

وَنَشَوُّ سَقَطَتْ مِنْهَا فِي يَدِي^(٣).

وأبو نواس هو العالم النحوي، فأخطأ في استعمال هذا اللفظ، لأن (فَعَلْتُ) يُبنى إلا من فعلٍ يَتَعَدَّى، لا يُقال رغبت ولا يقال غضبت، وإنما يقال رغبت في، غضبت على^(٤).

وقد اهتم كثيرٌ من النحاة واللغويين والمفسرين بتأصيل هذا التركيب، وجميعهم رجعوه إلى صورة مشخصة ملموسة. قال سليمان الجمل "... وأصله سقطت حواهم على أيديهم، فـ (في) بمعنى (على) وذلك من شدة الندم، فإنَّ العادة أن الإنسان إذا ندم على شيء عضَّ بضمه على أصابعه فسقوط الأظفار على الأيدي زم للندم فأطلق اسمَ اللازم وأريدَ الملزوم على سبيل الكناية"^(٥).

(١) الزهر ٤٥/٢ والهمع ٨٣/٢ والتسهيل ٢٤٦.

(٢) حاشية الجمل على الجلالين ج٢ ص ١٩٢، ومجمع الأمثال لأبي الفضل أحمد بن محمد النيسابوري المعروف بابن الأثير ج١ ص ٣٤٤. الناشر: عبد الرحمن محمد. ميدان الأهر بمصر ١٣٥٢هـ.

(٣) أجهدت نفس في البحث عن البيت بتمامه في ديوان أبي نواس، فلم أجده، وربما كنتُ غيرَ مؤثرٍ في ذلك، فحرفُ الروي يحتمل أن يكون الدالَّ وغيره. ومع ذلك فقد بحثت في كلِّ القوائد التي من بحر الرجز، ثم من الكامل على سبيل الاحتياط، ولا أدري كيف أتى به صاحبُ الأمثال.

(٤) مجمع الأمثال ج١ ص ٣٤٤.

(٥) ج١ ص ١٩٢، ج٢ ص ٢٠٢.

وقال أبو جعفر الطبري "..... وأصله الاستسار؛ وذلك أن يضرب الرجل الرجل أو يصرعه، فَيَرْمِي به بين يديه لياسره، فيكتفه فالرَمِي به مسقوطاً في يدي الساقط به، فقليل لكل عاجز عن شيء وصارع لمجزه فنتدم على ما فاتة" (١).

وقد عقب المحققان على ذلك بقولهما "والذي قاله أبو جعفر تفصيل جيد وبيان عن أصل الحرف قلما يوجد في كتب اللغة" (٢).

وقال الزمخشري "... لأن من شأن من اشتد ندمه وحسرتة أن يعص يده غمماً فتصري يده مسقوطاً فيها" (٣).

ونلاحظ أن القرآن الكريم قد استعمل هذه الجارحة - اليد - في صورتين آخرين ليعبر بهما عن الندم والحسرة. ويقول سبحانه وتعالى: "وَيَوْمَ يَعَضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيِّنُنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً" (٤). ويقول سبحانه: "وأحيط بشعره فأصبح بقلب كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية" (٥).

(١) تفسير الطبري ج ١٢ ص ١١٨ و ١١٩ تحقيق محمود أحمد شاكر. دار المعارف بمصر سنة ١٩٥٨.

(٢) تفسير الطبري ج ١٧ ص ١١٩.

(٣) الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لجار الله الزمخشري ج ٧ ص ١١٨. بيروت دون تاريخ.

(٤) الفرقان آية ٢٧.

(٥) الكهف آية ٤٢.

عم صباحا

ذكر السيوطي هذا الفعلَ مع ظرف الزمان في جمع الهوامع^(١) على أنه من الأفعال غير المتصرفة، وكذلك ذكره في الزهر^(٢) نقلاً عن ابن مالك في التسهيل^(٣).

وهذه الجملة تحية عند العرب، يقال عِمَّ صَبَاحاً، وَعِمَّ مَسَاءً وَعِمَّ ظِلَاماً^(٤)، ولكن (عِمَّ صَبَاحاً) هي التي كَثُرَ ورودُها في الشعر:

قال زهير بن أبي سلمى:

قَلَّمَا عَرَفْتُ الدَّارَ قُلْتُ لِرَبِّعِيهَا أَلَا انْعِمِ صَبَاحاً أَيُّهَا الرِّبْعُ واسلم^(٥)

وقال عنترة:

يَا دَاكِرَ عَيْلَةٍ بِالْجَوَاءِ تَكَلَّمِي وَعِيِي صَبَاحاً دَارَ عَيْلَةٍ واسلمي^(٦)

وأنشد يونس بن حبيب شطراً من الطويل هو

عِمَّا طَلَلِي جُمْلِي عَلَى النَّأْيِ واسلماً^(٧)

أما عِمَّ ظِلَاماً وعم مساء فقد قل ورودُهما، قال شبيب بن الحارث الصبي:

أَتَوْا قَارِي فَقُلْتُ مَنْونُ قَالُوا سُرَاةُ الْجَنِّ قُلْتُ عِمُّوا ظِلَاماً^(٨)

(١) الهمع ٨٣/٢.

(٢) الزهر ٤٥/٢.

(٣) التسهيل ٢٤٧.

(٤) خزانة الأدب للبغدادي ج ١ ص ٦٠ تحقيق عبد السلام هارون. الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٩.

(٥) شرح القصائد السبع الطول لابن الأنباري ص ٢٤٣ تحقيق هارون، دار المعارف بمصر ١٩٨٠.

(٦) شرح القصائد السبع لا الأنباري ص ٢٩٦.

(٧) اللسان مادة وع م ج ١٦ ص ١٢٨.

(٨) النبأ، هي اللغة لأبي زيد الانصاري ص ١٢٣. دار الكتاب العربي بيروت سنة ١٩٦٧ م.

ويبدو أن السيوطي وابن مالك كليهما قد تابعا الفراء في عدّه هذا الفعل فعل أمر، لا يأتي منه مضارع ولا ماض. يقول الفراء: "قد يتكلمون بالأفعال المستقبلية ولا يتكلمون بالماضي منها، فمن ذلك قولهم (عِم صباحا) ولا يقولون (وَعِم)، ويقولون (ذُرْ ذا) و (دَعْه) ولا يقولون (وَذَرْتَه) ولا (وَدَعْتَه)" (١١). ويقول الأصمعي كذلك: "هكذا تُنشده عامة العرب وتقدير الفعل الماضي منه وَعِم، يَعِم ولا ينطق به" (١٢).

ويرى أبو عمرو بن العلاء رأياً آخر في (وعى صباحا) التي جاءت في بيت عنتره، يقول "وعى من قولهم: عَمَّتِ السَّمَاءُ تَعْمِي" (١٣) ويقول أيضاً: "هو كما يَعْمِي المطرُ وَيَعْمِي البحرُ يزيد، وأراه كثرة الدعاء لها بالاستسقاء" (١٤). وقد خطأ ابن الأثير في أبا عمرو فقال: "وهذا عندنا خطأ، لأنه لو كان كذلك لكان (اعمى) على مثال (واقضى)، لأن عَمَّتْ تَعْمِي على مثال قَضَتْ تَقْضِي، فينبغي أن يكون أمرُ المؤنثِ منه (أَعْمَى) على مثال (أَقْضَى) وكان أصحابنا ينكرون قولَ أبي عمرو، ويحتجون بهذا الذي وضعناه" (١٥).

وكذلك خطأ الأزهري وروى عليه بثل مائة ابن الأثير (١٦) ومن النحاة من لا يَعِدُ (وَعِم، يَعِم، عِم) أصلاً مستقلاً بنفسه بل إن (يعم) عندهم محذوف من ينعم، ولذلك أجازوا عِم صباحا بفتح العين وكسرها، كما يقال انعم وانعم، وزعموا أن بعض العرب أنشد: ألا عِم صباحا أيها الطلل البالي.

بفتح العين (١٧).

(١) شرح القصائد السبع الطول لابن الأثير ص ٢٤٤.

(٢) السابق ص ٢٤٤.

(٣) السابق ص ٢٩٧.

(٤) اللسان ص ١٢٨ وخزانة الأدب ج ١ ص ٦٤.

(٥) شرح القصائد السبع الطوال ص ٢٩٧.

(٦) اللسان ج ١ ص ١٢٨.

(٧) الخزانة ج ١ ص ٦٠ بتصرف.

ويقول الأزهري معللاً لذلك: "كانه لما كثر هذا الجرذ في كلامهم. حذفوا بعض
 . وفيه معرفة المخاطب به، وهذا كقولهم (لاهم) وقام الكلام (اللهم) وكقولك
 ا يمتك والأصل (الله انك)" (١).

والرأى عندي أن هذا الفعل (يعم) إنما هو الأمر من الماضي وعم، والمضارع
 يم، قد التبس الأمر على أبي عمرو بن العلاء عندما ظنه من عَمَى يَقْمَى، مثل
 عَمَى يَقْمَى على ما بينه ابن الأنباري والأزهري، كما أننا لا نميل إلى رأى من
 ي أن (يعم) اختصارٌ لِيَنْعَمَ. وقد التبس الأمر أيضا على الفراء والأصمعي، ثم
 لم ابن مالك والسيوطي من بعدها عندما رأوا أن الأمر هو المستعمل كما بينا،
 ما المضارع. فلتعمرى كيف غاب عنهم قول امرئ القيس:

ألا يعم صباحاً أيها الظلُّ البالي وهل يعمن من كان في العَصْرِ الحالي
 وهل يعمن إلا سعيدٌ مغلَّدٌ قليلُ الهموم ما يبيت بأحوالِ
 وهل يعمن من كان أحدثُ مهده ثلاثين شهرا في ثلاثة أحوالِ (٢)

فقد استعمل المضارع (يعم) ثلاث مرات، لا مرة واحدة وفي جميعها جاء
 بقترنا بنون التوكيد الخفيفة لوقوعه بعد طلب وهو الاستفهام، كما أن شرح
 لأستاذين السقا والسندوبي على هذه الأبيات أن الفعل (يعمن) مضارع.

أما الماضي فلم نعثر على شواهد لاستعماله، ولكننا لا نستبعد استعماله حيث
 إن الأمر والمضارع مستعملان، كما أن الأزهري ذكر عن يونس بن حبيب أنه قال:
 "وَعَمَّتْ الدارُ، أَعِمَّ وَعَمَّا: أَى قَلْتُ لَهَا ائْعَمَى" (٣).

(١) اللسان ١٦٦ ص ١٢٨. وملاحظ أن بعض النحاة يرون في (لهتك) إبدالاً وليس اختصاراً،
 فالأصل لإتتك ثم أبدلت الهمزة ها، وهذا متحقق عندهم في قول الشاعر:
 لهتك من غيبية لوسيمة على هتوات كالب من يقولها
 أى لأتتك. وانظر الإنصاف في مسائل الخلاف ص ١٢٩، شرح القصائد السبع الطوال ص
 ٢٦ و ٢٦٥.

(٢) شرح ديوان امرئ القيس. الأستاذ حسن السندوبي ص ١٥٨ التجارية الكبرى بمصر ١٩٥٣،
 ومختار الشعر الجاهلي ص ٣٤ جمع الأستاذ مصطفى السقا الحلبي بمصر ١٩٤٨.

(٣) اللسان مادة، عم ١٦٦ ص ١٢٨.

يَتَّبِعُ

ما كان لهذا الفعل أن يأخذ مكانه في بحثي هذا، فهو فعل متصرف، لولا ما ذكره السيوطي في الهمع^(١) وكذلك في الزهر^(٢) نقلاً عن ابن مالك في التسهيل^(٣). وفي كل هذه المواضع نص على أنه فعلٌ غير متصرف لا يأتي منه إلا المضارع ليس غير، وقيل سمع الماضي.

أما عن استعمال المضارع، فهذا مالا شبهة فيه، بدليل الآيات "وما يَتَّبِعِي للرحمن أن يتخذ ولدا"^(٤)، و "ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء"^(٥) و "وما ينبغي لهم وما يستطيعون"^(٦) و "لا الشمس ينبغي لها أن تظلم القمر"^(٧) و "وما علمناه الشعر وما ينبغي له"^(٨). و "قال رب اغفر لي وحب لي ملكاً لا ينبغي لأحد"^(٩).

أما الماضي فقد نص صاحب اللسان وصاحب القاموس وصاحب الصحاح على استعماله:

يقول ابن منظور: ".... هو من أفعال المطاوعة، تقول بَغَيْتُهُ فانبغى، كما تقول كسرتُه فانكسر ... ويقال: انبغى فلان أن يفعل كذا، أي صلح له أن يفعل كذا، وكأنه قال: طلب فعل ذلك، فانطلب له أي طاعه، ولكنهم اجتزأوا بقولهم: انبغى الشيء: تيسر وتسهل"^(١٠) ..

(١) الهمع ٨٢/٢.

(٢) الزهر ٤٥/٢.

(٣) التسهيل ص ٢٩٦.

(٤) مريم: ٩٢.

(٥) الفرقان: ١٨.

(٦) الشعراء: ٢١١.

(٧) يس: ٤٠.

(٨) يس: ٦٩.

(٩) ص: ٣٥.

(١٠) اللسان ح ١٨ ص ٨٠.

ويقول الفبروز آبادي "انْبَغَى الشئُ: تَسَرُّ وَتَسَهَّلَ ... وما انْبَغَى لك أن تفعلَ وما ابْتَغَى وما يَنْبَغِي وما يَنْتَغِي" (١).

ويقول الجوهري: "وقولهم يَنْبَغِي لك أن تفعلَ كذا، هو من أفعال المطاوعة، يقال: بَغَيْتُهُ فانبغى كما تقول كسرتُهُ فانكسر" (٢).

صحيح أنني لم أعثرَ على شاهدٍ لاستعمال (انبغى)، ولكن عندما ينص أصحابُ ثلاثةٍ من المعاجم الذين يُوثقُ بهم على أن الماضيَ مستعملٌ، فربما يكون في هذا شئٌ من الاطمئنان الذي يبعثه الشاهدُ في النفس.

يُضاف إلى ذلك ما أورده أبو زيد الأنصاري في نوادره "ما ينبغى لك أن تفعلَ كذا وكذا، وما يُنبغى بضم الباء، وقد انبغى له" (٣).

فإذا سلمنا بأن المضارعَ والماضيَ كليهما مستعملٌ، فماذا عن الأمر؟ نقول إن القياس لا يمنعُ من وجود فعل الأمر (انْبَغِ) كما أن فعلَ الأمر من (ابتغى) موجودٌ وهو (ابتغ) (٤)، وكل من الفعلين مزيد يحرفين الألف والنون، ثم الألف والفاء إلا أن الفعل (انبغ) غيرُ مستعمل، لأن معناه في الأمر بعيد عن آية مناسبة تستدعي استعماله، وما كان لإنسان أن يخاطبَ آخرَ أو يأمره بقوله (انْبَغِ)، وهذا مماثل تماماً فعل الأمر (انكسر).

(١) القاموس المحيط ج٤ ص ٣٠٥ و ٣٠٦.

(٢) تاج اللغة وصحاح العربية ٢٢٨٣/٦ تحقيق أحمد عبد الغفور عطا دار الكتاب بمصر.

(٣) النوادر ص ٢٣٩.

(٤) قال تعالى: "ولا تجهرُ بصلاتك ولا تخافتَ بها وإنْبَغَ بين ذلك سبيلاً" الإسراء - ١١٠.

أهلم وها

لقد جمعتُ بين هذين الفعلين لأنهما مشتركان في ندرة الاستعمال، بل نستطيع أن نقولَ في عدم الاستعمال، لاسيما في العصر الحديث، هذه واحدة، وأخرى أنهما مشتركان في وجود حرف الهاء الذي هو بمثابة تنبيه وإعلام لما سيحيى بعده، ولا بد أن نتحفظ فنقولُ إنَّ (ها) اسم فعل بمعنى خذ، إلا أن لها أشكالا أخرى تُعد فيها فعلا، وسنأتى إلى تفصيل ذلك.

فأما الفعل الأول (أهْلَمْ) فهو جواب من قيل له (هَلَمْ)، إذ يرد قائلا (أهْلَمْ) أو (لا أهْلَمْ)، تماما كمن يؤمر بفعل الأمر: أقبل، فيرد قائلا (أقبل) أو (لا أقبل). جاء في اللسان، إذا قال هَلَمْ إلى، قلت: إلامَ أهْلَمْ، وإذا قال لك: هَلَمْ كذا وكذا، قلت: لا أهْلُمُه "ومن ثمَّ فإنَّ (أهْلَمْ) لا يتصرف، بل هو باق في زمن المضارع، ليس ذلك فحسب، بل المضارع المنسوب إلى المتكلم، والهمزة في أوله دليل على ذلك، فلا يقال يَهْلُمُ أو تَهْلُمُ كما هو الشأن في يقبل، ونص السيوطي على أنه لم يُستعمل منه الماضي ولا الأمر في أكثر اللغات، كما نص أيضا على أنه يحيى بعد الحرفين (لا) و (الم)^(٢) كما ورد في (أهْلَمْ) عدَّة لغات هي:

أَهْلَمْ أَهْلَمْ أَهْلَمْ أَهْلَمْ^(٣)

غير أنني لم أعثر على شواهد لاستعمال هذا الفعل مما يجعل هذه الأحكام غير متيقنة، هذا إلى أن القياس والصنعة لا يباينان مجيء الماضي. فيقال هَلَمْتُ كَسَعَرْتُ، وشَمَلْتُ على وزن فَعَلْتُ^(٤).

(١) اللسان ج٦ ص ١٠٢ والصاحح أيضا ج٥ ص ٢٠٦ وشرح المفصل ج٤ ص ٤١.

(٢) الهج ٨٣/٢.

(٣) اللسان ج٦ ص ١٠٢: الأولى بضم الهمزة وفتح الهاء وكسر اللام وضم الميم مع التشديد. والثانية مثلها إلا أن اللام مضمومة. الثالثة بضم الهمزة وفتح الهاء، واللام وضم الميم مع التشديد. والرابعة بفتح الهمزة والهاء وضم اللام، وضم الميم مع التشديد.

(٤) اختصاصي ج١ ص ٣٧٨.

وقد بينّا أن (أهلّم) إنما هي جوابٌ مَنْ قيل له (هلم)، فلا بأس إذاً من أن نبين أصلها بشئ من الإيجاز، فأما الكوفيون فيرون أن الأصل فيها. هل أم^(١). وزاد الرضى تفصيلاً فقال "قال الكوفيون: أصله هَلَا أم، و (هَلَا) كلمة استعجال كما مر، فغيّر إلى (هَل) لتخفيف التركيب، ونُقِلَ ضمة الهمزة إلى اللام، وحذفت كما هو في القياس نحو (قد أفلح)"^(٢). ويؤيدُ نسبة هذا الرأي إلى الكوفيين أن الفراء قد أوردّه في (معاني القرآن) حيث يقول "ونرى أن قولَ العرب، (هلم رلينا) مثلها - يقصد مثل اللهم - إنما كانت (هل) فضم إليها (أم)، فتركت على نصبها"^(٣) وأما البصريون فيرون أن "أصلها (ها الممّ) فاجتمع ساكنان: الألف من (ها)، واللام من (الم)، فحذفت الألف لالتقاء الساكنين، ونقلت ضمة الميم الأولى إلى اللام، وأدغمت إحدى الميمين في الأخرى فصارت (هلم)"^(٤) وهذا الرأي نقله ابنُ يعيش عن الخليل^(٥) وكذلك رواه سيبويه حيث قال "كانها (لم) بضم اللام وفتح الميم وتشديدها، ثم أدخلت عليها الهاء كما أدخلت على (ذا)"^(٦).

وإذا كانت شواهدُ (أهلّم) معدومة فإن شواهدَ (هلم) كثيرة.

يبقى بعد ذلك (هلم) في لغة بني تميم التي عدّها بعض النحاة فعلاً غير متصرف يقول السيوطي: "وهلم التيممة لم يستعمل منها إلا الأمر، أمّا المجازية فهي اسم فعل لا تلحقه الضائرات"^(٧) فجنّب تميم يجرونها مجرى الفعل في اتصال ضائرات الرفع بها فيقولون هَلُمَا، هَلُمُوا، هَلُمْنِي، هَلُمْنِي، إلا أنها وردت في

(١) الإنصاف ج١ ص ٢١١.

(٢) شرح كافية ابن الحاجب لرضى الدين الاسترأبادي ج٢ ص ٧٣ بيروت ط ٣ سنة ١٩٨٢م والآية من الأولى في سورة المؤمنين.

(٣) معاني القرآن للقراء ج١ ص ٢٠٣ تحقيق أحمد يوسف نجاشي محمد علي النجار الهيئة المصرية للكتاب سنة ١٩٨٠.

(٤) الإنصاف ج١ ص ٢١٤.

(٥) شرح المفصل ج١ ص ٤١.

(٦) الكتاب ج٢ ص ٦٧.

(٧) الهمع ج٢ ص ٨٣.

(٨) شرح الكافية ج٢ ص ٧٣.

القرآن الكريم على لغة الحجازيين، قال تعالى: هَلُمُّ شُهَدَاءَكُمْ^(١) ولم يقل هلموا^(٢)، ولهذا السبب - فيما نظن - نصّ الرضى على أن لغة بنى قميم ليست بالفصحى^(٣) ونحن نأخذ فى هذا المجال برأى ابن جنى أن اللغات تختلف، ولكن كلها حجة وليس لك أن تردّ إحدى اللغتين بصاحبها، لأنها ليس أحقّ بذلك من رسلتها. وضرب مثالا على ذلك (ما) التى أعملها الحجازيون وبها جاء القرآن ولم يعملها بنو قميم، ورأى أن الاثنين يقبلهما القياس^(٤). غير أننا لا نستطيع أن نقول مع السيوطى أن هَلُمُّ التسمية فعل (جامد)، بل هى باقية على أصلها اسم للفعل ويدل ابن عيش على ذلك قائلا: "واعلم أن بنى قميم وإن كانوا يجرونها مجرى الفعل فى اتصال الضمائر بها لشدة شبهها بالفعل وإفادتها إفادة الفعل، فهم عندهم أيضا اسم الفعل، وليس مبقاة على أصلها من الفعلية قبل التركيب والضم، والذى يدل على ذلك أن بنى قميم يختلفون فى آخر الأمر من المضاعف، فمنهم من يتبع، فيقول (ردّ) بالضم و (فرّ) بالكسر، و (عَضّ) بالفتح، ومنهم من يكسر على كل حال، فيقول ردّ وفروعض بكسر الأواخر، ومنهم من يفتح على كل حال، ثم رأيناهم كلّهم مجتمعين على فتح الميم من هلمّ ليس أحد يكسرها ولا يضمها، فدلّ ذلك على أنها خرّجت عن طريق الفعلية وأخلّصت اسما للفعل نحو دونك ورويدك وعندك"^(٥).

وأما (هأ) فهو اسم لحذ، وفيه ثمانى لغات^(٦) أوردها الرضى، نتخذ منها ثلاث لغات تكون فيها أفعالا غير متصرفة لا ماضي لها ولا مضارع وليست بأسماء أفعال^(٧).

(١) سورة الأنعام آية ١٥٠.

(٢) شرح الكافية ج ٢ ص ٧٢.

(٣) السابق ج ٢ ص ٧٣.

(٤) الخصائص ج ٢ ص ١٠ بتصرف.

(٥) شرح المفصل ج ٢ ص ٤٢ و ٤٣.

(٦) شرح الكافية ج ٢ ص ٦٩.

(٧) السابق ج ٢ ص ٧٠.

فأما الأولى فهو أن تستبدل بالالف همزة ساكنة فتصبح هاءً وتتصرف تصرف ذر
ودع فيقال هاءً وهى وهما وهنّوا وهانّ.

وأما الثانية فهي كالأولى إلا أنها تتصرف تصرف خفف فيقال: هاءً هائى،
هَاءً، هَامُوا، هَانّ.

وأما الثالث فهي كالأولى أيضا إلا أنها تتصرف تصرف ناد فيقال هَاءٍ وهائى
وهائىا وهَامُوا وهَانّين^(١) ومن هذه اللغة قول الشاعر:

وَمَرِيحٌ قَالَ لِي: هَاءٍ إِفْقُلْتُ لَهُ حِيَالِي رُبِّي لَقَدْ أَحْسَنْتَ بِي هَائِي^(٢)

فالصورة واحدٌ إذاً ولكن الاختلاف طريقة التصريف. ومن اللغويين من يرى أن
هاء بكسر الهمزة تعنى هاتٍ، ويفتحها (هاء) بمعنى خذ^(٣).

وكما أن (أهلم) ردٌ وجوابٌ عن (هلم)، كذلك (هَاء) لها جوابٌ وهو (أهَاء)
وهو فعلٌ غير متصرف لم يأت فيه إلا المضارع المنسوب إلى المتكلم. قال الرضى،
"وإذا قيل لك (هَاء) بالفتح قلت ما أهَاء أى ما آخذ وما أهَاء على ماله بسم
فاعله أى ما أعطى"^(٤). وقد أورد السيوطى هذا القمل إلا أنه حذف الهمزة التى
فى آخره قال "و (أها) مبنى للفاعل بمعنى آخذ، وللفعول بمعنى أعطى، لم
يُستعمل منه غير المضارع"^(٥).

ويجدر بنا أن نقول إن كل هذه الصور من الفعلين أهلم وها قد هجرت الآن، ولم
يبق من هذه المادة إلا (هلم) التى قيل إن جوابها أهلم.

(١) السابق ج٢ ص ٦٩ و ٧٠ بتصرف وشرح المفصل ج٤ ص ٤٣ و ٤٤.

(٢) اللسان مادة ها ج١٥ ص ٤٨٢.

(٣) الصحاح ج١ ص ٨٤، ٨٥.

(٤) شرح الكافية ج٢ ص ٧٠.

(٥) معجم الهوامع ج٢ ص ٨٣.

هَاتِ وَتَعَالِ

وقد جمعنا هذين الفعلين معاً، لأنهما من أشهر الأفعال غير المتصرفة وأكثرها استعمالاً، ولأنهما اتحدتا في صيغة الأمر.

ولعلّ هناك شيئاً من التجاوز في جعلنا الفعلَ (هَاتِ) فعلاً غير متصرف، إلا أنّ هذا التجاوزَ ربما كان له ما يبرره، فقد ذكر صاحب اللسان أن (هَاتِ) فعلٌ أمرٌ من هَاتَى يُهَاتِي مُهَاتَاةً بوزن مُفاعلة مثل عَاطَى يُعَاطِي^(١)، وتحقيقاً لهذه المشابهة، فقد وضعه صاحب اللسان في باب الواو والياء فصل الهاء: هتا مثل عطا، ولم يَعدْ فيه هيت، وكذلك فعل صاحبُ القاموسِ المحيط^(٢).

وذكر المرحوم الشيخ محمد محيي الدين أن (هَاتَى) بفتح الهاء على مثال قَاضَى يُقَاضِي^(٣).

وذكر السيوطي هذا الفعلَ (هَاتِ) مع الأفعال غير المتصرفة، إلا أنه قال "وربما قيل هَاتَى يُهَاتِي"^(٤).

ونصّ ابنُ الأنباري على أن المضارعَ من هذا الفعل كان مستعملاً "فإذا قال رجل لرجل: هات يارجل، فأراد أن يقول له: لا أقبل قال: لا أهَاتِي"^(٥).

وهناك شطر من الرجز أتشدّه ابنُ منظور وابنُ بعيش ولمْ قفْ على قائله وفيه المضارع: لله ما يعطى وما يهَاتِي^(٦).

من الواضح إذن أن هذا الفعلَ متصرفٌ، ولكنَّ المبرّرَ الذي من أجله وضعه

(١) اللسان مادة هتا جـ ٢٠ ص ٢٢٧.

(٢) القاموس المحيط مادة هتا جـ ٤ ص ٤٠٥.

(٣) شرح شذور الذهب هامش ص ٢٩.

(٤) همع البرامع جـ ١ ص ٨٣.

(٥) شرح القصائد السبع الطوال ص ٥٦.

(٦) اللسان مادة هتا جـ ٢٠ ص ٢٢٧ وشرح المنفصل حـ ٤ ص ٣.

البيروني في باب الأفعال غير المتصرفة^(١) أن كلمة هذه التصريفات قد أُدبِت، ولم يبق إلا الأمر فقط، فكانه بالذات قد نُزِلَ مَنْزِلُ الْفِعْلِ غير المتصرف. وقد نص على ذلك ابن منظور حين يقول "ولكن العرب قد أماتت كل شيء من فعلها غير الأمر"^(٢)، فيقال: هات، وهاتيا، وهاتوا وعاتى وعاتيا وهاتين"^(٣).

قال امرؤ القيس:

إذا قلت هاتين نوليكني قايلتُ على هضيم الكشح ربا المخلخل^(٤)

وربما اتصلت به هات المفعول به، فيقال:

هاتيه، هاتيتاه، وهاتوه، وهاتيه، وهاتينه^(٥).

ولم يأت هذا الفعل في القرآن الكريم إلا في صيغة الأمر المسند إلى واو الجماعة (هاتوا) كقوله تعالى "قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين"^(٦).

وينفرد الزمخشري عن باقي النحاة بأنه يعد هذه الكلمة (هات) اسم فعل، وليست فعلاً، وقد ذكرها في أول مبحث سماء الأفعال والأصوات وتابعه في ذلك شارح مفصله دون اعتراض عليه. قال الزمخشري "أسماء الأفعال والأصوات، وهي على ضربين ... وهات الشيء أى أعطيته"^(٧). وقال ابن عيسى شارحاً قول الزمخشري: "ومن ذلك هات الشيء أى أعطيته، وهو اسم لأعطني وناولني ونحوهما، وهو مبنى لوقوعه موقع الأمر، وكسراً لإلتقاء الساكنين الألف والتاد وكأنه من لفظ (هبت) ومعناه"^(٨).

(١) همع الهوامع ج ٢ ص ٨٣.

(٢) اللسان ج ٢٠ ص ٢٢٧.

(٣) شرح القصائد للسبع الطوال ص ٥٦.

(٤) السابق ص ٥٦.

(٥) اللسان ج ٢٠ ص ٢٢٧.

(٦) البقرة آية ١١١، وقد جاء أيضاً في الأنبياء، - ٢٤ والنمل - ٦٤ والقصص - ٧٥.

(٧) شرح المفصل ج ٤ ص ٢٥.

(٨) السابق ص ٣٠.

وراضح أن ابن يعيش جعل أصل المادة (هَبَتْ) من حيث اللفظ والمعنى لكى يستقيم رأيه أن (هات) اسم فعل، بعكس ما فعل صاحب اللسان والقاموس المحيط اللذان جعلاً أصل المادة (هتا) كما سبق.

وقد رد ابن هشام وكذلك الشيخ محمد محيي الدين على قول الزمخشري بأن (هات) فعلٌ بدليل اتصال ضمائر الرفع البارزة بها، ثم أنشد ابن هشام بيت امرئ القيس إذا قلت هاتى .. دليلاً على فعلية (هات) لاتصال ياء المخاطبة به، أما اسم الفعل فهو كالمثل لا يتغير فتقول مه للواحد والاثنتين والجماعة^(١).

وربما كانت (الهاء) التي فى أول (هات) هي التي أوهمت الزمخشري أن الكلمة (هات) اسم فعل، لأن هناك كثيراً من أسماء الأفعال والأصوات تبدأ بحرف (الهاء) نحو: هَا وَهَيْتَ، وَهَيْهَاتٍ وَهَلَا وَهَى ...^(٢). وقد رأى بعض النحاة - ربما من أجل رفع هذا الهم - أن (الهاء) فى (هات) إنما هي مبدلة من الهزمة، فالأصل آتَى يُؤَاتَى^(٣)، ولا يستبعد مثل هذا الرأى، فهناك ثيرٌ من حالات هذا الإبدال كقول رجلٍ من نُمَيْرٍ غير معروف:

أَلَا يَأْسَنَا بَرَقَ عَلَى قُلُلِ الْحِمَى لَهَيْتَكَ مِنْ بَرَقٍ عَلَى كَرِيمٍ^(٤)

أى لأتلك: وكبيت الشعر الذي لم يُعرف قائله:

وَأَتَى صَوَاحِبُهَا فَقُلْنَ: هَذَا الَّذِى مَنَعَ الْمُرْدَّةَ غَيْرَنَا وَجَفَانَا^(٥)

أى إذا والهمزة للاستفهام.

وكقول الشاعر:

(١) شرح شذور الذهب ص ٢٨ و ٢٩ وانظر هامشيها.

(٢) انظر مبحث أسماء الأفعال والأصوات فى شرح المفصل ج٤ ص ٢٥ والكافية ج٢ ص ٦٥

وشرح التصريح على التوضيح ج٢ ص ١٩٦ وغيرها من المراجع.

(٣) اللسان ج٢ ص ٢٢٧، وشرح المفصل ج٤ ص ٢٠.

(٤) مغنى اللبيب ص ٣٠٤.

(٥) السابق ص ٤٥٥.

لَهَيْكَ مِنْ عَيْبَةٍ لَوْ سِيمَةٌ عَلَى هَقَرَاتٍ كَاذِبٍ مَنْ يَقُولُهَا^(١)

ويقال: أَرَقْتُ الْمَاءَ وهناك من يبدل من الهمزة هاء فيقول هَرَقْتُ الْمَاءَ^(٢).

ولا يُستبعد مع هذه الحالات أن يكون آتِي يُؤَاتِي هِي الْأَصْلَ فِي هَاتِي يُهَاتِي، وبذلك ندفع وهم من رأى أن هات اسم فعل.

كان هذا عن فعل الأمر (هات) فماذا عن (تعال)؟ إنَّ التاءَ في (تعال) زائدةٌ كقولك في الأمر تعلمْ وتَمرَسْ وتَفَضَّلْ. وقد ذكر ابنُ منظور هذا الفعلَ - تعال - في مادة علا، ذكر من اشتقاقاتها علا ويعلر وحرف الجر على واستعلى والأعلى، وعَالِيَّتُهُ على الحمار وَعَالِيَّتُهُ عَلِيَّةٌ وناقَة عَلِيَّةٌ وَعِلْيَانُ أى مرتفعة السبر، والعليّون الذين ينزلون أعالي البلاد...^(٣).

فكل اشتقاقات هذه المادة تدل على العلو والارتفاع، ومن ثَمَّ كان فعلُ الأمر (تعال) بمعنى ارتفع واسم، وهو من تَعَالَى يَتَعَالَى كَتَرَامَى يَتَرَامَى^(٤)، فهذا هو الزمر ثم الماضي ثم المضارع فكيف يكون الفعلُ غير متصرف. إنَّ عدمَ التصرف هنا مقترنٌ باستعمال معين لا يتعداه، وذلك إذا استُعملت (عال) في النداء بمعنى (أقبل) ففي هذه الحالة يقتصر الاستعمال على الأمر دون غيره، "فلاتقول تعاليت ولا ينهى عنه"^(٥).

وأصلُ الفعل (تعال) كما يتبين من معناه "طلب الإقبال من مكان مرتفع تفاؤلا بذلك وإذناً للمدعو لآثته من العلو والرفعة، ثم تُوسع فيه فاستعمل في مجرد طلب مجيء، حتَّى يقالُ ذلك لمن تريد إهانتَه كقولك للعدو: تعال، ولمن لا يعقل كالبهائم

(١) الإتصاف ج ١ ص ١٢٩.

(٢) شرح القصائد السبع الطوال ص ٢٦ و ٢٦٥.

(٣) اللسان مادة علا ج ١ ص ٣٢٤.

(٤) حاشية الجمل على الجلالين ج ١ ص ٢٨٢.

(٥) اللسان ج ١ ص ٣٢٤.

وبحورها، وقبل هو الدعاء لمكان مرتفع، ثم توسع فيه حتى استعمل في طلب الإقبال إلى كل مكان حتى المنخفض^(١). ولا يُبالون أين يكون المادّة في مكان أعلى من مكان الواعى أو مكان دونه^(٢).

أما إذا استعمل في غير النداء فهو متصرف كأن تقول: تعالى فلان عن الدخان "أى بعد وارتفع"، وكان يتعالى عليه "أى ينأى بجانبه ويتكبر". وكما قلنا في (هات) نقول في (تعال) "إنّها فعلٌ أمرٌ صريحٌ وليس باسم فعل لا اتصال الدخان المرفوعة البارزة به: تعاليا وتعالوا وتعالى وتعالين، وجاء هذا الفعل مستنداً إلى واو الجماعة في القرآن الكريم سبع مرات^(٣) كما جاء مستنداً إلى نون النسوة مرة واحدة^(٤).

ونظن أن هذين الفعلين في صيغة الأمر: هات وتعال كثر استعمالهما الآن، لاسيما على ألسنة العوام.

(١) حاشية الجمل على الجلالين ج١ ص ٢٨٢.

(٢) اللسان مادة علا ج١ ص ٢٨٢.

(٣) آل عمران: ٦١ و ٦٤ و ١٦٧ والنساء: ٦١ والمائدة: ١٠٤، الأنعام: ١٥١ والمتفقون: ٥.

(٤) الأحزاب: ٢٨.

يَهِيْطُ وَيَسْوِيْ

هذانِ الفعلانِ غيرُ مستعملين. فأما الأول فقد أهيت، وقد ذكره السيوطى فى الهمع حيث قال: ويهيط: يصبح ويضج، لم يستعمل إلا مضارعاً. يقال: مازال منذ اليوم يهيط هيطاً^(١). وقد ذكره ابن مالك أيضاً فى التسهيل^(٢).

وقد اقترنَ لفظُ (الهِيط) بلفظ (المِيط)، فيقال هَيْطٌ وَمَيْطٌ أى صباح وجلبة أو دنو وتباعد. والهائط الذاهب، والمائط الجائى^(٣).

والذى أظنه أن هذين اللفظينِ وأشباههما كانا من نطق عوام العرب فى عصور قديمة، يدلُّ على ذلك اختلاف عين الكلمة فيهما وفى أشبهما فيقال "مهايطه ومعايطه ومعمايطه" ثم إن النحاة - من بعد - قد وضعوا اسماً للفاعل (هائط مائط)، والفعل المضارع (يَهِيْطُ)، فقالوا "مازال منذ اليوم يهيط أى يصبح"^(٤).

ولم أجد فيما اطلعت عليه من مراجع نحوية ولغوية - عدا همع الهوامع وتسهيل الفوائد واللسان - شواهدَ لاستعمال هذا الفعل أو اسماً للفاعل، بل لم أجدُ ذكراً للفعل نفسه أو لاسمى الفاعل. وقد نصَّ ابنُ منظور على أنَّ هذا الفعل قد أهيت^(٥).

ولكنَّ الشئَ اللائقَ للنظر هنا أنَّ ابنَ منظور قد جمعَ بين (مُهايطَة ومُسايطَة ومُعمايطَة ومُعمايطَة)، فقال "يقال بينهما مهايطه ومسايطه ومعمايطه ومعايطه؛ أى بينهما كلامٌ مختلفٌ" فهل هناك علاقة بين هذه الكلمات؟ أو قل هل هناك علاقة بين مادة هيط التى نحن بصددِها وبين المواد الميط وعيط وسيط؟

(١) همع الهوامع ٨٣/٢.

(٢) التسهيل ٢٤٧.

(٣) اللسان مادة هيط ج ٩ ص ٢ ٣.

(٤) السابق ٣٠٢/٩.

(٥) السابق ٣٠٢/٩.

لقد رأينا أن الفعلَ (يَهَيْطُ) بمعنى يصيح، وهو غير متصرف. فلا يستعمل
الماضى هاط ولا أمر هط. غير أن اقترانَ (هيط) به (ميط) في قولهم: "ما زال في
هيط وميط" وفي قول الفراء "تهايط القوم تهايطا" إذا اجتمعوا وأصلحوا أمرهم.
وقايطوا إذا تباعدوا^(١) يشير في النفس الظن أن (هاط) كان متصرفاً ومستعملاً،
لأن ماط الذي اقترن به متصرف مستعمل. قال الأعشى مستعملاً المضارع
والأمر:

فَمِيطِي تَمِيطِي يَصْلُبُ الْفُؤَادِ وَوَصَالِ حَبْلِ وَكُنَادِهَا^(٢)
وقال المثقب العبدى:

وَلَكُنَّا مِمَّا تُمِيطُ مَرَدَّةً بِشَاشَةٍ أَدْنَى خُلَّةٍ تَسْتَفِيدُهَا^(٣)
وماط وأماط بمعنى بعد وتنحى، ومنه إماطة الأذى عن الطريق^(٤)، وحديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فإذا وقعت لقمة أحدكم فليأخذها، وليميط ما
كان بها من أذى وليأكلها"^(٥)..

وأما مادة عيط فلها كثير من الاشتقاقات، فمنها عَاطَتِ النَّاقَةُ عَيْطَا
وَتَعَيْطَتْ، واعتاطت أى لم تحمل سنين من غير عقر، والأعبط العالى، قال سريد بن
كاهل الشكرى:

مُفْعِيًا يُرْدِي صَفَاءً لَمْ تَرِمْ فِي ذُرَى أُعِيطَ وَغَرِ الْمَطْلَعِ
وقال حارث بن حلزة:

قَبْلَ مَا إِلَيَّ يَوْمَ بِيضَتْ بَعِينِ الْ نَاسِ فِيهَا تَعِيطُ وَإِنَاءِ

(١) في ديوانه القصيدة الثامنة، البيت الثالث وعجزه: وصول جبال وكنادها.

(٢) الفضليات ص ١٤٩

(٣) اللسان ج ٩ ص ٢٨٦

(٤) صحيح مسلم ج ٦ ص ١١٤ كتاب الأشربة. ط صحيح دون تاريخ.

(٥) الفضليات ص ١٩٩

أى ارتفاع وامتناع^(١).

وأما سَاطَ، فالسُّوطُ خلط الشئ بمضه يبيض، وساط الشئ سَوَطًا وسَوَطُهُ^(٢)، خاضه وخالطه. قال كعب:

لكنَّها خَلَّةٌ قد سَيطَ من دَمِها فجَعَّ رولع وإخلاف وتهديل^(٣)

وسَمَى السُّوطُ سَوَطًا، لأنه إذا سَيطَ به إنسانٌ أو دابةٌ خُلطَ الدَّمُ باللحم^(٤). قال
الشماخ:

فصَوَّته كأنه صَوَّبٌ غيبةً على الأَمْعَرِ الضَّاحِي إذا سَيطَ أخضرًا^(٥)

وقد أوردتُ كلَّ هذه النصوص لأثبت أن ما اقترن بالفعل (يهيط) متصرف مستعمل، فليس هناك ما يمنع من الظن أن (يهيط) نفسه كان متصرفا ومستعملا، ثم إنه تلاشى تدريجيا حتى انقرض وأُميت.

وأما الثانى (يَسْوَى) فقد وضعه السيوطى أيضا فى عداد الأفعال غير المتصرفة، حيث لم يُستعمل إلا المضارع ولكن ابن مالك لم يذكره فى التسهيل^(٦).

وهناك أكثر من نحوى ولغوى أنكروا وجودَ هذا الفعل، أو حكموا بندرته وبأن المستعمل هو سَاوَى يُسَاوَى، قال الفراء: هذا الشئ لايساوى كذا. ولم يعرف يَسْوَى كذا^(٧) وأيده فى ذلك الأزهرى وقال: "وقول الفراء صحيح". وقال الليث:

(١) شرح المعلقات ص ٤٥٨.

(٢) اللسان ج ٩ ص ١٩٨.

(٣) شرح ديوان كعب بن زهير ص ٨. تحقيق السكرى. دار الكتب، ١٩٥٠.

(٤) اللسان ج ٩ ص ١٩٨.

(٥) بحث فى ديوانه ص ٢٦ (بتحقيق الشنقيطى، مطبعة السعادة ١٣٢٧ هـ)، فلم أجد هذا البيت، ووجدت قصيدة كاملة من البحر الطويل نفيه وحرف رويه الراء ونفس القافية، ولكنى لم أجد هذا البيت منها، والظاهر أن سقط، أو أنه زائد فيما أطلع عليه ابن منظور.

(٦) همع الإجماع ٨٣/٢

(٧) الصماخ ج ١ ص ٢٤٨٤.

"يَسَوِي نادرة ولا يقال منه سَوِي ولا سَوَى" وقد رُوى عن الشافعي: "وأما لا يَسَوِي فليس بعربي صحيح"^(١).

ونظن - بعد أن رأينا أن (يَسَوِي) غير مستعملة وساوى هي المستعملة - أن (يَسَوِي) معدولة عن يساوى إن صح هذا التعبير^(٢) وربما كان هذا (العدول) لهجة من اللهجات أو هو للتخفيف من المد الذي في (يساوى) وأنه كان نطقُ نفرٍ من العرب ثم انقرضَ هذا النطقُ بعد ذلك.

(١) اللسان ج٩ ص ٣٠٢.

(٢) أخذنا هذا الاصطلاح من قول النحاة في باب المنوع من الصرف إن عمرَ معدولٌ عن عامرٍ وزفرٌ معدولٌ عن زافرٍ.

نَكِرَ

ورد هذا الفعل في قول الله سبحانه وتعالى: قُلَّمَا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً^(١).

ورود أيضا في قول الأعشى:

وَأَنْكَرْتَنِي وَمَا كَانَ الَّذِي نَكِرْتَ
من الحوادث إِلَّا الشَّبَبَ وَالصَّلَامَ^(٢)
وفي قول أبي ذؤيب:

فَنَكِرْتَهُ، فَتَقَرَّنَ، وَاجْتَرَسَتْ بِهِ سَطْعًا هَادِيَةً وَهَادٍ جُرُشْعَ^(٣)

وفي جميعها استعمل الفعل (نكر) في زمن الماضي ولم يجر المضارع ينكر بفتح اليا، وأقول بالفتح لأن المضارع بضم اليا جاء كثيرا وهو ماضى أَتَكَرَّ.

وقد جاء في اللسان "أن نكر لم تستعمل في غابر ولا أمر ولا نهى"^(٤). وقد شككت في معنى غابر: هل هي بمعنى الماضي؟ فرجعت إلى اللسان أيضا (مادة) غير فوجدت أن الفعل غَبَرَ بمعنى ذهب ومعني مكث وبقي، والغابر الباقي والغابر الماضي وهو من الأضداد. وقال الأزهري "المعروف الكثير أن الغابر الباقي قال: غير واحد من الأئمة أن يكون بمعنى الماضي"^(٥).

وعلى ذلك فإن معنى غابر في قول ابن منظور بمعنى باق أي مضارع.

وحقيقة الأمر أن نكر وأنكر لفتان، ولكن المضارع يُنكر (بضم اليا) مستعمل للثنتين ولم يجر المضارع من (نكر). والذي يدل على ذلك:

(١) هود - ٧٠.

(٢) ديوان الأعشى الكبير. القصد الثالثة عشرة. تحقيق د. محمد محمد حسين بيروت ط ٢ ١٩٦٨.

(٣) شرح الفضليات ص ٨٦٧.

(٤) اللسان ج ٧ ص ٩١.

(٥) اللسان ج ٦ ص ٣٠٥.

١- أن الطبري في تفسيره للآية الكريمة "تَكْرِهُمُ وَأَوْحِشْ مِنْهُمْ خِيفَةً"^(١). قال :
 "تَكَبَّرْتُ الشَّيْءَ وَأَتَكَبَّرُهُ وَأَتَكَبَّرْتُهُ وَأَتَكَبَّرُهُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ". فجاء بالمضارع يُتَكَبَّرُ بِضَمِّ
 الياء للماضى الرباعى وجعله للثلاثى أيضا ، ولم يجرى له يَنْكُرُ بفتح الياء ،
 وأنه عندما تعرض لبيت الأعشى :

وَأَتَكَبَّرْتَنِ وَمَا كَانَ الَّذِي تُكَبِّرُ
 مِنَ الْحَوَادِثِ إِلَّا الشَّيْبَ وَالصَّلَاةَ

قال : "فجمع بين اللفتين" أى أَتَكَبَّرُ وَنَكُرُ"^(٢).

٢- كمر القرطبي ما قلّه الطبري وزاد عليه أن تُكَبِّرْتُ لما تراه بعينك وأتَكَبَّرْتُ لما
 تراه بقلبك"^(٣).

٣- قال شارح ديوان الأعشى عندما علق على بيته السابق "تَكَبَّرَهُ وَأَتَكَبَّرَهُ" جهلة
 ولم يعرفه"^(٤) فعطف الرباعى على الثلاثى مما يدل على أنهما بمعنى واحد.

فإذا عرفنا أن (نَكِرَ) و (أَتَكَبَّرَ) لفتان جاز لنا أن نقولَ إن الثلاثى هو الأصلُ،
 وأنه كان لهجةً من اللهجات القديمة، وكان له مضارعُ (بفتح الياء) ثم تعدى
 الماضى بالهمزة فأصبح (أَتَكَبَّرَ) ومضارعه يُتَكَبَّرُ (بضم الياء) ، ثم أصبح هذا الفعل
 هو المضارع لكل من الثلاثى نَكَرَ والرباعى أَتَكَبَّرَ ، وذلك بعد أن هُجِرَ المضارعُ يَنْكُرُ
 (بفتح الياء) ، وصار الاستعمالُ مقصوراً على ماضيه فقط (نَكَرَ).

(١) هود / ٧٠.

(٢) تفسير الطبري (جامع البيان ...) ج ١٥ ص ٣٨٨ تحقيق محمود شاكر دار المعارف
 ١٩٦٠.

(٣) تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) ج ٩ ص ٦٦ دار الكتب المصرية ٩٣٩.

(٤) شرح ديوان الأعشى القصيدة الثالثة عشرة.

هد

غنى عن القول أن (هَدَّ) فعل متصرف بمعنى هدم وكسر^(١)، ولكنه فى استعمالٍ خاصٍ دالٍ على المدح لم يجرى هذا الفعلُ إلا ماضياً، وذلك فى مثل "مررت برجلٍ هَدَك من رجلٍ"^(٢)، أى ثقلك وصفُ محاسنِه^(٣) وواضحٌ أن هناك علاقةً معنويةً بين الفعل (هَدَّ) بمعناه العام وبين معناه فى المدح "أثقلت أو أعجزك وصف محاسنه - وأنشد ابن الأعرابي شطراً من الطويل:

وكي صَاحِبٌ فى الدَّارِ هَدَكُ صاحباً^(٤).

ف (هَدَكُ صاحباً) و (هَدَك من صاحبٍ) لافرق بينهما إلا فى الحرف (من) وهو حرف جر زائد.

على أن هناك استعمالاً آخرَ لهذا الفعل، وفيه يكون أيضاً غيرَ متصرفٍ وذلك عند دخول لام التوكيد عليه، فيقال: لَهْدُ الرجل^(٥). أى ما أجَلَدَه وما أَشَدَّه، تماماً كما يقال "لنعم الرجل"، ومنه قول أبي لهب "لَهْدٌ ما سَحَرَكُمُ صاحبُكم"^(٦) ويكون الاستعمالُ هنا للتعجب وليس للمدح.

وفى (هَدَك من رَجُلٍ) لفتان فمَنهم من يُجرِيه صُجْرِي المصدر فلا يؤنثه ولايشنيه ولايجمعه، ومنهم من يؤنث ويشنى ويجمع فيقول: هَدَاك وهَدُوك وهَدَّتْكَ وهَدَّتَاك وهَدَّتْكَ^(٧).

(١) القاموس المحيط ج١ ص ٣٦١.

(٢) الهمع ٨٣/٢.

(٣) اللسان ج١ ص ٤٤٤.

(٤) السابق ج١ ص ٤٤٤.

(٥) القاموس ج١ ص ٣٦١.

(٦) النهاية فى غريب الحديث ج١ ص ٢٥٧.

(٧) اللسان ج١ ص ٤٤٤.

